

نبوة محمد ﷺ في القرآن

افيقاراً للإنسانية إلى الرُّسل - ظاهرة الوحي وبراهينه
معالم نبوته - دلائل نبوته العقلية



حسن ضياء الدين عتر

دكتوراه في التفسيرية - تخرّج الأولى
ماجستير في التفسير - ماجستير في الأدب والنقد

نبوة محمد ﷺ في القرآن

افتقار الإنسانية إلى الرسل - ظاهرة الوحي وبراهينه
معالم نبوته - دلائل نبوته العقلية

بقلم
حسن ضياء الدين عمر

دكتوراه في التفسير برتبة الشرف الأولى
ماجستير في التفسير - ماجستير في الأدب والنقد

”لَقَدْ تَمَلَّكْتُ الطُّرُقَ الْكَلَامِيَّةَ وَالْمَنَاهِجَ الْفَلَسَفِيَّةَ،
فَأَمَرْتُهَا تَشْفِي عَلِيًّا، وَلَا تُرَوِّى عَلِيًّا،
وَمَرَّيْتُ أَقْرَبَ الطُّرُقِ طَرِيقَةَ الْقُرْآنِ ..“
”الإمام الرازي“

دار النشر

حلب، سورية، شارع الوزير

الطبعة الأولى

١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م

كافة الحقوق محفوظة للمؤلف

نالت هذه الرسالة درجة العالمية « الدكتوراه »
بمرتبة الشرف الأولى باجماع لجنة المناقشة في
كلية أصول الدين بجامعة الأزهر بتاريخ
١٤ جمادى الثاني ١٣٩١ هـ الموافق ٥ / ٨ / ١٩٧١ ،
وهذا الكتاب أحد قسميها ، والقسم الثاني :
« بينات المعجزة الخالدة »

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم
بالمؤمنين رؤوف رحيم

« سورة التوبة ١٢٨ »

وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك
إذا لا تراك المبطلون

« سورة العنكبوت ٤٨ »

قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدرىكم به فقد لبثت
فيكم عمراً من قبله أفلا تعقلون ؟

« سورة يونس ١٦ »

الاجزاء

إلى الذي أنبج به جميع الهداية للهوية،
والفتحت بنسخته ووالكن الضلالة والجهالة
وتبدوت بأفول هداية الظلمات والكسفة
والضبابها وه ساحة للفسانية بتورة محو للتظفي،
وحط هديج كاهل البشرية جسم المظالم وصغرها
وبت في مجتمعاتها مصابيح الكرامة والسعادة للعبية
إلى سيد هداية البشرية في الدنيا والآخرة،
محمد عبد الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم.

جنتي دعوتك
حسن ضياء الكبر



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التقرير

قال العلامة الدكتور الشيخ محمد أبو شهبه عميد كلية أصول الدين بأسبوط وعضو لجنة مناقشة الرسالة :

« لقد بذل الطالب في هذه الرسالة جهوداً مشكورة ، وطوف في عشرات من الكتب والمراجع . وكانت له شخصيته في كثير مما كتب . فقد قرأ وبحث وناقش ورجح . وأيضاً قد أضاف بهذه الرسالة زيادة في العلم الاسلامي وجاء بجديد في هذا الموضوع . فقد استفاد من كلام العلماء السابقين الذين دار في فلهم ، وأمكنه أن يبنى عليه وأن يجعل من المتناثر بحثاً مستقلاً ، يستهوى القارئ بجذته وحسن أسلوبه وطريقة عرضه . »

وقال العلامة المفسر الدكتور الشيخ عبد الحميد عبد الشافي الاستاذ المساعد بقسم التفسير في جامعة الأزهر :

« لقد قرأت هذه الرسالة فرأيت فيها مجهوداً فذاً امتاز بالتحقيق والدقة ، كما أنه ينبىء عن تدين متين ووعي كريم ، وقد أبرز في الرسالة جوانب متعددة استقاها من مصادر جمة علاوة على مجهوده الذي أظهر فيه شخصيته العالمية . فأفاد العلم فوائد جديدة » .

وقال استاذنا العلامة القدوة المفسر الدكتور الشيخ عبد الوهاب غزلان ؛ رئيس قسم التفسير والمشراف على الرسالة ؛ في التقرير المشترك الذي رفعه مع صاحبي الفضيلة الشيخ محمد أبو شهبه والشيخ عبد الشافي إلى جامعة الأزهر :

« فالرسالة جديرة بالتقدير ، وقد بذل الطالب فيها جهوداً مشكورة ، وأمكنه أن يكون من المتفرق المتناثر في عشرات الكتب وحدة موضوعية ، وقد ضم إلى العلم الاسلامي برسالته تلك جديداً ، وشارك مشاركة جادة في الدراسات القرآنية وفي رد شبهات المستشرقين وأضرابهم على الرسالة المحمدية ، وفي إثبات الشرط الثاني من أصل الايمان وهو اثبات رسالة سيدنا محمد ﷺ من القرآن الكريم .

وبعد مناقشة جادة ؛ وحادة أحياناً ؛ استغرقت أكثر من
ثلاث ساعات ، خلت اللجنة للمداولة ، وأصدرت حكمها بالاجماع
باستحقاق الطالب المذكور درجة العالمية « الدكتوراه » بمرتبة
الشرف الأولى . والله ولي التوفيق .



شكر

لقد حظيت في تحضير هذه الرسالة وهذا الموضوع العظيم
باشراف أستاذنا صاحب الفضيلة العلامة الجليل الشيخ عبد الوهاب
غزلان ؛ رئيس قسم التفسير ؛ حفظه الله تعالى .

ولن أنسى ما حيت اهتمامه البالغ واعتناؤه الكامل بالرسالة
فصلاً فصلاً ، وما بذله على الرغم من وهن صحته من جهد
متواصل بهمة فتية تنحني لها هامات الشباب ، وما قدمه من
توجيه علميٍّ سديد أحاط الرسالة وصاحبها بأوفى رعاية وأمثل
توجيه . وإني إذ أتقدم إليه ببالغ الشكر والامتنان أسأل الله
العظيم من فضله وجوده أن يشكر له ويُتمِّعَ به ؛ ويجزيه
عني وعن العلم وطلابه والمسلمين أحسن الجزاء . إنه لا يضيع
أجر العاملين .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي بعث محمداً بالهدى والنور وشفاء ما في الصدور ، وأيده بالآيات البينات ، وأنزل عليه القرآن الحكيم سراجاً منيراً ؛ هادياً إلى دينه وحجة لرسوله ؛ وبرهاناً عظيماً على صدقه وأمانته على وحيه ، ليهدي الأنام إلى سبيل السلام ، ويخرجهم من الظلمات إلى النور .

وصلى الله على سيدنا محمد سيد خلقه وخاتم رسله ، أرسله ربه رحمة للعالمين ، فصلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه والهادين بهديه إلى يوم الدين .

أما بعد :

فقد بعد العهد برسول الله ﷺ وبعد عهد الناس بسيرته العطرة وآيات نبوته التي انبلجت في ظلام جاهلي قاتم . وانغمس الناس هنا وهناك في مشاغل الحياة الدنيا وهوها وتمتعها ، فطمست المادة على كثير من القلوب حتى أفقدتها الشعور بنشوة الروح ، وقعدت بها عن التماسها . وقد خبت في هذا الخضم المتلاطم جذوة العلم بالله وبكتابه ورسوله . وغدا كثير من الناس بهذا الفراغ تحت تأثير شعور بالنقص يحملهم على تلقف الافكار الوافدة من الخارج ، حتى شاعت أفكار وشبهات دخيلة على الأمة الاسلامية ، تتناول أصول الدين بالطمع والتشكيك ! ! وفي معترك العقائد هذا ، تسمع أصحاب المذاهب الالحادية يصخبون وينعقون ؛ زاعمين أن مذهبهم تقوم على أسس علمية . وتجاه هذه التيارات العنيفة

المتابعة لم يكن بد من التصدي لبيان أصول العقيدة بدلائل علمية عقلية ترباً بالمسلم عن التقليد الأعمى أو التدين الوراثي بغير دليل ، الأمر الذي يزي به في الدنيا ، ويخذ له في الآخرة ويحرمه النجاة فيها . فان العاقل مسؤول عن تأسيس إيمانه على دليل اجمالي أو تفصيلي يتناسب مع مستواه العلمي . ولقد تصدى علماء فحول إلى بيان دلائل الايمان بالله تعالى من العلوم التجريبية ، حتى نشر في هذا الموضوع ما يبل صدى الظامىء الملهوف . وبدأت الحاجة الماسة الى البحث في الشطر الثاني من جوهر العقيدة الاسلامية وهو (شهادة أن محمداً رسول الله) . ليظهر جلياً أن العقل والعلم والمسلمات القطعية تثبت نبوة محمد ﷺ .

ودراسة هذا الموضوع تلي حاجة انسانية عامة . فالتناس بحاجة إلى الرسل للاهتداء بهداية الله الواصلة اليهم . وهذا زمان قل خير وكثر شره . وتماقبت فيه الفتن على القلوب ، فما تمكنت في قلب أصبح مؤمناً إلا أمسى بها كافراً يبيع دينه بعرض من الدنيا قليل . فترى الناس أحوج ما يكونون إلى أكمل رسالات الله وخاتمها ، تطمئن قلوبهم ، وتجعل عليهم من السكينة ما يملأ فراغ أفئدتهم ، فيثوبون إلى رشدهم ويحققون انسانياتهم بالايان بنبوة محمد ﷺ وبالاعتصام برسالاته فهي على الحقيقة جماع القيم الخيرة .

وقد امتازت نبوة محمد ﷺ ان كتاب دعوتها - وهو القرآن الكريم - قد اعتى باثبات صدقها ، وافتن في ذلك أساليب متنوعة ، وأدلى بحجج دامغة وبيان يضاعف ظهور الحقيقة النبوية في محمد ﷺ ، مما يجعل الموضوع مرتبطاً بالقرآن كل الارتباط . فرأيت - كمختص في التفسير - أن أخوض غمار البحث في أهم مسائل نبوة محمد ﷺ وأظهر

دلائلها العقلية المفحمة ؛ من خلال آيات كتاب الله العزيز ، لأحقق بذلك ثلاثة أغراض هامة :

أولها : اعطاء صورة أصيلة قيمة عن نبوة محمد ﷺ كما عرضها الله سبحانه وتعالى للعرب ، وضمنها ما ضمنها من دلائل نبوته وشارات صدقه وأمانته في التبليغ عن ربه . فقد استوفى القرآن بيان ذلك لدى دعوتهم للإيمان برسول الله ﷺ ، وأضاف إليه اجابات سديدة هادفة عما أثاروه من نقاش جدلي لجوج ، فتجلية هذا البحث جهد يبذل لتصحيح الصورة عن نبينا محمد ﷺ في نفوس كثير من الناس ، وتقوية إيمانهم به . ولي وطيد الأمل أن يؤتى البحث في مضار الدعوة الاسلامية أنعم الثمار .

ثانيها : خدمة هذا الفن الناشئ الذي أشاد كبار العلماء بعظيم نفعه ألا وهو (التفسير الموضوعي) . فقد حض علماء الأزهر ومشايخه على سلوك نهجه والاعتراف من فيض بحره .

ثالثها : أنه قد نشرت باللغة العربية من نحو عشرين عاماً شبهات جديدة للمستشرقين تحاول التشكيك في نبوة محمد ﷺ ، وهي من تقول كبيرهم (اجنتس جولد تسهر) في كتابه العقيدة والشريعة في الاسلام . ولم تلق شبهاته اجابات علمية بعد . فسعيت للاجابة عن أهم شبهات المستشرقين المتصلة بالموضوع ، والجديد منها بصورة خاصة ، لأسد هذه الثغرة في الثقافة الاسلامية المعاصرة .

أما سلوك سبيل التفسير الموضوعي - غرض الرسالة الثاني - فانه عماد نهج هذه الرسالة . ذلك أني جمعت الآيات المتعلقة بكل واحدة من قضايا الموضوع ، ثم رحت أستقي من منهل القرآن بيان معناها ، اذ كثيراً ما يفسر بعضها بعضاً . فان الناظر في القرآن الكريم يغيب عنه

أحياناً السر في آية معينة ، حتى إذا سمع زميلتها في موضوعها علم ما غاب عنه وانكشف ما خفي عليه .

وتم بيان معاني الآيات بذكر أسباب النزول وعرض قدر مناسب من أحاديث النبي ﷺ التي استشهد بها المفسرون أو التي وجدناها في كتب السنة تسهم في اتمام البيان وتعين على كمال الموضوع ، ففي حديث الرسول ﷺ بيان شاف للقرآن . قال تعالى : (وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون) (١) .

ورجعتُ إلى أمهاتِ شروح الحديث النبوي تبياناً لما دعت الحاجة إليه من معاني آيات الكتاب العزيز ، ولم أورد حديثاً إلا سمعت إلى تخريجه . كما عولتُ في بيان معاني ألفاظ القرآن على الفصحى لغة القرآن بالرجوع إلى أمهات معاجمها كلها استلزم البحث ذلك . وإن اختلفت آراء المفسرين في آية ذهبت إلى الترجيح بدلائله الشرعية واللغوية ، فإن كان أحدها ظاهر الرجحان عولت عليه ، وإن خشيت أن يبعد النقاش الشقة عن الموضوع اقتصرت على إيراد ما رجحه أئمة التفسير .

وأعملتُ الرأيَ في الفوص على دُرر المعاني وبديع الاشارات التي تضمنها القرآن في سياقه وألفاظه . واستنبطت خلال تلك الدراسة ما بدا لي من دلائل النبوة القطعية المألوفة ، وأفدت في هذا المضمار مما وجدته في كتب علم الكلام مناسباً لتفسير الآيات واطمام جوانب الموضوع . وأملّي من ذلك كله أن يفلح مسعائي في هذا البحث بتحقيق أقوم تفسير موضوعي في القرآن ييسر على القاصي والداني اجتناء ثمار هدايته .

وقد حقق الشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر سابقاً فكرة التفسير

الموضوعي في كتابيه الصغيرين (القرآن والمرأة) و (القرآن والقتال)
إلا أنه لم يبين لنفسه فيه منهجاً ، مع أنه دعا إليه وأحسن الشاء عليه .
فقال :

« وهذه الطريقة في نظرنا هي الطريقة المثلى ، وخصوصاً في التفسير
الذي يراد اذاعته على الناس بقصد إرشادهم إلى ما تضمنه القرآن من أنواع
الهداية » .

وانتقد أستاذنا العلامة المفسر الشيخ محمد محمد السماحي في آماله ،
النهج الذي سار عليه الشيخ محمود شلتوت ، وكشف خطأه في اغفال
ترتيب نزول الآيات وأسباب النزول ودواعيه ؛ وفي عدم ملاحظة سنة الله
في التدرج بالتشريع ، حتى انزل - غفر الله له - إلى الزعم بأن الجهاد
في الاسلام دفاعي ؛ وأن الربا القليل مباح .

وقد لاحظت أن بعض الكتاب المعاصرين يتورطون في أخطاء فاحشة
في التفسير لاغفالهم سياق الآيات . فحملني ذلك ههنا على تنبيه من يفسر
آية من كتاب الله تعالى إلى وجوب الأخذ بدلالة السياق التي وردت فيه ،
لئلا يضل معرفة المراد منها .

أما طريقة الرسالة في تخطيط الموضوع ، فقد رأيت أن الايمان
بنوة محمد ﷺ يستند بعد الايمان بالله تعالى إلى الايمان بالنبوة عامة ومعرفة حاجة
البشرية إلى رسل الله . فعمدت إلى عقد باب تمهيدي ، تحدثت فيه عن
الأدلة القرآنية ، ثم بينت افتقار الانسانية إلى الرسل ، فاستنبطت أوجه
احتياجها بتتبع آيات الكتاب الكريم في ذلك ، واستخراج دلالاتها
مستعيناً بالنقاط الهامة التي أوردتها كتب علم الكلام المخطوط منها والمطبوع .
فتكامل - بحمد الله - الحديث عن ذلك بصورة فريدة ، وظهر فيه من
٢ / م

التجديد ما يتضح للقارئ . وانما وفرت بذلك سند الموضوع وأساسه الفكري في هذا التمهيد الهام . ثم انتقلت إلى تعريف النبي والرسول وبيان الفرق بينها ، وتشريف الله محمداً ﷺ بالنبوة والرسالة جميعاً .

وتحدثت في الباب الأول : عن تعريف القرآن بمحمد ﷺ .

فذكرت في الفصل الأول نشأته السليمة الطاهرة وبعثه الكريمة .

وجلّيت في الفصل الثاني أوصاف محمد ﷺ في القرآن الكريم :

فهو رسول أمي مبشر به . وبيّن بشريّة الرسل جميعاً ، ثم عرضت تقرير القرآن بشريّة سيدنا محمد ﷺ . ودحضت ما تعلل به المشركون من اقتراضات حول بشريّته . وتحدثت عن بشريّة سيدنا عيسى عليه السلام . وأبطلت حجج النصارى في زعمهم ألوهية عيسى بأدلة قرآنية عقلية مازمة . وجعلت مسك ختامها اعتراف السيد المسيح نفسه بأنه بشر أرسله الله في نصوص انجيلية تعتد بها الكنائس حتى أيامنا هذه .

وخصصت الفصل الثالث للحديث عن فضائله الخلقية ﷺ ، واستدللت بسموها وكلها فيه على نحو لم يتوفر لبشر قط من قبل ولا من بعد على نبوته ، ولا غرو فقد أدبه ربه منذ الصغر فأحسن تأديبه ، فلما بلغ أشده ، وبعثه ربه ، راح يستقي هاتيك الفضائل من أعذب منهل رباني من القرآن نفسه ، وبرهنت بقوة دلالة مكارمه الخلقية على نبوته ، وعرضت نماذج حية من كمالاته عليه الصلاة والسلام .

وقدمت في الباب الثاني دراسة عن إثبات القرآن نبوة سيدنا

محمد ﷺ .

فتحدثت في الفصل الأول عن ظاهرة الوحي ومنهج القرآن في إثباته ، وعن امكانه عقلاً وعلماً ، وعن إثبات القرآن امكانه . وفصلت

أصناف الوحي في القرآن الكريم ، وعرضت دلائل وقوعه لسيدنا محمد ﷺ برسم مشهده حين كان يوحى اليه ، ومعاناته من الشدة ما يثبت أنه أمر منفصل عن ذاته يتلقاه من لدن حكيم عليم .

وقد تم في هذا الفصل جمع أحاديث الوحي ، وتصنيفها في دراسة جديدة ضافية لهذه الظاهرة الجليلة . واختتمتها بدراسة بيكر لخصائص الوحي .

وعرضت في الفصل الثاني تخرصات المشركين قديماً والمستشرقين حديثاً حول الوحي ، وأجبت عنها بإجابات قرآنية علمية سديدة . وأظهرت بالمقارنة والتحليل أن المستشرقين حذوا حذو المشركين .

ودخلت في الباب الثالث إلى الحديث عن معالم نبوة محمد ﷺ . فتحدثت في الفصل الأول عن : دلائل نبوة محمد ﷺ في القرآن وتصنيفها إلى حسية وعقلية .

وقد تعرضت في الرسالة للبحث في معجزاته ﷺ ، وميزت بين المعجزة والكرامة والسحر ومنجزات العلم التجريبي . وبحمت بتوسع في إعجاز القرآن الكريم حتى يتجلى غرض الإعجاز الأصيل وهو ثبوت نبوة محمد ﷺ . ونظراً لجلالة هذا الموضوع وتميزه رأيت أن أحذو حذو الأجلة من العلماء ، فأفردته في كتاب مستقل ، عنوانه (بَيِّنَات المعجزة الخالصة) وهو القسم الثاني للرسالة ، أسأل المولى الكريم أن يسر نشره .

وعرضت في الفصل الثاني : معالم نبوية في شخص محمد ﷺ ، فقد عصمه الله عن الخطايا والدنايا ، وكان عليه السلام أمياً لا يقرأ ولا يكتب ولم يتلق من أحد علماً ، وأظهرت الآيات أنه متلق مأمور يلقي عتاباً وتوجيهاً في بعض تصرفاته وكان عليه السلام يبرؤ من علم الغيب إلا بالوحي وقد تكفل الله بحجابه من الناس ، وقد أنجز كفالاته له ، فصانته مراراً من هلاك محقق .

وأثبت في الفصل الثالث أن أصول رسالته ﷺ كرسالات سابقه من الرسل ، وأن نبوة محمد ﷺ مصدقة للأنبياء السابقين عليهم الصلاة والسلام ، ولدى الحديث عن تبشير الكتب السماوية ببعثته ﷺ ، في الفصل الرابع ؛ تناولت تقرير القرآن والحديث بشارة الكتب السماوية ببعثته ، ثم تبشير الكتب السماوية المعتمدة لدى أهل الكتاب ، ثم أوردت بشارات كتابية مقبولة وإن لم يعتبرها النصارى (١) .

وجملت مسك الختام عرض خلاصة دلائل نبوة محمد ﷺ في القرآن . وبيان حاجة البشرية إلى الايمان برسالته والعمل بها في كافة الأعصر ، ووجهت دعوة للانسانية كافة لتؤدي واجباً محتملاً تضافرت الدلائل القطعية على اظهاره وهو الايمان بنبوته ﷺ والخروج بطاعته وهدية من الظلمات إلى النور ، وأن توفي مقامه الأسمى ما يستأهله من محبة واجلال ؛ اعترافاً بفضلته واكباراً لجهاده ، فذلك سبيلها لتحظى بسعادة الدنيا ونعيم الآخرة .

وصفوة القول أن هذه الرسالة قد امتازت بما يلي :

أولاً : تطبيق منهج علمي سديد في التفسير الموضوعي ، وقد أوضحناه من قبل .

ثانياً : استنباط دلالات جديدة لبعض آيات الكتاب العزيز تثبت نبوة محمد ﷺ ، وترجيح بعض آراء المفسرين في المراد من آيات أخرى .

(١) اطلعت لدى نشر رسالتي هذه على كتاب (الرسول) للأستاذ الداعية سعيد حوى حفظه الله . وإذا كان بين الموضوعين تقارب ما ؛ فإن هناك تفاوتاً شامعاً في النهج والمحتوى ، ولكل وجهة هو موليا . وقد أثرت عن بعض أسلافنا العلماء الأفاضل هذه القاعدة الذهبية : « لا يغني كتاب عن كتاب » .

ثالثاً : تقديم دراسة جديدة عن أعجاز القرآن الكريم (١) ؛ تضم مجموعة من الدلائل تثبت عجز العرب عن الاتيان بمثل القرآن ، ونفي ما شاع لدى بعض العلماء ؛ من القول بالصرفة ؛ بأدلة قرآنية وعقلية وتعريف للوجه المعجز يقدم لأول مرة ، ونقد آراء العلماء في تحديد أوجه اعجاز القرآن ، وترجيح التحديد الذي ذهبنا اليه في أوجه الأعجاز ، وشرح أوجه الاعجاز من خلال دلالات آيات الكتاب الكريم .

رابعاً : كشف دسائس المستشرقين وكبيرهم (جولد تسهر) ، والاجابة عن شبهات جديدة لهم .

خامساً : لم يخض أحد غمار البحث عن نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم في القرآن ، فقد ألف الموضوع لأول مرة في هذه الرسالة ، فانسم بالجيدة في منهجه وفي تبويبه وتصنيفه ، وقد سلكنا فيه مسالك المناقشة والمحاكمة باستدلالات راجحة . وعرضنا ذلك كله بأسلوب سلس لا تعقيد معه ، واضح لا غموض فيه . فجاءت الرسالة بعون الله وتوفيقه على غير نظير سابق .

ولسنا ندعي أننا قد وفينا بهذه الرسالة الحديث حقه عن نبوة محمد ﷺ في القرآن الكريم ، أو عن المقام الذي أحله الله فيه ونوه به في كتابه ، غير أننا قدمنا جهد المقل في هذا الميدان ، وأظهرنا من دلائل نبوته ما نرجو أن يكون نوراً تستضيء به قلوب الحائرين وترداد به قلوب المؤمنين بصيرة وضياء (قل : هذه سبيلي ادعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين) (٢) .

(١) في الكتاب الثاني من الرسالة : بينات المعجزة الخالدة .

(٢) سورة يوسف : ١٠٨ .

ولنا وطيد الأمل أن يجد شبابنا المثقفون في هذه الرسالة ما يحفزهم على نصره الحق بدلائل الحق . وأن يوقنوا أن دينهم له من أسس الحق العريق ما يجعله أمام عواصف الأزمنة أرسخ من شم الجبال الراسيات . وأن تقوى فيهم بواعث الاعتصام بمجلد الله والاهتداء بهدي رسوله ومسيد خلقه محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

ألا هل بلغت !؟ اللهم اشهد !

الباب التمهيدى

افتقار الانسانية الى الرسل

الفصل الأول : الأدلة القرآنية .

الفصل الثانى : افتقار الانسانية إلى بعثة الرسل .

الفصل الثالث : النبى والرسول وبيان الفرق بينهما .

الرؤية القرآنية

لأبدلنا كي نقدم صورة أصيلة قيّمة عن نبوة محمد ﷺ كما عرضها الله تبارك وتعالى للعرب ، تحقيقاً للغرض الأول من الرسالة ، أن نمرج على الأدلة بصورة عامة ومكانة الأدلة القرآنية ، وبذلك تتجلى عظمة دلائل نبوة محمد ﷺ في القرآن قبل الخوض في تفاصيلها .

لقد قسم العلماء الأدلة قسمين :

(١) أدلة عقلية : وهي كل برهان يستلزم المطلوب ويقيم الحجة عليه بحكم العقل من غير افتقار إلى السماع . فإن كان الدليل أمراً عقلياً مقطوعاً به كان المدلول عليه عاملاً قطعياً ، وإن كان أمراً مرجحاً لم يصل إلى القطع لورود الاحتمال عليه كان المدلول عليه مدلولاً ظنياً .

(٢) أدلة سمعية : وهي كل دليل صح نقله عن من عرف صدقه عقلاً . وهم أنبياء الله عليهم الصلاة والسلام وأفضلهم سيدنا محمد ﷺ . ويدخل فيها آيات الكتاب العزيز وأحاديث النبي الكريم ﷺ . أما القرآن الكريم فقد تواتر نقله فهو دلائل سمعي قطعي الثبوت ، وأما الحديث النبوي فما تواتر منه فهو قطعي الثبوت ، وما وصلنا بطريق أحادي فهو ظني الثبوت .

وقد درج كثير من العلماء على إيراد أدلة السمع في نقاش المسائل للمسلمين وعلى إيراد الأدلة العقلية في نقاش غير المسلمين . ولما اعتبر علماء

الكلام القرآن من الأدلة السمعية فقد عرّف كثير منهم عن التماس الدلائل العقلية فيه ، وعولوا على ما تجود به قرائهم وتحيكه أفكارهم .

ونلفت النظر إلى أن القرآن الكريم قد أورد في قضايا الإيمان جميعها أدلة عقلية قوية ملزمة لا تحتل الرد . ونرى - في جملة ذلك - أن القرآن لم يُلَقَ إلى العرب دعوة الإيمان بنبوة محمد ﷺ مجردة من أدلة صدقه خالية من براهين نبوته ، بل عرض دلائل عقلية قطعية في اثبات نبوته . وبناء على هذا الفهم ، يتقرر أن آيات الكتاب الكريم التي حوت الدلائل قد اجتمع فيها الوصفان معاً ، فهي من الأدلة العقلية القاطعة الدلالة إلى جانب كونها من الأدلة السمعية القطعية الثبوت . وهي بهذا الاعتبار عقلية شرعية ، فهي أجدر الأدلة بخطاب من آمن ومن لم يؤمن على حد سواء ، لذا غدت محور البحث وتصدرت رسالتنا هذه .

وعمدة الأمر أن الاعتصام بجبل الله لا يكون إلا باعتصام بالقرآن والاسلام ، قال تعالى : (واعتصموا بجبل الله جميعاً) (١) فقد حفظ الله كتابه من الخطأ والباطل الذي يتخلل كلام الناس في نقاشهم واستدلّاهم . قال تعالى : (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) (٢) . وقال : (وانه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) (٣) ، وقد ضمنه سبحانه وتعالى الدلائل الرصينة المحكمة والبراهين السديدة البينة قال تعالى : (الر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير) (٤) وقال : (الر تلك آيات الكتاب الحكيم) (٥) .

(١) سورة آل عمران : ١٠٣ . (٢) سورة الحجر : ٩ .

(٣) سورة فصلت : ٤١ - ٤٢ . (٤) سورة هود : ١ .

(٥) سورة يونس : ١ .

فدل على أن القرآن الكريم قد احتوى من دلائل الربوبية والنسبة والمعاد ما لا يوجد في كلام أحد من العباد ، ففيه أدلة أصول الدين المفيدة لليقين .

قال ابن تيمية رحمه الله عليه : (وبين تعالى أنه « أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله » ، ذكر هذا في سورة التوبة والفتح والصف ، والهدى : هو هدى الخلق إلى الحق وتعريفهم ذلك وارشادهم إليه ، وهذا لا يكون إلا بذكر الأدلة والآيات الدالة على أن هذا هدى . وإلا فبمجرد خبر لم يعلم أنه حق ولم يقم دليل على أنه حق ليس بهدى ، وهو سبحانه إذا ذكر الأنبياء - نبينا وغيره - ذكر أنه أرسلهم بالآيات البينات وهي الأدلة والبراهين البينة المألومة علماً يقيناً (١) .

يتبين لك من هذا أن ابن تيمية يعول على المنهج القرآني في إثبات النبوة وفي كافة أبحاث العقيدة ، وهو إلى جانب ذلك ينمى على المتكلمين أساليبهم . وقد خلت من قبله أمة من السلف الصالح جمعت في أبحاثها بين نهج القرآن الكريم ونهج المتكلمين ، منهم حجة الاسلام الامام أبو حامد الغزالي ، وغر الدين الامام الرازي .

ونحن ندعو إلى جعل المنهج القرآني أصلاً تقوم عليه كافة أبحاث العقيدة والتمس الأدلة فيما أدلى به من براهين وآثاره من اشارات لتكون أساس الاستدلال واقام الحجة . وهذا أجدى أسلوب يث ذمات الهداية في شفاف القلوب . وإليه نبه الامام الرازي ، وهو زبدة الخلاصة من تجارب عمره كله ، فقال رحمه الله في آخر مصنفاته « نهاية القول » :

« نهاية إقدام القول عقالٌ وأكثرُ سعيِ العالمين ضلالٌ

وأرواحنا في وحشة من جسامنا وحاصل دنيانا أذى ووبال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا
وقال : ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي - اه (١).

لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيتها تشفي غليلاً
ولا تروي غليلاً . ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن . اقرأ في الآيات
(إليه يصعد الكلم الطيب) (الرحمن على العرش استوى) واقرأ في النفي
(ليس كمثله شيء) (ولا يحيطون به علماً) .

(١) النبوات ص ٥٢ ، و ١٠٨ - ١٠٩ و ١٤٧ و ٢٤٢ ، لكن ابن
تيمية عزا أيضاً قول الرازي الى كتابه (أقسام اللذات) . انظر الرد على المنطقيين
لابن تيمية ص ٣٢١ .

افتقار الإنسانية الى بعثة الرسل

تنبع حاجة الانسان إلى الرسل من طبيعته التي فطر عليها ، ذلك أن هذا الانسان مخلوق عظيم الشأن عجيب الأحوال . أودع الله فيه طاقات عظيمة ومواهب فذة ، امتاز بها على سائر الخلائق . لكن هذه القدرات والمواهب ليست محددة الاتجاه نحو السلامة والحق ، بل تقبل مختلف الاتجاهات من أعلى درجات الحق والخير والطهر إلى أسفل مسافل الباطل والشر والفجور ، تتنازعها في ذلك شتى النزعات . ومن هنا يظهر بجلء أن الانسان مفتقر إلى رسل من الله تنير له الطريق إلى الخير وتهديه السبيل إلى السلام ، وذلك من أوجه كثيرة تنقص أهمها فيما يلي :

(١) الهداية إلى الله :

فقد أثبتت أحداث العصور أن الانسان لا يستطيع أن ينفرد بإدراك الاعتقاد الصحيح بالخالق جل شأنه . فقد مرت على النوع الانساني فترات بعد فيها عهده برسل الله تعالى ورسالاته . فوقع بعض أفرادها في شرك الوهم والتخريف فعبدوا مظاهر الطبيعة كاللكواكب وغيرها ؛ أو عبدوا أصناماً لا تضر ولا تنفع ، تقربوا إليها رغبة ورهبة ، وقدموا إليها الهدايا والقرايين . واستندلهم بعض أدعياء الربوبية كالفرعنة وغيرهم (١) .

(١) والاغريق (اليونان) أمة فديعة ذات حضارة تاريخية مرموقة ، يشيد بها كثيرون . ولكن تحضرها لم يعصمها من التزدي في مهاوي الوثنية . فكانت تتعبد ما لا يحصى من الآلهة . فالبطل منهم يعظم عندهم حتى يصير إلهاً يعبدونه وينصبون =

ولم تخل تلك الفترات من أناس قليلين تفكروا في ملكوت السموات والأرض ، فتيقظت فطرم السليمة على دلائل الخالق المدبر ، ولكنهم تخلفوا عن تقديسه وتنزيهه عن مشابهة المخلوقات ؛ قصوراً منهم عن ادراك جميع صفاته السكالية وأفعاله الحكيمة في خلقه . فكانت معرفتهم قليلة الجدوى قاصرة عن تحقيق الغرض الأسمى فيهم . لذا قضت حكمة الباري تباركت أسماؤه أن يستنقذ الحياري والضالين ، ويصون كرامة الانسان من أن ينحط عنها ، وبذل بالعبودية للعباد أو الجماد ، كما شاءت حكمته أيضاً

= له التائب . كما أن كل مظهر من مظاهر الطبيعة له عندهم إله ، حتى غذا حفظ أسماء هذه الالهة ووعي قصصها أسراً مرهقاً حقاً ، ولم تكن هذه الالهة التي يتعبد لها الاغريق آلهة نبيلة بل هي آلهة تتمتع بما هب ودب من المزايا والصفات . فهي تحقد وتكره وتغار . وبالأجمال لم يكن الاله في نظرم أكثر من انسان كبير يتمتع بمزايا خارقة . ولهذا الالهة كما يعتقد الاغريق خصومات وسخافات . كما أت لها مآسي وحكماء .

وكان من أحب الالهة إلى قلوب الاغريق (باخوس) او (ديو نيسيوس) اله الخمر والحصب والنماء وهو إله ظريف لا يطلب من عباده أكثر من أن يمتنوا في السكر ويستغرقوا في العربة والرقص . وكان الاغريق يحتفلون له مرتين في كل عام مرة لمولده واخرى لوفاته .

فاذا كان الحصب ونضجت الكروم اقيمت الاحتفالات المرحية بعودة هذا الاله فكان الراقصون يقومون على مرتفع من الأرض على شكل جوقة كبيرة يعبرون فيها بالرقص عن فرحتهم به وتتطابق الاغاني المرحية ويحيي رئيس جوقة الراقصين للناس بعض الحكايات المرحية عن هذا الاله الطيب .

واذا كان الجفاف وذبل الكرم كان معنى ذلك موت هذا الاله فيجتمع الناس في احتفال مهيب حيث تتلى الترانيل وتقام الصلوات التي تعبر عن الاسى وتعزف الموسيقى الحزينة . (انظر المسرحية . دكتور عمر الدسوقي ص ٧ - ٨) .

أن يمين على التائبين في التعرف على ذاته ، فتكزمت تعالى على هؤلاء وأولئك والبشر قاطبة بابتعاث رسله ؛ لتعريفهم بجلاله تعالى وكلمه ووحدانيته وتفرده في خلقه . فالفرض الأساسي من بعثة الرسل منذ بزوغ الرسالة الالهية على لسان نوح عليه السلام هو الهداية إلى الله (لقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فقال : يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره . إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم) (١) وعلى هذا تتابع جميع الرسل ، والآيات في ذلك جد كثيرة . ولا يخفى عليك أن الايمان بالله هو أساس الايمان بالنبوة ذاتها . فمن عرف الله حق معرفته تيسر له الايمان بالنبوة وإدراك الحكم الالهية في بعثة الرسل . فان الايمان بالله هو أساس كل شيء في الدين .

وتظل العقول والأفهام في درك القصور عن استطلاع ما وراء هذا الكون المادي المحسوس من عالم الغيب ، حتى تأتيها رسالة الله تدعوها الايمان بالملائكة والجن واليوم الآخر والجنة والنار والوقوف بين يدي العزيز الجبار ، لتناقش الحساب على ما اكتسبت من خير أو شر ، سرّاً أو علناً ؛ في ليل أو نهار .

(٢) الهداية إلى أمر الآخرة :

ترى الانسان إذا بعد عن الايمان بالله واليوم الآخر ، قد رانت على فؤاده الشهوات ، وطمست على قلبه المادة ، واتخذ الغي لنفسه سبيلاً ، فاذا وردت عليه النصائح تكفه عن الظلم أنكر أن يتلقى على عمله أي حساب . (وقالوا : ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر ، وما لهم بذلك من علم ان هم إلا يظنون) (٢) فجاءت الرسالات

(١) سورة الاعراف : ٥٩ وانظر فيها ٦٥ و ٧٢ و ٨٥ .

(٢) سورة المجاثية : ٢٤ .

الالهية تقيم الأدلة على اليوم الآخر . فالذي أوجد الانسان من عتمة العدم هو القادر على اعادة الحياة إليه بعد أن أماته (قل : الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه . ولكن أكثر الناس لا يعلمون) (١).

والله سبحانه واهب الحياة متصف بالعدالة المطلقة والحكمة التامة . فلا بد أن يجعل يوماً للحساب يحشر الناس فيه بعد موتهم فيحاسب كلّ منهم على عمله في الدنيا . وينصب ميزان القسط ويتصف للمظلوم من الظالم . قال تعالى : (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً . وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين) (٢) . ولو هذا الحساب لما كان للحياة في الدنيا معنى مقبولاً ، إذ تكون حينئذ سبباً للظلم . وهذا لا يعقل أبداً ، وهو متناف مع حكمة الله وعدالته . لذلك تنزلت الرسالات الالهية تنبئ الناس أنه يوم كائن لا محالة . فالبشر إذن محتاجون إلى تعريفهم بهذا اليوم المحتوم ، ولعرفتهم هذه فوائد جليلة يتحقق بها صلاح حياة الفرد والمجتمع ، لما في الايمان باليوم الآخر من حض الانسان على الاستقامة في سلوكه ؛ وحمله على التحلى بالأمانة والقيام بالمسؤولية تجاه ربه وتجاه نفسه ومجتمعه ؛ وتنشيطه للاستزادة من طاعة الله والبر بالناس ؛ وتقويته على الصبر وتحمل الشدائد رغبة فيما عند الله من أجر جزيل ، كما يجعله رابط الجأش يقدم على الاستبسال والتضحية في سبيل دينه وأمته .

(٣) تلبية الفطرة الانسانية بالدين الحق :

يشعر الانسان أنه مخلوق يعتريه الضعف والمرض والعجز والموت . وينظر فيما حوله فيتأمل جمال الطبيعة وسحرها ، ويتفكر في أسرارها

(٢) سورة الانبياء : ٤٧ .

(١) سورة الجاثية : ٢٦ .

وعجائبها ، ويرى العالم كله مسيراً بنظام ثابت دقيق ، فيحس في أعماق وجدانه ويدرك بفكره ادراكاً قطعياً مستتباً أنه لا بد لهذا الكون من خالق عظيم أوجده فأبدعه ، ونظمه فأحسن تقويمه ، وسيّره فضببط نظامه وائتلافه وتماسكه . فتنبثق من أعماق فؤاده وصميم فكره إرادة قوية تدعوه أن يدين للخالق ويدعن له ، وأن ينجيه ويستعين به في النوائب والملمات ، وأن ينجت له دائماً لشدة شعوره بفرط احتياجه إليه في السراء والضراء . إن الفطرة البشرية تحمل الوجدان الانساني والفكر والارادة على عبادة خالق الكون وهذا ما أجمله القرآن في قوله تعالى : (فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون) (١) . وقال رسول الله ﷺ : « كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه » (٢) .

فالدين اذن غريزة فطرية ورعة إنسانية عالية خالدة وفكرة بديهية راسخة ، تصطم على سفوحها كافة المحاولات التي تبذل لطمس معالمها في أي نفس إنسانية قوية ، إذا بُذت انحرافات والأوهام وتحررت من ربة الهوى وسلطان الشهوات وعزفت عن الانسياق وراء العصبية الهوجاء . ومستظل النزعة الدينية قوية منيعة ما دام الانسان انساناً فلا يمكن تبديل وجدانه مادام يحس في أعماقه روعة الكون وافقاره إلى خالق مدبر ،

(١) سورة الروم : ٣٠ .

(٢) رواه البخاري ومسلم والطبراني في الكبير وأبو يعلى في مسنده والبيهقي في السنن ، انظر الجامع الصغير ج ٥ ص ٣٣ - ٣٤ المكتبة التجارية القاهرة - طبعة أول سنة ١٣٥٦ هـ ١٩٣٨ م . م / ٣

كما يحس بحاجة هو - ك مخلوق - إلى هذا الخالق وبالحنين إلى مناجاته وعبادته العبادة اللائقة بجلاله وكأله ، ليؤديها خالصة له دون أن يقيم فريسة لأحاييل الكهنة والادعياء والمشعبدين .

فما دام الانسان سليم الفطرة صافي النفس صحيح الفكر فان نزعته الدين ستلازمه ، لأنها أرق ميول النفس وأكرم عواطفها ، وهي وثيقة الصلة بانسانيته التي تميزه عن سائر الكائنات . فكان لا بد في نظر الحكمة الالهية من إسعاف الانسان بالدين الصحيح عقيدة وشريعة وعبادة ليسدو به فيحقق انسانيته .

(٤) الهداية إلى المعاملات الصالحة :

ليس للبشر بالاعتقاد الصحيح وحده غناء واكتفاء ، فالانسان مدني اجتماعي بالطبع ، تقوم فيه غرائز وزوات وميول ، تدفعه إلى تحصيل المال بأي سبيل ؛ والوصول إلى الشهرة والسلطة والارواء الفرزي ما أتيحت له الفرص . ومصالح الناس تلتقي حيناً وتفترق أحياناً ، فلا تعجب من الانسان - وهو يتعرض لسلطان الشهوة والهوى ، وتعميره آفات النسيان والغفلة والخطأ - أن يتيه في معرفة الخير من الشر والحق من الباطل ، يقارب الحق حيناً ، ويتجافى عنه أحياناً كثيرة ؛ سعياً وراء المتعة واللذة والنشوة من كل سبيل . وهنا تتجلى حاجة البشرية الملحة إلى تنظيم مناسب محكم لمعاملاتها ترسم به الطريق السوي ، وتقض به الخصومات والمنازعات ، وتدفع المظالم ، وتحفظ للناس حقوقهم لئلا يظفئ بعضهم على بعض .

قال تعالى : (ولكل أمة رسول فإذا جاء رسولهم قضي بينهم

بالقسط وهم لا يظلمون) (١) (لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط) (٢) .

٥) الهداية إلى الأخلاق القوية :

والإنسان بما جبل عليه من غرائز وانطوى عليه من رغبات تمحوه إلى التمتع والتملك والتسلط .. أحوج ما يكون إلى وازع باطني يحفزه على التزام كريم الحاصل والتحلي بحميد الأخلاق . فالإيمان بالله تعالى وأخذ الوقوف الحتمي بين يديه في اليوم الآخر بالحسبان ؛ أقوى وازع يحمل الإنسان على كبح جماح النفس ، ويعينه على الترقى إلى مستوى إنساني رفيع . فمن أهم مزايا الإنسان الأخلاق العالية ، وإنما يقوم الإنسان بها ، ولا تتفاضل الأمم منها بلغت من الحضارة والرقى إلا بالأخلاق . وهي من أهم أسباب السعادة الفردية والاجتماعية ؛ ومن عوامل بقاء الأمم وخلودها .

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت فان هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

ولكن ما الأخلاق العالية الفاضلة ؟؟؟ ذلك أمر تختلف فيه أنظار الناس ، فمنهم من امتطى صهوة المثالية حتى أبعد النجمة عن الواقع ، خفاء مذهبه في الأخلاق فردياً لا يجد سبيلاً إلى التطبيق الاجتماعي ، وهذا شأن معظم الفلاسفة القدماء والمحدثين . ومنهم من زعم أنه تنزل في مذهبه الأخلاقي إلى الواقع الإنساني ، في حين تراه أسف إلى حيوانية تنزى بئزوات دنيئة يأنف منها كرام النفوس .

فالإنسان - والحال هذه - أحوج ما يكون إلى الخلاص من

(١) سورة يونس : ٤٧ ، (٢) سورة الحديد : ٢٥ .

مثالية خيالية ومن دناءة بهيمية إلى منهج عدل وسط يكفل له أخلاقاً سامية في واقع سعيد . وهذا الذي أنت به الشرائع الالهية . فقد استجمعت الفضائل والمثل العليا . وجمّلت المؤمنين بكرائم الصفات والحلال ، فوثقت بذلك روابطهم الاجتماعية ، ووفرت لهم الطمأنينة والسعادة في مجتمع أخوي متماسك مفعم بالحب والتآزر .

ومما يبين لك مكانة الأخلاق في الشرائع أن الله لما أراد الثناء على رسوله محمد ﷺ ؛ الذي بعثه قدوة للعالمين ؛ امتدحه بما تحلى به من خلق جميل فقال تعالى : (وإنك لعلی خلق عظیم) (١) . وبين الرسول ﷺ غرضاً هاماً من أغراض بعثته فقال :

(إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) (٢) .

(٦) بيان العقوبات الزاجرة :

جاءت الرسائل الالهية بالتنفير من زخارف الدنيا ومتاعها المحرم وحذرت من الشر والفساد . ولكنها لم تسكل الناس إلى وإزعمهم الباطني فحسب . فهناك من ضعاف النفوس من تستهويه الشهوات ، وتستذله المغريات والفساد ، فيقترب ما تسوّل له نفسه من مضار فردية أو اجتماعية . فالله سبحانه وتعالى الذي فطر النفوس هو أعلم بما يصلحها أو يردعها (ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير) (٣) فهو أعلم بالعقاب الزاجر المناسب لكل قبيلة

(١) سورة الفلم : ٣ .

(٢) رواه البخاري في الادب والحاكم في المستدرك والبيهقي في الشعب بلفظ (صالح الاخلاق) . أما بلفظ (مكارم) فرواية له . وهي مشهورة في زماننا . وذكر السيوطي انه حديث صحيح . (انظر الجامع الصغير وشرحه فيض القدير ج ٢ ص ٥٧٢ - الطبعة الاولى المكتبة التجارية الكبرى بمصر) .

(٣) سورة الملك : ١٤ .

يرتكبها الانسان في حق نفسه أو غيره . لذا فقد شرع الله من أنواع العقوبات ما يصون به الانسان ، ويحفظ عليه ضروريات وجوده الانساني من دين ونفس وعقل وعرض ومال .

والشريعة الالهية بما اشتملت عليه من معاملات وأخلاق وعقوبات؛ جاءت تبين للناس الحق من الباطل ؛ والخير من الشر ؛ والواجب والمباح فعله من المحرم المحظور ، لتجولو للافق البشري دائرة الطيب متميزة من الخبيث ، فيستبين للمرء ما ينبغي أن يفعل أو يترك ، وما يترتب على كل من ثواب أو عقاب . وبذلك يمكن للنفس الانسانية أن تصفو من كدر نوايا السوء وفاسد الأعمال . وتتوفر لها أسباب بناء المجتمع الأخوي القوي السليم . فالرسالة الالهية روح العالم ونوره وقوام حياته . وأي خير للعالم إذا عدمه ذلك كله ؟ وأنى له أن يصلح فساد التآزم المتفاقم ؟ فالدينيا زاخرة بالشرور والآثام والفوضى والمظالم إلا ما سطعت عليه أنوار شمس الرسالة الالهية .

فالرسالة بمقيدتها وشريعها مسبب رغد العيش الديني وهنائه ، ومسبب سلوك صراط الهداية السوي ؛ بمعرفة الله حق معرفته ؛ ونيل مرضاته بتنفيذ أمره . وهذا ما يكفل سعادة الآخرة إضافة إلى الحياة الدنيا . قال ابن تيمية رحمه الله : (فالرسالة ضرورية في صلاح العبد في معاشه ومعاده ، فكما أنه لا صلاح في آخرته إلا باتباع الرسالة ، فكذلك لا صلاح له في معاشه ودنياه إلا باتباع الرسالة . فالانسان مضطر إلى الشرع ، فانه بين حركتين حركة يجلب بها ما ينفعه ، وحركة يدفع بها ما يضره . والشرع كالنور الذي يبين ما ينفعه وما يضره ، فهو نور الله في أرضه ؛ وعدله بين عباده ؛ وحصنه الذي من دخله كان آمناً .

وليس المراد بالشرع التمييز بين النافع والضار بالحس ، فإن ذلك يحصل للحيوانات العجم فإن الحمار والجل يفرق ويميز بين الشعر والتراب ، بل التمييز بين الأفعال التي تضر فاعلها في معاشه ومعاده ، والأفعال التي تنفعه في معاشه ومعاده كنفع الإيمان والتوحيد والعدل والبر والصدق والاحسان والأمانة والعفة والشجاعة والعلم والصبر والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وصلة الأرحام وبر الوالدين والاحسان إلى الجيران وأداء الحقوق وإخلاص العمل والتوكل على الله والاستعانة به ؛ والرضا بمواقع أقداره ؛ والتسليم لحكمه ؛ والتوكل عليه ؛ وتصديق رسوله في كل ما أخبروا به وطاعتهم في كل ما أمروا به ؛ وغير ذلك مما هو نفع وصلاح للعبد في دنياء وآخرته . وفي ضد ذلك شقاوته ومضرته في دنياء وآخرته . ولولا الرسالة لم يهتد العقل إلى تفاصيل المنافع والمضار في المعاش والمعاد . فمن أعظم نعم الله على عباده وأشرف منته عليهم أن أرسل إليهم رسوله وأنزل عليهم كتابه وبين لهم الصراط المستقيم . ولولا ذلك لكانوا بمنزلة الانعام وشرأحاً منها . فمن قبل رسالة الله واستقام عليها فهو من خير البرية ، ومن ردها وخرج عنها فهو من شر البرية وأسوء حالاً من الكلب والخنزير وأحقراً من كل حقير (١) .

(٧) الحاجة إلى الداعية القدوة :

يحتاج الناس في تبليغهم رسالة الله إلى وسيلة طبيعية ، يألفها المزاج الانساني ويتجاوب معها . وهم أحوج ما يكونون أيضاً إلى القدوة الصالحة

(١) لوائح الانوار البية المعروفة باسم شرح عقيدة السفاريني ج ٢ ، ص ٢٤٩ - ٢٥٠ للشيخ محمد بن أحمد السفاريني - مطبعة النار بمصر الطبعة الاولى سنة ١٣٢٣ هـ .

التي مجالسونها ويعانون فيها الصورة الواقعية للدين في فيروث الفضائل
محسنة والردائل مجتنبه .

فالحاجة إلى الرسالة حاجة إلى الرسول الداعية القدوة . لهذا اصطفى
الله رسوله عليهم السلام إلى خلقه بشراً من البشر ، وأدبهم بأدبه ، فسموا
في انسانيته ، وترفعوا عن الأطماع والشهوات المحرمة . واستعملوا على الدنيا
وزخرفها فإذا الدنيا عند أقدامهم تراب ، وتحلوا بأفضل الكمالات الخلقية
بأعلى مستوياتها ، فكانوا في ذلك قدوة للناس يقتدون بهم ويحذون حذوهم
خلقاً وعملاً (أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده) (١) ، فالإنسان الذي
تحفه الشهوات وتكتنفه متطلبات الفرائث وتجتاحه الأهواء ؛ أشبه ما يكون
بالمريض ، فلا سبيل له للخلاص من المرض والسقم والفوز بالبرء والعافية
إلا بالطبيب ، فإن لم يأتمر بأمر الطبيب فيعزف عما تميل إليه نفسه من
مغريات وتهواه من متع ولذات ألقي بنفسه إلى التهلكة - لحاجة العبد إلى
الرسول والرسالة أمس من حاجته إلى الطبيب والدواء . فإن أعظم ما
يصيب المرء بالاعراض عن الطبيب وتعاطي الدواء موت الأبدان ، أما إذا
لم يتلقف العبد نور الرسالة ويقتبس منه نعيم فؤاده وحياء قلبه تعاورته
الأسقام والآفات التي لا برء منها ، ومات قلبه موتاً لا ترجى معه حياة ،
ونضبت فيه ينابيع السعادة ، وغشيته أمواج متلاطمة غامرة من التعاسة
الدائمة والشقاء الأبدي .

(٨) تحقيق عدل الله وحكمته ورحمته :

والله سبحانه وتعالى هو الحاكم العدل يكافئ الطائع المحسن ويعاقب

(١) سورة الانعام : ٩٠ .

العاصي المنيء . فلو لم يرسل رسلاً وينزل شرائع توضح الحججة الناصية والصراط المستقيم ، لتوهت الامم أن لها بين يدي حسابها حجة سائغة ومعمدة مقبولة . قال تعالى : (ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولاً فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى) (١) .

لذا أرسل الله بحكمته ورحمته وعدالته رسوله من آدم إلى محمد عليهم السلام ، وأنزل عليهم رسالاته لتقوم على العباد الحجج والبيّنات ، وتنقطع سائر الأعذار والتعلّلات ، فقد أعذر من أنذر . قال تعالى : (رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) (٢) .

لذلك قضى الله وهو أحكم الحاكمين أن لا يعذب أمة لم يوجه إليها رسولاً (من اهتدى فانما يهتدي لنفسه ، ومن ضلّ فانما يضلّ عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً) (٣) .

والله سبحانه حكيم يضع الأمور في مواضعها . فهل من الحكمة أن يدع مخلوقاته العقلاء خيارى تأهين في صحارى الضلال . . .؟؟ إن الحكمة الالهية النامة لتقضى بارسال الهداة المرشدين ، وانزال الرسائل بالحق اصلاحاً لأحوال العباد ورعاية لهم . فلو خلوا وأنفسهم بما جبلت عليه من غرائر وميول لانحرفوا وتظالموا وشقوا في الدنيا والاخرة . فهل يتناسب هذا مع الرحمة الالهية المطلقة ؟؟؟ إن رحمة الله وعنايته وانعامه لتقضى بارسال رسول ينقذ الناس من ظلام الكفر القاتم إلى نور الايمان الساطع الوضاء . إن بعثة الرسل وانزال الشرائع منة من الله تعالى ورحمة على سبيل اللطف بالبشر والفضل عليهم ، وليس ذلك بواجب عليه أبداً .

(١) سورة طه : ١٣٤ . (٢) سورة النساء : ١٦٥ .

(٣) سورة الاسراء : ١٥ .

قال ابن تيمية : (فمن أعظم نعم الله على عباده وأشرف منته عليهم أن أرسل إليهم رسوله وأنزل عليهم كتابه وبين لهم الصراط المستقيم (١)) (٢) .

وجوب الإيمان بالرسول

لقد جرت سنة الله في خلقه أن يبعث لهم رسولاً من أنفسهم ، يُعدهُ سبحانه وتعالى ويرعاه ليكون كفواً للتلقي عنه وأهلاً لتحمل أعباء الدعوة ومشاقها ، حتى إذا اكتمل نموه الجسدي والروحي والنفسي اصطفاه الله لرسالته دون غيره من الناس (الله أعلم حيث يجعل رسالته) (٣) ، (الله يصطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس إن الله سميع بصير) (٤) ، فالإيمان بجميع الأنبياء والرسول واجب من لدن آدم أبي البشر عليه الصلاة والسلام إلى خاتمهم سيد الأولين والآخرين محمد ﷺ . قال ابن تيمية : (فالحمد لله الذي أرسل إلينا رسولاً من أنفسنا يتلو علينا آياته ويزكينا

(١) لوائح الانوار : ج ٢ ص ٢٥٠ .

(٢) ومعتقد أهل السنة أن بعثة الرسل ممكنة ، جائزة على الله سبحانه وتعالى ومضى بعض المعتزلة إلى أنها واجبة على الله ؛ بناء على أصل اتخذوه في مذاهبهم ، هو قاعدة التحسين والتفويض العقلين ، وعلى ما يتفرع عنه من اعتبار الفرض ووجوب الالزام ووجوب رعاية الأصلح ، والأصل فاسد فالتفرع عنه فاسد أيضاً .

فارسال الرسل - عندنا - لمعاودة العقل وتسيده أمر جائز في حقه تعالى . وأنه وقع وحصل فهو واجب وقوعاً أو سماعاً .

انظر شرح المواقف علي بن محمد الجرجاني للتوفى سنة ٨١٦ ج ٨ ص ٢٣٥ الطبعة الأولى سنة ١٣٢٥ هـ ١٩٠٧ م مطبعة السعادة بالقاهرة . وانظر لوائح الانوار البية وسواطع الاسرار الاثرية ج ٢ ص ٢٤٧ - ٢٤٨ .

(٣) سورة الانعام : ١٢٤ . (٤) سورة الحج : ٧٥ .

وبعلمنا الكتاب والحكمة وإن كنا من قبل في ضلال مبين ، ولا بقاء لأهل الأرض إلا ما دامت آثار الرسالة موجودة فيهم . فإذا درست آثار الرسل من الأرض ، وانمحت معالم هدايتهم ، أخبر الله العالم العلوي والسفلي وأقام القيامة ، وليست حاجة أهل الأرض إلى الرسول كحاجتهم إلى الشمس والقمر والرياح والمطر ، ولا كحاجة الإنسان إلى حياته ولا كحاجة العين إلى ضوئها والجسم إلى الطعام والشراب ، بل أعظم من ذلك وأشد من كل ما يقدر ويخطر بالبال . فالرسل عليهم الصلاة والسلام وسائط بين الله تعالى وبين خلقه في أمره ونهيه . وهم السفراء بينه وبين عباده وكان خاتمهم وسيدهم وأكرمهم على ربه محمد ﷺ وعليهم أجمعين يقول : « يا أيها الناس إنما أنا رحمة مهداة » وقال تعالى في حقه : « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » (١) .

إن الإيمان بجميع الأنبياء والمرسلين واجب ، لا مندوحة عنه ، ولا نجاة بدونه . وأجمع العلماء على أن من كفر بواحد منهم معلوم النبوة قطعاً ، أو شبهه أو انتقصه ، فقد كفر . قال تعالى : (آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا يفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير) (٢) .

(١) لوائح الانوار البية وسواطع الاسرار الأثرية (شرح عقيدة السفاريني)

ج ٢ ص ٢٥٠ - ٢٥١ .

وقد أخرج الحديث ابن سعد في الطبقات مرسلاً والحاكم مرفوعاً وقال : على شرطها ، وأقره الذهبي . انظر الجامع الصغير وشرحه فيض القدير ج ٢ ص ٥٧٢ .

(٢) سورة البقرة : ٢٨٥ .

ومن الضلال ؛ زعم بعضهم أن من آمن بالله واليوم الآخر كأهل الكتاب في زماننا وغيرهم دخل الجنة ؛ وإن لم يؤمن بخاتم المرسلين محمد ﷺ . قال تعالى : (إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ، ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً . أولئك هم الكافرون حقاً واعتدنا للكافرين عذاباً مهيناً) (١) .

ولا نعلم عدة الرسل على وجه الحصر يقينا . وما بلغنا في ذلك عن رسول الله ﷺ فإنه من أخبار الآحاد ، وستقرأ عما قليل . وقد ذكر الله بعضهم في القرآن الكريم وأغفل ذكر بعض . قال تعالى : (ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك ..) (٢) والذين قصمهم الله علينا في القرآن خمسة وعشرون رسولاً . قال تعالى : (وتلك حجتنا آتينها إبراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم . ووهبنا له إسحاق ويعقوب كلا هدينا ونوحاً هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس كل من الصالحين وإسماعيل واليسع ويونس ولوطاً وكلاً فضلنا على العالمين) (٣) .

هؤلاء ثمانية عشر رسولاً . وهناك سبعة رسل ذكروا في آيات

(١) سورة النساء : ١٥٠ .

(٢) سورة غافر : ٧٨ وانظر سورة النساء ١٦٤ ؛ وانظر سورة لوائح الانوار البية ج ٢ ص ٢٤٧ - ٢٥٢ .

(٣) سورة الانعام : ٨٣ - ٨٦ .

آخر وهم : آدم وهود وصالح وشعيب وإدريس وذا الكفل ونبينا محمد
صلى الله عليهم وسلم أجمعين إلى يوم الدين (١) .

(١) فقد ورد ذكر محمد صلى الله عليه وسلم في (سورة آل عمران : ١٤٤)
والاحزاب : ٤٠ ومحمد : ٢ والفتح : ١٢٩) وذا الكفل (في الانبياء : ٨٥
وص : ٤٨) وإدريس (في مريم : ٥٦ والانبياء : ٨٥) وشعيب (في
الاعراف : ٨٥ و٩٠ و٩٢ وهود : ٨٤ و ٩٤) والضحكوت : ٣٦ وصالح (في
الاعراف : ٧٧ وهود : ٦٢ والشعراء : ١٤٢) وهود في (٥٣ و ٦٠ و ٨٩
هود ، والشعراء : ١٢٤) وآدم في (٣١ و ٣٣ و ٣٤ و ٣٥ و ٣٧) البقرة ،
ومواطن كثيرة غيرها .

النبي والرسولُ وبيان الفرق بينهما

لفظ (النبي) مأخوذ من الانبياء ، ومعناه الاعلام والاخبار . لكنه في عامة موارد استعماله أخص من مطلق الاخبار فهو يستعمل في الاخبار بالأمور الفائبة المختصة دون المشاهدة المشتركة . كما قال تعالى : (وأنبئكم بما تاكلون وما تدخرون في ميوتكم) وقال : (فلما نبأها به قالت من أنبأك هذا قال نبأني العليم الخبير) . وميز الراغب الأصفهاني النبأ من الخبر فقال : (النبأ ذو فائدة عظيمة يحصل به علم أو غلبة ظن ، ولا يقال للخبر في الأصل نبأ حتى يتضمن هذه الأشياء الثلاثة ، وحتى الخبر الذي يقال فيه نبأ أن يترى عن الكذب كالتواتر وخبر الله تعالى وخبر النبي عليه الصلاة والسلام ، ولتضمن النبأ معنى الخبر يقال : أنبأته بكذا كقولك : أخبرته بكذا ، ولتضمنه معنى العلم قيل : أنبأته كذا . كقولك أعلمته كذا ..) وأورد من الآيات ما يشهد لذلك .

وجمع النبي أنبياء . . وهو من النبأ وأصله الهمزة وقد قرئ بها وهي قراءة نافع ، يقرأ النبي ، لكن لما كثر استعماله لينت همزته كما فعل مثل ذلك في الذرية وفي البرية . وقد قيل هو من النبوة « بفتح النون المشددة وسكون الباء » وهي الملو ، فمعنى النبي : المولى المرفيع المنزلة . قال الراغب : (فالنبي بغير الهمز أبلغ من النبي بالهمز ، لأنه ليس كل منبىء رفيع القدر والمحل) والتحقيق أن رفعة المكانة تلزم النبي بالهمز ، فمن أنبأه الله وجعله منبئاً عنه فلا يكون إلا رفيع القدر علياً .

وأما لفظ العلو والرفعة فلا يدل على خصوص النبوة ، إذ يوصف بهذا من ليس بنبي بل يوصف بأنه الأعلى كما قال : (ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون) . قال ابن تيمية رحمه الله : (وقراءة الهمز قاطعة بأنه مهموز . وما روى عن النبي ﷺ أنه قال : (أنا نبي الله وليست بنبي الله) فما رأيت له اسناداً ، لا مسنداً ولا مرسلأ ، ولا رأيت في شيء من كتب الحديث ولا السير المعروفة . ومثل هذا لا يعتمد عليه) .

وبين رحمه الله أننا إذا اعتبرنا النبي مهموز الأصل فإن الهمزة يمكن أن تلين ، فذلك جائز فتصير حرفاً معتلاً ، فيعبر عنه باللفظين فتزد إليه القراءتان ، بخلاف المعتل فإنه لا يجعل همزة . فيجب القطع بأن النبي مأخوذ من الانباء لا من النبوة (١) .

ولفظا « النبي والرسول » ، إنما يضافان إلى الله تعالى فيقال : (رسول الله ونبي الله) وبذلك جاء القرآن الكريم (٢) . و (النبي) على وزن فاعيل ، يحتمل أن يكون اسم فاعل أو اسم مفعول . ذهب الجوهري إلى أن (النبي) الخبر عن الله عز وجل لأنه أنبأ عنه ، وأنه قراءة مكية ، وأنه فاعيل بمعنى فاعل . وقال ابن بري : صوابه أن يقول : فاعيل بمعنى مُفَعِّل ، مثل نذير بمعنى منذر وأليم بمعنى مؤلم . وذكر سيدييه : أن العرب تركوا الهمز في النبي كما تركوه في الذرية والبرية والحماية ، إلا أهل مكة فانهم يهمزون هذه الأحرف ولا يهمزون غيرها ويخالفون العرب في ذلك .

(١) النبوات ص ٣٢٢ - ٢٢٣ وانظر القاموس المحيط ولسان العرب في (نبأ) و (نبأ) وانظر المفردات في غريب القرآن ، والآيات على الترتيب : آل عمران ٤٩ والتحريم ٣ وآل عمران ١٣٩ .
(٢) سورة البقرة : ٩١ ، والاحزاب : ٤٠ .

ومال الألوسي إلى اعتبار النبي اسم فاعل من أنبأ فهو نبيء الناس عن الله . ورجح ابن تيمية كونه اسم مفعول أي مُنبأ الله . فمعنى النبي - عنده - الذي نبأه الله سواء أنبأ بذلك غيره أم لم ينبئه . وأما الرسول فهو بمعنى مفعول فهو الذي أرسله الله إلى الناس (١) .

وقد اختلف العلماء في الفرق بين الأنبياء والرسل على قولين رئيسيين :

أحدهما : أنه لا فرق ؛ فالنبي رسول ، والرسول نبي . إذ الرسول مأخوذ من تحمل الرسالة والنبي مأخوذ من النبأ . ولعل أصحاب هذا الرأي نظروا إليها من جهة اللفظة فحسب ، فعدوا الرسول اسم مفعول والنبي اسم فاعل ، فلم يجدوا فرقاً فسووا بينها .

ثانيها : أنها مختلفان ، فإن اختلاف الاسماء يدل على اختلاف المسميات ، وهو الراجح - في نظرنا - ويدل له قوله تعالى : (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا أغنى ألقى الشيطان في أمنيه) (٢) فإن عطف نبي على رسول يدل على المغايرة بينهما . كما يدل على التفريق بينها أيضاً ما روى أنه ﷺ : سئل عن الأنبياء فقال : مائة ألف

(١) روح المعاني : ٩ : ٦٩ والنبوات : ١٦٦ - ١٦٧ .

(٢) سورة الحج : ٥٢ . ومعنى الآية : وما أرسلنا من قبلك رسولا ولا نبيا فقرأ شيئا من آيات الله على قومه إلا ألقى الشيطان على أتباعه الشبه فيما يقرؤه ليجادلوه بالباطل . ويطبق التمني على القراءة ، وهو نهاية التقدير ، فإن التالي يقدر الحروف ويتصورها فيذكرها شيئا فشيئا . لكن الله يوفق النبي لابطال تلك الشبه (فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته والله هليم حكيم) . (روح المعاني ج ١٧ ص ١٥٦ - ١٥٧) .

وأربعة وعشرون ألفاً قيل : فكلم الرسل منهم ؟ قال : ثلاثمائة وثلاثة عشر جمّاً غفيراً ، (١) .

وقد انصرف أصحاب هذا الرأي في تحديد الفرق بين النبي والرسول إلى أقوال :

الأول - أن الرسول من بعثه الله تعالى بشرع جديد يدعوا الناس إليه والنبي يعمه ومن بعثه الله لتقرير شرع سابق كأنبياء بني إسرائيل الذين كانوا بين موسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام . واعتمد الجاحظ وابن تيمية وغيرها هذا الرأي .

وشبه ابن تيمية الأنبياء بالعلماء في دعوتهم إلى شريعة الرسول . إلا أنه قد يوحى إلى أحدهم وحى خاص في مسألة معينة . وكذلك كان أنبياء بني إسرائيل كالعالم في شرع التوراة ، وكان يلقى إلى أحدهم فهم خاص في قضية ما ، كما فهم الله سليمان حكم القضية التي حكم فيها هو وداود عليها السلام .

لكن ابن تيمية قد ناقض كلامه هذا في نفس الموضع إذ زعم أن الرسول قد بعثه الله بدون شرع جديد ؛ فقال : « وليس من شرط الرسول أن يأتي بشريعة جديدة فإن يوسف كان رسولاً وكان على ملة إبراهيم وداود وسليمان كانوا رسولين وكانوا على شريعة التوراة » (٢) .

(١) رواه أحمد وابن راهويه في مسنديهما من حديث أبي أمامة ، وأخرجه ابن حبان في صحيحه والحاكم في مستدركه من حديث أبي ذر . وزعم ابن الجوزي أنه موضوع وليس كذلك . وإنما قيل إن في سنده ضعفاً قد جبر بالتأبئة . (انظر روح المعاني ج ١٧ ص ١٥٦) .

(٢) النبوات ص ١٧٢ - ١٧٣ وانظر فيه أيضاً ص ١٦٦ .

وقد عرف ابن تيمية النبي هنا بأنه يعم من له شريعة جديدة ومن دعا إلى شرع سابق . ثم اضاف أن الله ينبئه بأمره وأن النبي ينبيء المؤمنين بأمر الله فاذا أرسل إلى الكفار كان رسولاً .

وهكذا تراه مضطرباً في تحديد الفرق بين النبي والرسول فقد جعل - أولاً - الرسول صاحب شريعة جديدة والنبي صاحب شريعة قديمة أو جديدة ، ثم اعتبر الرسول رسولاً ولو لم يأت بشريعة جديدة .

وحدد في الجولة الثانية الفرق بينها بحسب المرسل اليهم ، فمن أرسل إلى الكفار كان رسولاً ، ومن أرسل إلى المؤمنين كان نبياً . والحق أنه اضطرب كثيراً ، ولسنا في موطن يحتمل سرد اضطرابه كله ويكفي أن نقرر أنه لم يثبت في تحديد الفرق بينها على شيء .

الثاني - أن الرسول من بعثه الله إلى قوم بشرع جديد بالنسبة اليهم وان لم يكن جديداً في نفسه كاسماعيل عليه السلام إذ بعث إلى جرم . والنبي يعمه ومن بُعث بشرع غير جديد كذلك .

الثالث - ان الرسول من له تبليغ في الجملة وان كان بياناً وتفصيلاً لشرع سابق . والنبي من أوحى اليه ولم يؤمر بتبليغ أصلاً ، وإليه ذهب قطرب .

الرابع - الرسول من الأنبياء من جمع إلى المعجزة كتاباً منزلاً عليه ، والنبي من لا كتاب له .

الخامس - الرسول من له كتاب أو نسخ في الجملة ، والنبي من لا كتاب له ولا نسخ .

السادس - أن الرسول من يأتيه الملك بالوحي يقظة والنبي من

يأتيه الوحي ولو مناماً . وهذا يقضي أن بعض الأنبياء لم يوح اليه إلا مناماً فحسب ، وهو بعيد ولا دليل عليه (١) .

وذهب جماهير العلماء إلى أن الرسول من أوحى إليه وأمر بتبليغ الأحكام وإن النبي أعم منه ، فيشمل كل من أوحى إليه سواء أمر بالتبليغ أم لم يؤمر (٢) .

فأنت ترى أن النبي والرسول يشتركان في تلقي الوحي الإلهي . لكن لا يشترط في النبي أن يؤمر بالتبليغ فالنسبة بينها العموم والخصوص المطلق .

والتعريف المذكور لم يراع حد التعريف وهو كونه جامعاً مانعاً . فإذا نظرنا إلى ركن النبوة « الوحي » وبرهانها « المعجز » وشرائطها لدى جمهور العلماء « البشرية والحرية والذكورة وكال العقل والتحلي بالفضائل والعصمة من الرذائل » (٣) ساغ لنا أن فنشئ هذا التعريف : (الرسول

(١) روح المعاني ج ١٧ ص ١٥٦ - ١٥٧ . وأعلام النبوة لآبي الحسن علي ابن محمد الماوردي المتوفى سنة ٤٥٠ هـ ص ٢٦ المطبعة البية سنة ١٣١٩ هـ بالقاهرة والمسيرة شرح المسامرة - الكمال بن الهمام ص ١٩٧ - ١٩٨ المطبعة الأميرية ببولاق .

(٢) روح المعاني ج ١٧ ص ١٥٦ - ١٥٧ وشرح القوائد السلفية للفتازاني ج ١ ص ٥٤ مطبعة كردستان بمصر بسنة ١٣٢٩ هـ . وحاشية عبد الحكيم السيالكوتي على حاشية الحياي على شرح القوائد السلفية ص ١٧٠ وحاشية ابراهيم البيجوري « تحفة المريد على جوهرية التوحيد » ص ٧٧ طبعة ثانية بالازهرية بمصر سنة ١٣٤٢ هـ و ١٩٢٤ م .

(٣) المسامرة للكمال بن أبي شريف شرح المسامرة للكمال بن الهمام ص ١٩٧ - ١٩٨ المطبعة الأميرية سنة ١٣١٧ هـ . ولوائح الانوار البية ج ٢ ص ٢٥٣ - ٢٥٥ . وشرح جوهرية التوحيد - عبد السلام بن ابراهيم اللقاني ص ١٧٩ - ١٨١ .

رجل حر كامل العقل اصطفاه الله من ذوي الخلق القويم فأوحى إليه وأيده بمعجز وأمره بتبليغ شرع) .

ويصدق هذا التعريف على النبي على أن نقول فيه « سواء أمره بتبليغ شرع أم لم يأمره » .

وهذا التفريق هو الحق في رأينا . وهو أسلم الأقوال وأبعدها عن الاعتراضات التي ترد على غيره . ولما اكتفيت في هذا الموضوع بهذا القدر لأنه ليس من صلب الرسالة .

تشریف محمد ﷺ بالنبوة والرسالة :

ومها يكن الفرق بين النبي والرسول فان الله تعالى قد منّ على محمد ﷺ بالنبوة وخطبه بها ، فقال جل شأنه : (يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله باذنه وسراجاً منيراً) (١) وقال : (يا أيها النبي قل لأزواجك) (٢) وأنعم عليه سبحانه بالرسالة وخطبه بها بقوله : (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك) (٣) وقوله : (وأرسلناك للناس رسولاً وكفى بالله شهيداً) (٤) وأشار سبحانه إلى تشريفه بالمتزلتين معاً فقال : (ما كان محمد أباً أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين) (٥) وقال : (الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والانجيل) (٦) .

(١) سورة الاحزاب : ٤٥ . (٢) سورة الاحزاب : ٥٩ وانظر فيها ٥٣ و ٥٥ وفي الحجرات : ٢ وغيرها في القرآن كثير .

(٣) سورة المائدة : ٦٧ . (٤) سورة النساء : ٧٩ وانظر البقرة ١٤٣ و ١٨٥ . وآل عمران : ١٣٢ و ١٤٤ . والنساء : ٥٩ . والمائدة : ٤١ و ٧٥ . وغيرها كثير .

(٥) سورة الاحزاب : ٤٠ . (٦) سورة الاعراف : ١٥٧ .

لقد نبأ الله محمداً ﷺ بوحيه وأرسله تعالى إلى الناس ليبلغهم رسالة ربهم ، فتعتبر الاضافة في كل من الرسول والنبي إلى الله تعالى ، فهو نبي الله وهو رسول الله ، غير أنه قدم في الآية الرسول على النبي لمزيد شرفه .

ومتجدد في الابحاث القادمة أن محمداً ﷺ أهل النبوة والرسالة ، وأن في خصاله ما يدل على نبوته؛ وأنه قد حظى بالوحي الالهي ركن النبوة والرسالة. على أن اثبات صدقه في نبوته يوجب التسليم برسالته والعمل بكل ما جاء به صلى الله عليه وآله وسلم .

الباب الأول

تعريف القرآن بسيدنا محمد ﷺ

الفصل الأول : نشأته وبعثته في القرآن

الفصل الثاني : أوصاف محمد ﷺ في القرآن

الفصل الثالث : أخلاقه ﷺ ودلالاتها على نبوته .

الفصل الأول

نشأته وبعثه في القرآن

نشأته الطاهرة :

أَلِفَ الإنسان أن يشهد في حياته صوراً متنوعة من الفقر والفاقة والبؤس والحرمان . ولعلك لا تجد يتيماً بنأى عن واحدة من تلك المآسي الاجتماعية المتمددة . فأما أن يعيش فقيراً مُعْدِماً لفقد المال والمعيل ، فيجني حياة مليئة بالآلام ، وقد تتناوشه أمراض وعقد نفسية تجعله على الانطواء على نفسه والعزلة عن الناس والنقمة على المجتمع . وإما أن تنزلق قدماه إلى شرك المفسد والجرائم فيعيش في الأرض فساداً ، ويعيش في مستنقعات الشقاء ، سيما إذا كان في مجتمع غارق بالمفسد والجهالات الاعتقادية والعملية لم يتنسم شذا العلم والمدنية ؛ كالمجتمع الجاهلي الذي نشأ فيه محمد ﷺ . فقد ولد يتيم الأب ، وعندما بلغ السادسة من العمر اجتمع إليه يتم الأبوين معاً . ثم مات جده عبد المطلب في الثامنة ، وكفله عمه أبو طالب . لقد نشأ ﷺ يتيماً ، وشب متخففاً من متاع الدنيا وزينتها ، وأمضى الأربعين سنة من عمره مع عرب الجاهلية الأُميين . لم يتصل بالعمل ولا بأهله . ولم يفد إلى الجزيرة في تلك المدة عالم ينتفع الناس من علمه . فظل محمد غافلاً عن الرسائل الإلهية ومعارفها .

إن سيرته الطيبة وسلامته من آفات اليتيم ثم من آثار الفقر والبيئة المنحطة آية كبري على أنه كان عفوناً بعناية الهية خاصة فلقد حفظ الله عليه فطرته سليمة نقية فلم يسجد لصنم قط . وإنما دله عقله على وجود الله فناهج وأخبت له ، تلك هي النشأة المحمدية المعجزة .

أوحى الله إليه في الأربعين من عمره ، وابتعثه للعالمين بشيراً ونذيراً بعد حرمان طال أمده في كل الأمم من رسول يهديهم سواء السبيل . ثم لم يلبث أن تنزل عليه الوحي تباعاً مؤكداً صلة الله رب العالمين بعبده الرسول محمد ﷺ واستمرار بره ورعايته . وقد عرّفنا القرآن الكريم بذلك ، وأزال توهم المشركين في هجر الله نبيه ﷺ (١) . وقرر من حقائق نشأته ما كشف أنه موضع عناية ربانية خاصة . قال تعالى :

(والضحي والليل إذا سجى ، ما ودّعك ربك وما قلى ،

(١) روي البخاري عن جندب بن سفيان رضي الله عنه قال : (اشتكى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يقم ليلتين أو ثلاثاً فجاءت امرأة فقالت : يا محمد اني لأرجو أن يكون شيطانك قد تركك ، لم أره قربك منذ ليلتين أو ثلاثاً فأنزله عز وجل : والضحي والليل إذا سجى ما ودّعك ربك وما قلى) .
— كتاب التفسير —

وأشار الطبري في رواية ان المرأة هي امرأة أبي لهب . واورد من وجه آخر لفظ (حتى قال المشركون) ولا مخالفة ، لانهم قد يطبقون لفظ الجمع ويكون القائل او الفاعل واحداً ، ويعنون بذلك ان الباقيين راضون بما وقع من ذلك الواحد .

وقال ابن حجر (والحق ان الفترة المذكورة في سبب نزول الضحي غير الفترة المذكورة في ابتداء الوحي ، فان تلك دامت اياماً وهذه لم تكن إلا ليلتين او ثلاثاً . فاختلطتا على بعض الرواة . وتحير الامر في ذلك ما بينته) . فتح الباري

والآخرة خير لك من الأولى ، وسوف يعطيك ربك فترضى ،
 لم يمجّدك يتيماً فتأوى ووجدك ضالاً فهدى . ووجدك عائلاً فأعنى .
 فأما اليتيم فلا تقهر ، وأما السائل فلا تنهر ، وأما بنعمة ربك
 فحدث^(١) .

صحيح أن محمداً لم ير بهِ مرب تربية توصل إلى ذاك المستوى الرفيع
 الذي اشتهر به في قومه ، وأنه لم يعطف عليه والد ، ولم يعلمه عالم ،
 فإن الله رب المربين والعلماء قد تولى عبده ورعاه وأعد له المهمة العظمى
 وامتن عليه بما صيّر له إليه بعد أن كان فيما كان ..

ويخاطب الله نبيه : قد كنت يتيماً فانتشلتك يد العناية الإلهية من
 يرث الضياع ، وحمّتك من عواصف التماسه والشقاء التي أكثر ما تعصف
 باليتامى والفقراء ، وكنت خالياً من الشريعة (ما كنت تدري ما الكتاب
 ولا الإيمان)^(٢) . فأزّلها إليك فهذا ولم ترث من أبيك ثروة ، ولم تكتسب أموالاً
 كثيرة فأعطاك الله ما يكفيك فأغناك ، وأورث قلبك رضى واطمئناناً بما

(١) سجي : غطى بظلامه كل شيء ، أو سكن اهله . ودعك : تركك
 قلى : أبفض . عائلاً : فقيراً ، من عال : افتقر . فلا تقهر : لا تحتقر اليتيم ،
 أولاً تذهب بحقه كما يفعل الجاهليون نظراً لضعفه . تنهر : تزجر وتغلظ القول .
 ستجد تمام تفسير السورة عند الحديث عن : رعايته الايتام والارامل والفقراء ؛ في
 الفصل الثالث .

(انظر حاشية المجل على الجلالين ج ٤ ص ٥٤١ وما بعدها - طبع عيسى
 البابي الحلبي - بمصر . وتفسير القرآن العظيم - ابن كثير ج ٤ ص ٥٢٢ وما بعدها
 - طبع عيسى البابي الحلبي - مصر) .

(٢) سورة الشورى : ٥٢ .

لديك ، فاستغنت نفسك عما في أيدي الناس (١) . وليس الغنى عن كثرة المال والمتاع ولكن الغنى غنى النفس .

قال القاضي عبد الجبار في قوله تعالى : (ألم يجدك يتيماً فآوى) .
 « فتأمل في هذا فإنه ﷺ ما عرف العز بالأبوين كما يعرف من رباه أبواه ، فإن أباه مات وهو حمل ، وماتت أمه وهو رضيع ، فآواه الله أكرم إيواء . فلما كمل آتاه النبوة وعصمه وصانه وأخبره أن الآخرة خير له من الأولى ، فإن آخر أمره في عاجل الدنيا في النصرة والعز ، وثواب الآخرة خير من الأولى (ووجدك ضالاً فهدى) أي ذاهباً عن النبوة لا تدري ما هي ولا تعرف القرآن ، (٢) .

ومن أعجب العجب أن تجد واحداً ممن قصصوا بعض المراكز العلمية الإسلامية على حين غرة من علماء الاسلام المخلصين ، يتشذق زاعماً أن سيدنا محمد ﷺ كان ضالاً كضلال الجاهليين ، تحيزاً منه للعصبية الجاهلية ، التي نبذها الاسلام . وقد جهل أن الرسول لم يسجد قط لصنم كما جهل تفسير الآية - الذي نوهنا به - وأن أحداً من المفسرين لم يتورط في تلك الجهالة العمياء والغباوة الصماء (٣) !!

وليس أشقى للعليل وأروى للقليل - في هذا المقام - من مطالعة قيس من تفسير الشيخ محمد عبده لهذه الآية الكريمة : (ووجدك ضالاً فهدى

(١) انظر تفسير الآية في حاشية الجمل على الجلالين ج ٤ ص ٥٤٨ . ما بعدها ..

(٢) تثبيت دلائل النبوة - للقاضي عبد الجبار المتوفى سنة ٥٤١٠ هـ ص ٨٥ نشر دار العربية - بيروت . أقول : والمشهور في كتب السيرة أن أمه صلى الله عليه وسلم ماتت في السادسة من عمره .

حيث يقول : « نشأ محمد ﷺ موحداً لم يسجد لصنم ، وطاهر الخلق لم يقترب فاحشة حتى عرف بين قومه بالأمين . فضلال الشرك وضلال الهوى في العمل كانا بعيدين عن ذاته الكريمة ، يرهبان الدنو من نفسه القوية نزهه الله عنها من أول أمره ليعلم منزلته عند من يرسل اليهم ، فيسمعوا قوله ويهتدوا بهديه .

« ولكن للضلال أنواع آخر : منها اشتباه المآخذ على النفس حتى تأخذها الحيرة فيما ينبغي أن تختار . وأعظم أنواع الضلال كانت الحيرة في أمر العرب أنفسهم ، يرام ﷺ في سخافة عقائدهم وضعف بصائرهم باستيلاء الأوهام عليهم ؛ وفساد أعمالهم وشؤم تلك الأعمال في أحوالهم ؛ وتفرق كلمتهم ؛ وتقانيهم بتسافك الدماء ؛ واشرافهم على الهلاك باستعباد الغرباء لهم وتحكم الأجانب فيهم - الحبشة ثم الفرس من جانب والرومان من جانب آخر - ثم هم في غفلة عن مصيرهم يفرون من الذل ويمدون أيديهم إلى أسبابه ، ويفرون من الموت وهم يتدافعون على أبوابه .

« فما العمل في تقويم عقائدهم وتخليصهم من تحكم عاداتهم فيهم ؟ وأي طريق ينبغي أن تسلك في إيقاظهم من سباتهم ؟ ومن أي الأبواب يمكن أن يدخل إلى قلوبهم ؟ وما أشدها حيرة على الصديقين وما أعظمها ظلمة تغشى السالكين من أهل الصدق واليقين إلى أن يكشفها الله بالنور المبين . وهي حيرة لم يكمل الحظ من شرفها إلا للنبين والمرسلين صلوات الله عليهم أجمعين .

« فهذا هو الذي عناه الله بالضلال في هذه الآية الكريمة . وما أعظم الهداية في ذلك الضلال ، وما أجدره بالكمال من الرجال وبعد هذا وهذا ؛ من اهتدى إلى الله وعرف أنه خالق الخلق كلهم ؛ وأنه وحده المستحق للعبادة دون أحد منهم . هل يدري بنفسه بغير وحي

الهي كيف يعبده ؟ وبأي وصف يصفه ويمجده ؟ والناس من حوله قد شبهوه بخلقه ، وقاسوه على ما يعرفون من صنعه . أفلا يحار الموحد كيف يصف ربه وبأي الوسائل يطلب قربه ؟

« كل هذه الضروب من الحيرة كانت من حظّه عليه السلام قبل ان تطالع عليه شمس النبوة ، وللخلاص منها كان يطلب الخلوة بفار حراء ، ويتلمس هداية ربه في جوانب قلبه إلى أن سطع عليه نور الوحي فانتشله من هذا كله ، واختار له ديناً قويمًا وعلمه كيف يرشد قومه ومسّ له الطريق في تخليصهم وتخليص العالم مما كان فيه من فساد العقل وسوء العمل ، وهداه إلى وصف ذاته بما يليق بذاته وأي نعمة أكبر وأجل من هذه النعمة ؟ .

« هذا هو معنى قوله (ووجدك ضالاً فهدى) . وهو معنى قوله في سورة الشورى : (وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم صراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض ، ألا إلى الله تصير الأمور) (١) .

« وليس في وصف النبي ﷺ بالضال على هذا المعنى شين له او حط من شأنه ، بل هذا هو غفره عليه السلام واكليل مجده : لم يكن عالماً فعلمه الله ولم يكن مطلعاً الى الغيب فأطلعّه الله » (٢) .

(١) سورة الشورى : ٥٢ - ٥٣ .

(٢) تفسير جزء عم - محمد عبده - ص ٨٤ - ٨٥ مطابع الشعب بمصر وانظر رسالة التوحيد له ص ١٣٦ الطبعة الرابعة عشر في دار النار سنة ١٣٧١ .

بعثته صلى الله عليه وسلم :

حفظ الله محمداً ﷺ من ضلال الجاهلية وغوايتها ووجه قلبه إليه فأخذ يناجيه ويعبده وحده لا شريك له . ثم جعل يعتزل الناس في غار حراء الأيام والليالي يعكف فيها على عبادة الله حتى بعث الله إليه جبريل ملك الوحي فكان أول ما أوحى إليه ربه : (اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم) (١) .

وظل رسول الله ﷺ مستخفياً بدعوته حتى أمره الله أن يواجه المشركين بها وأن يجهر بها بين ظهرانيهم . فقال تعالى : (فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين) (٢) .

وقد أمره أن يبلغ الدعوة أول من يبلغ أهله وقومه . فقال : تعالى : (وأنذر عشيرتك الأقربين واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين) (٣) .

روى الامام أحمد عن ابن عباس رضي الله عنها قال : لما أنزل الله عز وجل (وأنذر عشيرتك الأقربين) أتى النبي ﷺ الصفا فصعد عليه ثم نادى : (يا صباحاه) فاجتمع الناس إليه بين رجل يهجو إليه وبين رجل يبعث رسوله ، فقال رسول الله ﷺ : (يا بني عبد المطلب يا بني فهر يا بني لؤي ، أرايتم لو أخبرتم أن خيلاً بسفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم صدقتموني ؟) قالوا : نعم ، قال : (فإني نذير لكم بين

(١) سيمر الحديث بتمامه في الفصل الأول من الكتاب الثاني .

(٢) سورة الحجر : ٩٤ . اصدع : اجهر . وانظر تفسير ابن كثير ج ٢

ص ٥٥٩ . (٣) سورة الشعراء : ٢١٤ - ٢١٥ .

يدي عذاب شديد) ، فقال أبو لهب : تبأ لك سائر اليوم أما دعوتنا إلا لهذا ؟ وأنزل الله (تبأ يدا أبي لهب وتب) (١) .

دأب رسول الله ﷺ على تبليغ الرسالة وأداء الأمانة خاطبه ربه جل شأنه مبيناً بقوله : (فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر إلا من تولى وكفر فيعذبه الله العذاب الأكبر) (٢) إن الله بعثك إلى الناس مذكراً هادياً لتبث فيهم أنوار دينه الحق فتجذبهم من ظلمات الجهل والكفر إلى نور العلم والهدى ، وتقتدّم من حميم الجحيم حيث يخلد أهل الضلال والانحراف إلى مراتب النعيم حيث يسعدون في الجنة مع المقربين والصدّيقين والشهداء والصالحين . فأنت الرحمة الإلهية الوافرة للناس جميعاً . (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) (٣) .

وقال رسول الله ﷺ : (إنما أنا رحمة مهداة) (٤) .

(١) رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وانظر تفسير الآية في ابن كثير ج ٣ ص ٣٤٩ وما بعدها .

(٢) سورة الفاشية : ٢١ - ٢٤ وقال تعالى : (نحن أعلم بما يقولون وما أنت عليهم بجبار فذكر بالقرآن من يخاف وعيد) سورة ق : ٤٥ وانظر شرح الشفاء - ملا علي القاري ج ١ ص ٤٢ - ٥٢ - ٥٣ - ١٢٤ ، وحاشية الجمل على الجلالين ج ٣ ص ٢٤٢ - ٢٤٣ .

(٣) سورة الانبياء : ١٠٧ وانظر الجمل على الجلالين ج ٣ ص ١٤٩ .

(٤) أخرجه ابن سعد في الطبقات مرسلًا والحاكم مرفوعًا وقال : على شرطها ، وأقره الذهبي . انظر الجامع الصغير وشرحه فيض القدير ج ٢ ص ٥٧٢ .

الفصل الثاني

أوصاف سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في القرآن

- رسول أمي مبشر به .
- بشرية الرسل جميعاً .
- بشرية نبينا محمد صلى الله عليه وسلم .
- افتراضات تعلق بها المشركون لعدم ايمانهم .
- بشرية عيسى عليه السلام .

رسول أمي مبشر به

أسبغ الله على محمد ﷺ أوصافاً كمالية بهية ، هي المستوى الاسمي الذي تطمح إليه الانسانية ، وقد تحقق محمد بهذه الأوصاف تحقّقاً مثالياً لا يضاهي ، حتى غدت أوصافه كافية للتعريف به وتأكيد صدقه فيما يبلغ عن ربه عز وجل . وقد أشاد الله بهذه الصفات في كتابه الكريم ونوه بها مبشراً بمقدمه في التوراة والانجيل ، قال تعالى : (الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجذونه مكتوباً عندهم في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحيل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم ، فالذين آمنوا به وعزّروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون) (١).

إن المتقين الصادقين ليحذون حذو الرجل الذي تلقى الفيض عن الذات الالهية ، وقام بتبليغ الرسالة الموكول إليه تأديتها . وهم يتعرفون إليه بأوصافه :

(١) سورة الأعراف : ١٥٧ . والإصر : الثقل الذي يأسر صاحبه أي يحبس من الحراك لثقله . وهو مثل الثقل تكليفهم وصعوبته . وكذلك الأغلال ، ومفردتها : غل ، وهو الحديدة التي تجمع يد الأسير إلى عنقه ، وعزوره : عظموه ووقروه . والنور : القرآن الذي أنزل مع نبوته .

(انظر تفسير ابن كثير ٢ : ٢٥٤ والكشاف للزمخشري ٢ : ١٣٠ المكتبة التجارية طبعة ثانية . وصفوة البيان ، لمعاني القرآن . حسنين مخلوف : ١ : ٢٨٣ طبع دار الكتاب العربي بصر) .
٩ / م

فهو أي لا يقرأ ولا يكتب ، بشر الله ببعثته في توراة موسى وانجيل عيسى عليها الصلاة والسلام مبيناً فيها اسمه ونعته ، يقوم فيهم بتنفيذ شرع الله ، فيأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ، يحل لهم طيبات حرمت عليهم في شرعهم فأحلها الله في شريعته ، ويحرم عليهم خبائث حظر الله تناولها في شريعته دون شرعهم . فوسع الله ويسر ببعثته ما كان عليهم ضيقاً حرجاً ، وساعدهم على رغد العيش ورحب الحياة . وسيأتيهم هذا الرسول ؛ تجاه ما تشددوا فيه فشدد الله أحكامه عليهم ؛ بالفرج القريب والمخرج السهل . فان شريعته ستحل عنهم وثاق الأحكام التي قيدوا بها عقوبة لهم على تشددهم المستمر ، فلا حاجة فيها لقتل التائب ، ولا داعي لقطع الأعضاء الخاطئة ، وقرض موضع النجاسة من الثوب ، وستبجح لهم أخذ الدية والعمل يوم السبت وما إلى ذلك ...

كل هذه الصفات من كونه رسولاً ، أمياً مبشراً به في الكتب السماوية السابقة مأموراً بتبليغ شريعة الهية للناس ، تقدم بين يدي الفكر صورة لرجل من الناس بشر كسائر البشر غير أنه حظي بمنة الرسالة الالهية . ولا بد لنا من التوسع في دراسة أميته ﷺ ودلالاتها ومنحقق ذلك فيما بعد إن شاء الله تعالى . ويتحتم علينا قبل دراسة بشريته عليه الصلاة والسلام أن نستطلع سنة الله في اصطفاء الرسل جميعاً ؟

بشيرة الرسل جميعاً

وهل يكون الرسول مبشراً ... ؟ ؟

سؤال دار على السنة جميع المكذبين وأعداء الرسل على التعاقب أمة بعد أمة من عهد نوح إلى محمد عليه الصلاة والسلام . سؤال عام

كهذا يعبر عن منهج مشترك بين دعائم الضلال منذ انبثق أول شعاع الهي،
 يشق مساراً قوياً عبر ظلام الكفر الكشيف على لسان نوح عليه السلام
 (فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما نراك إلا بشراً مثلاًنا . .) (١)
 وبفس المنطق كذبت ثمود نبيها صالحاً عليه السلام وانطلق أصحاب الأيكة
 قوم سيدنا شبيب يكذبونه بنفس التهمة (٢) . وقد أثار فرعون وقومه
 نفس الشبهة على موسى وهارون عليها السلام : (فقالوا أنؤمنُ لبشرين
 مثلاًنا) (٣) . وتعاقبت الأقوام تكذب رسلها بحجة أنهم بشر منهم يعيشون مثلم
 (. . ما هذا إلا بشراً مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون .
 ولئن أطعتم بشراً مثلكم إنكم إذا لخاسرون) (٤) .

فن أهم الأسباب التي تذرع بها أعداء الرسل عامة في تكذيبهم
 أنهم بشر مثلم فكيف يتنزل عليهم الذكر من بينهم خاصة (٥) . وكان
 جواب الرسل دائماً في غاية التأكيد والاثبات لبشريتهم . وأن ما أتوا به
 قومهم ليس إلا منة الهية تناهلم خاصة . انطلق هذا الجواب من نوح
 عليه السلام وتتابع عليه الرسل صلوات الله عليهم (ولا أقولُ لكم عندي
 خزائنُ الله ولا أعلمُ الغيب ولا أقولُ لكم إني ملك . .) (٦) ،
 وهكذا نفى نوح عليه السلام عن نفسه أي صفة تخرجه من دائرة البشرية؛
 مؤكداً أنه كغيره من حيث الخلقة والقدرة . وعلى هذا المتوال سار اخوانه

(١) سورة هود : ٢٧ - وانظر سورة المؤمنين : ٢٣ .

(٢) انظر سورة الشعراء : ١٥٣-١٥٤ و ١٨٥-١٨٦ وسورة القمر : ٢٣-٢٤

(٣) سورة المؤمنون : ٤٥ - ٤٧ .

(٤) سورة المؤمنون : ٣٣ - ٣٤ .

(٥) انظر سورة القمر : ٢٣ - ٢٥ وسورة التغابن : ٥ - ٦ .

(٦) سورة هود : ٣١ .

من بعده ؛ مثبتين لأنفسهم البشرية ؛ معلنين أن الرسالة فضل من الله عز وجل يختار لها من يشاء من عباده (قالوا إن أنتم إلا بشرٌ مثلنا تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا فأتونا بسلطانٍ مبين . قالت لهم رسلهم إن نحن إلا بشرٌ مثلكم ولكن الله يُخبرُ على من يشاء من عباده . وما كان لنا أن تأتيكم بسلطانٍ إلا بأذنِ الله ، وعلى الله فليتوكل المؤمنون) (١) .

بِسْمِ رَبِّنا مُحَمَّد ﷺ

تفرض عداوة الرسل على أصحابها نهجاً مؤتلف المعالم متفق الغايات فالكفر ملة واحدة على الرغم من اختلاف الأزمنة وتباين البيئات . فكما استنكر الأقدمون من أعداء الرسل بشرية رسلهم استنكرها مشركو قريش ومن والاهم ، واتخذوها ذريعة للتكذيب والاستمرار على الكفر والتضليل . وقد وبخهم الله على تذرعهم هذا فقال : (الر . تلك آيات الكتاب الحكيم . أكان للناس عجباً أن أوحينا إلى رجلٍ منهم أن أنذر الناس وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدقٍ عند ربهم ، قال الكافرون إن هذا لساحرٌ مبين) (٢) .

وتتابعت الآيات تكشف جريان السنة الالهية على اختيار الرسل - بما فيهم محمد ﷺ - رجالاً من الناس ، يتمتعون بكافة خصائص الجسد البشري وصفاته ، وبما أنهم كانوا يتعاطون مستلزمات الجسد واحتياجاته من طعام وشراب . . فلا بد أنهم بشر من البشر ، ولا بد أن يصيروا إلى عالم آخر ، إذ لا خلود لبشر في الحياة الدنيا .

(١) سورة ابراهيم : ١٠ - ١١ . (٢) سورة يونس : ١ - ٢ .

(وما أرسلنا قبلكَ إلا رجالاً فوحى إليهم فاسألوا أهلَ الذكرِ إن كنتم لا تعلمون ، وما جعلناهم جسداً لا يأكلون الطعامَ وما كانوا خالدين . ثم صدقناهم الوعدَ فأنجيناهمُ ومن نشاءُ وأهلكنا السرفين . لقد أنزلنا إليكم كتاباً فيه ذكركم أفلا تمقلون ؟) . (وما جعلنا لبشرٍ من قبلكَ الخلدَ أفانِ متةً فهم الخالدون) (١) .

وقد قرر القرآن على وجه الخصوص أن محمداً ﷺ بشر كسائر بني قومه إلا أن الله اختصه بكرامة الرسالة (قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إليّ أنما ألهمكم إله واحد ، فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً) (٢) وقد أمره أن يعلن عن قدرته وطاقته بأنها أوصاف وطاقة بشر لا تتمدها في قليل أو كثير (قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إني ملك إن أتبع إلا يوحى إليّ . قل هل يستوي الأعمى والبصير ؟ أفلا تفكرون ؟) (٣) .

وهام أولاء اشراف قريش يجتمعون ذات مساء لدى الكعبة فيعثون في طلب رسول الله - ﷺ - فحضر إليهم فعرضوا عليه المال والشراف والملك ليترك دعوته فأبى ذلك كله . فطلبوا منه أموراً على سبيل المعاجزة - غير راشدين ولا مسترشدين - إننا اصراراً على الكفر وعناداً للحق الأبلج . طلبوا إليه أن يسأل ربه ليوسع لهم رقعة مكة التي ضيقها الجبال .

(١) سورة الانبياء : ٧ - ١٠ و ٣٤ . وانظر يوسف : ١٠٨ - ١٠٩ وسورة النحل ٤٣ - ٤٤ .

(٢) سورة الكهف : ١١٠ . وانظر سورة فصلت : ١ - ٦ .

(٣) سورة الانعام : ٤٩ .

فيزيح جبالها ويفجر خلالها أنهاراً كأنهار الشام والعراق ليرغد عيش ساكنيها وتكثر أموالهم . وأن يبعث لهم من مات من آبائهم . فأجاب عليه السلام : (ما أنا بفاعل ، ما أنا بالذي يسأل ربه هذا . وما بعث إليكم بهذا . ولكن الله بعثي بشيراً ونذيراً ، فإن تقبلوا ما جئتكم فهو حظكم في الدنيا والآخرة وإن تردوه عليّ ، أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم) .

قالوا : فأسقط السماء علينا قطعاً . . فقال : (ذلك إلى الله إن شاء فعل بكم ذلك) ، فقال قائلهم : لن نؤمن لك حتى تأتينا بالله والملائكة قبيلاً ، أو يكون لك بيت من ذهب ، وترقى إلى السماء ، وتنزل منها علينا كتاباً . فنزلت الآية الكريمة تعرض تحجر عقولهم وسقم أفهامهم ، وتفصح عن حقيقة الرسول (وقالوا إن تؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيراً أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً أو تأتي بالله والملائكة قبيلاً ، أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه . قل مسبحان ربّي هل كنت إلا بشراً رسولا ؟) (١) .

وأمر الله نبيه أن يعلن أنه لا يقني عن أحد من الله شيئاً . فلا يملك من دون الله جلب نفع أو دفع ضرر . كما لا يقدر أن يسقي أحداً كأس الهداية مائفة ، أو يطرح عنه أورام الضلال ، ولو كان أحب

(١) سورة الاسراء : ٩٠ - ٩٣ - ومناسبة النزول من رواية ابن جرير الطبري بتصرف يسير - انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ٣ ص ٦٢ - ٦٣ طبع عيسى البابي الحلبي - مصر .

الناس وأقربهم إليه . فانه لا يملك للناس إلا أن يبلغهم رسالة الله .
 (قل إنما أدعو ربي ولا أشركُ به أحداً . قل إني لا أملكُ لكم ضرراً
 ولا رَشْداً . قل إني لن مُبِيرَتي من الله أحداً ولن أَجِدَ من دونه
 مُلتحداً إلا بلاغاً من الله ورسالاته ومن يعصِ اللهَ ورسوله فإن له نار
 جهنم خالدين فيها أبداً) (١) .

(عن أبي هريرة رضي الله عنه قل : قال رسول الله ﷺ :
 يا مشر قريش اشتروا أنفسكم لا أُعْغِي عنكم من الله شيئاً ، يا بني عبد مناف
 لا أُعْغِي عنكم من الله شيئاً ، يا عباسُ بن عبد المطلب لا أُعْغِي عنك من
 الله شيئاً ، يا صفية عمة رسول الله لا أُعْغِي عنك من الله شيئاً ، ويا فاطمة
 بنت محمد سأليني ما شئت من مالي ، لا أُعْغِي عنك من الله شيئاً) (٢) .

فالرسول محمد ﷺ لا يملك لنفسه ولا لأتباعه المؤمنين موتاً ولا
 حياة ولا نشوراً إلا أن يشاء الله رب العالمين (قل أرأيتم إن أهلكتني
 الله ومن معي أورحمتنا فمن يجير الكافرين من عذاب أليم) (٣) .
 فهو معرض للهلاك والموت ، وصفاته من هذه الناحية بشرية محضة ،
 يأكل ويشرب ويحيا ويموت ؛ كصفات سابقيه من الرسل فقد ابتعته الله
 على سنتهم ، (وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام
 ويمشون في الأسواق) (٤) فأحوال كل منهم دليل قاطع على بشريته .
 وأحوال محمد شبيهة بأحوالهم . وما خاتمته إلا انتقال من الحياة الدنيا

(١) سورة الجن : ٢٠ - ٢٣ . وملتحداً : ملجأ .

(٢) رواه البخاري ومسلم ومعنى اشتروا أنفسكم : أهدوها من عذاب الآخرة .
 لا أُعْغِي عنكم من الله شيئاً : لا تنفعكم قرابتكم مني إلا بالإيمان والعمل الصالح .

(٣) سورة الملك : ٢٨ . (٤) سورة الفرقان : ٢٠ .

كخاتمهم (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين) (١) .

افتراضات تعلل بها المشركون لعدم إيمانهم

ان التمشي مع منطق أعداء الرسل في استبعادهم بشرية الرسل ، يوقفنا أمام سؤال ملح لا بد من التفكير فيه والاجابة عنه ، ذلك أنه إذا لم يجعل الله الرسول من البشر فكيف يبلغ للناس رسالاته .؟؟!!

هناك افتراضات متعددة ينصرف إليها الذهن في هذا المقام . وقد تعلل بها المشركون في امتناعهم عن الايمان بعد ظهور البرهان :

اولاً - طلب التلقي عن الله مباشرة :

تطلب المشركون أن يكلمهم الله أو يوحي إلى كل منهم . وسجل القرآن تماديهم في هذا العناد فقال : (وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا . لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتواً كبيراً) (٢) .

وقد رد القرآن ذلك بأنه طلب بعيد عن الجسد ، مبعثه التكبر عن الحق ومجاوزة الحد (لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتواً كبيراً) .

وها نحن أولاء نجد العلم الحديث يقرر حقائق في حدود طاقة الانسان ، تثبت أن تطلّع الناس إلى منصب النبوة إنما هو استعلاء منهم ومجاوزة لحدود حدم الله بها ، ويستحيل عليهم تحليها . فبصر الانسان

(١) سورة آل عمران : ١٤٤ . (٢) سورة الفرقان : ٢١ .

مثلاً ، يمتد إلى أبعاد دون أخرى ، ويصير موجودات دون غيرها .
 فالأشعة غير المرئية (السينية) وجدها الانسان في الطبيعة ، ثم
 اصطنعها واستخدمها في التقاط صور لجسده . وعلى الرغم من اختراقها
 أعضاء جسمه فانها غائبة عن بصره ! ! وسمع الانسان أيضاً محدود بمعتبين
 أولاهما - العتبة الدنيا ، فهو لا يلتقط الأصوات التي تنخفض حدتها عن
 العتبة الدنيا لسمعه ، وهي أصوات ناعمة يزخر بها الكون . كما لا يستوعب
 الأصوات التي تتجاوز قوتها العتبة العليا للسمع الانساني ، وهي العتبة
 الثانية ، كالأصوات الناتجة عن تحركات السوائل في باطن الأرض قبل
 حدوث الزلازل . فان الانسان لا يسمها لشدة ارتفاعها . والعقل البشري
 يدرك أموراً وتفوته أمور كثيرة في جملتها أو تفصيلها أو في كليها معاً .

كل هذا يدل دلالة أولى على أن الانسان عاجز عن تلقي خطاب
 الله مباشرة لعدم لياقة طبيعته لذلك فلا مسوغ لطلب المشركين ذاك ، سيما
 وأن الله قد أقام لهم الدلائل القاطعة على صدق الرسول ، وأورد عليهم
 البراهين الكفيلة بهداية الذين يبتغون باخلاص الوصول إلى اليقين . ويظهر
 هذا بجلاء أن تطلبهم ذلك شطط سمج لا مبرر له إلا المكابرة والعناد ،
 كشأن الجاحدين قبلهم . قال تعالى : (وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا
 الله أو تأتينا آية !؟ كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم ، تشابهت
 قلوبهم . قد بينا الآيات لقوم يوقنون) (١) .

يجب أن لا ننسى أن الانسان يعيش في الدنيا فترة الاختبار ،
 وأن تحقيق طلبهم ينقلهم إلى حال الاجبار والاضطرار ، وأن التلقي المباشر
 للأمور والأحكام بصورتها الذهنية المجردة لا يجدي مع معظم الناس في

الناحية التطبيقية العملية ، فهم أحوج ما يكونون إلى الرسول القدوة وأتباعه الدعاة ، ليشهدوا الدين على بساط الواقع والتطبيق العملي ، فهو المقصود الأساسى من الشرائع فإنها لم تنزل لمجرد استماعها والتعرف النظري إليها (١) .

ثانياً - طلبهم ان ينزل الله ملكاً يبلغ الناس :

تعاقب أعداء الرسل في تكذيبهم على سلوك هذا السبيل في الإنكار . تشبث به قوم نوح عليه السلام ومن بعدهم أقوام آخرون كعاد وشمود . قال تعالى : (ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيرِه أفلا تتقون ؟ فقال الملائكة الذين كفروا من قومه ما هذا إلا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم . ولو شاء الله لأنزل ملائكة ما سمعنا بهذا في أبائنا الأولين !!) (٢) .

وعول مشركو قريش - في جملة اعتذاراتهم عن قبول دعوة الرسول - على هذا المسلك في الحجاج . وغفل هؤلاء وأولئك عن طبيعة الملائكة ، فقد خلقها الله من نور يعجز البصر البشري عن مشاهدته . لضمف

(١) يتضح مما بينا أنه لا بد من واسطة بين الله وعباده في تبليغ رسالاته ، فهل يصح أن تكون الواسطة حجراً أو شجراً يخلق الله فيه صوتاً لخطاب الناس : « الله يأمركم بكذا وينهاكم عن كذا .. » ؟!!

لا شك أن هذا لو حصل لجمع من الناس امتلك الفزع والرعب قلوبهم وأفتشتهم ولعقدت الدهشة ألسنتهم ولاذوا منه بالفرار ، فانه مما لا يألونه مجال . اللهم إلا أن يكون الممرض لهذا شخص واحد أعده الله لحل أعباء الرسالة الالهية وأحاطه بطروف ومراحل جعلته قابلاً للتلقي بهذه الوسيلة ليبلغ رسالة الله .

(٢) سورة المؤمنون ٢٣ - ٢٤ وانظر فصلت : ١٣ - ١٤ .

القوى البشرية وعدم لياقتها لذلك . ولا يغيب عن بالك ان مجانسة الرسول القوم المرسل اليهم امر ضرورى لا يتحقق الغرض من بعثة الرسل إلا به . فكيف يعقل ان تحصل الالفة المؤدية للاقتداء من غير مجانسة؟! وكيف تقتنع العقول بجدوى الدين وامكان تطبيق البشر له إذا كان الرسول من غير نوع البشر ؟ ومجانسة المغاير في الجنس والطبيعة لا تكون من غير تكلف ومجاهدة شاقة ، مما يحول دون تحقق أغراض الهداية والارشاد .

(وما منعَ الناسَ أن يؤمنوا إذ جاءهمُ الهدى إلا أن قالوا : أبثَّ اللهُ بشراً رسولاً ؟ قل لو كانَ في الأرضِ ملائكةٌ يمشونَ مطمئنينَ لنزلنا عليهم من السماءَ ملكاً رسولاً) (١) .

لقد نبه الله تعالى عباده ولفتهم إلى لطفه ورحمته في بعثة الرسول من جنسهم ، ليتمكنوا من مخاطبته والأنس به والاستماع إليه ، فيعرفوا منه أمر ربهم ويتفقهوا في دينهم . ولو بعث إليهم رسولاً ملكاً لحُرموا ذلك الخير كله . فبعثته - ملكاً - ضرب من البعث يتنافى مع حكمة الله ورحمته بعباده (٢) .

(١) سورة الاسراء : ٩٤ - ٩٥ وانظر سورة الانعام : ٥٠ .

(٢) فان قيل : فليرسل الله ملكاً على صورة رجل ليلبغ الناس رسالة الله . قلنا : لما بعث الله رسولاً بشراً لم يكن معه سوى ادعاء واحد ، هو : أنه مرسل من الله إليهم برسائله . فلو جعله ملكاً في هيئة بشر لجاء الناس بادعاءين متلازمين : أولهما : انه ملك صيره الله على هيئة رجل .

ثانيهما : أن الله أرسله إليهم برسائله وأن عليهم أن يسمعو له ويعتصموا به .

ثالثاً - تطلب المشركون ازال ملائكة على رسوله محمد - ﷺ -
لتشهد له بصدقه في رسالته :

وما تطلبوا هذا وسواء استهزاء واسترشاداً ، إنما كان معاجزة
وعناداً وتكبراً عن الانصياع للحق واصراراً على النفي والفساد . فلو
أجابهم الله إلى طلبهم - على سبيل الفرض والاحتمال - فماذا يكون موقفهم
من الرسول ؟ (ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم
كل شيء قبلاً ما كانوا ليؤمنوا) (١) .

لقد عظم المشركون أنفسهم وأكبروا شأنها فتمنوا على الله الأمانى
وتقدموا إلى رسوله بما لا يعقل من المطالب من ازال الملائكة . . إلى
رؤية الله تعالى .

(وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى
ربنا ؟ لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتواً كبيراً) (٢) .

= الا ترى أن الرسول لما جاء بادعاه واحد كذبه الناس وعادوه وآذوه ،
فاذا جاءهم بادعائهم مركبين لم يكونوا أقرب الى التصديق ؟

فليس في ذلك النمط من التبليغ تيسير لسبل الهداية والرشد . وأن حكمة الباري
سبحانه تأمى أن تجعل سبل الهداية وعرة المسالك . فقد أنزل الله دينه سهلاً ميسراً
لا تعقيد ولا عسر فيه حكمة منه ورحمة ، وكذلك جعل وسيلة تبليغه والدعوة اليه بسيطة
مقبولة . فكانت رجالا يعطفيه الله من الناس .

(١) سورة الانعام : ١١١ ، ومعنى قبلاً : انها جمع قبيل بمعنى كفيل على صدق محمد
في رسالته أو قبلاً : مواجهة ومعاناة .

(٢) سورة الفرقان : ٢٠ - ٢٢ (ويقولون حجراً محجوراً) يستعينون من ملائكة
العذاب . انظر حاشية الجمل على الجلالين ج ٣ ص ٢٥١ وانظر الآيات ٦ - ٩ سورة الحجر
وتفسيرها في حاشية الجمل ج ٢ ص ٥٣٨ - ٥٣٩ .

انهم غير قادرين على رؤية الملائكة وهم يحبون الآن في دار الاختيار والاختبار . وتقويتهم بحيث يرونها حين ازالها لا حكمة فيها ، لأنهم عندئذ لما يُصدقون عن الزام واضطرار . . وقد وهبهم الله العقل وأقام دلائل صريحة توصلهم إلى الحق . فلا داعي لتلبية مطالبهم التي تجاوزت الحد المعقول ، فقد صدرت عن طغيانهم وعتوهم واستكبارهم ، فسinalون على ذلك جزاء وفاقاً يوم الحساب ، يوم يجعلهم الله قادرين على رؤية الملائكة فيلقون منها من العذاب ما يستأهله اصرارهم على الضلال (يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين ويقولون حجراً محجوراً) (١) .

رابعاً - طلبهم ارسال ملك على هيئة بشر شاهد للرسول الانسان على صدقه . . ؟

لقد دعا رسول الله ﷺ قومه إلى الاسلام وكلهم فأبلغ اليهم . . فقال له زمعة بن الاسود بن المطلب ، والنضر بن الحارث بن كلدة ، وعبد ابن عبد يغوث ، وأبي بن خلف بن وهب ، والماص بن وائل بن هشام : لو جعل معك يا محمد ملك يحدث عنك الناس ويرى معك . فأُنزل الله تعالى قوله :

(وقالوا لولا أنزل عليه ملك ؟؟ ولو أنزلنا ملكاً لقضي الأمر ثم لا يُنظرون . ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً وللبسنا عليهم ما يلبسون) (٢) .

(١) سورة الفرقان : ٢٢ راجع الصفحة السابقة التعليق (٢) .

(٢) سورة الانعام : ٨ - ٩ وقد أخرج سبب النزول ابن أبي المنذر وابن أبي حاتم عن محمد بن اسحق . انظر روح المعاني للالوسي ج ٧ ص ٨٣ طبع مصر - المنيرة الثانية .

أخبر الله في هاتين الآيتين عن فرط تعنتهم وتصلبهم في كفرهم ،
 إذ تطلبوا ازال ملك يسير مع محمد يشهد بصدقه وينذر الناس معه .
 وهذا الطلب مشتمل على أمر متباينين : ازال الملك على صورته الملكية ؛
 وجعله محدثاً للناس ونذيراً . فإذن أمران متعارضان مفترقان لا يجتمعان
 فانه لو نزل على صورته الأصلية فشاهدوه بأعينهم (لَقُضِيَ الْأَمْرُ)
 بهلاكهم تماماً لمزيد هول منظره مع تقديم للقوة الجسمية والطاقة الروحية
 الكافية لتحمل ذلك . وان نبينا محمداً ﷺ قد غشي عليه لما جاءه
 جبريل على صورته الحقيقية (١) . وهكذا فانهم يهلكون فور مشاهدتهم
 الملك فلا يُمهلون بعد رؤيته - نظراً لطبيعتهم - مدة تكفيهم لاعلان
 إيمانهم وتصديقهم .

ولو أُريد أن يكون ملكاً ونذيراً بأن واحد فلا بد من ازاله على
 هيئة رجل من الناس (ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً) .

نحلل هذا الطلب فنراه يقتضي أن يدعي النبي ثلاث دعاوى :

أولها - وجود ملك كريم حوَّله الله إلى هيئة رجل من البشر .
 ثانياً - إن الله أوفده ليكون شهيداً بالحق يُعرف الناس بصدق
 الرسول الانساني الخليفة ، وينذر المكذبين المخالفين .

(١) والرسول محمد وهو سيد الخلق ثبت أنه إذا رأى جبريل على صورته مرتين -
 فقط - هذا ما رواه الترمذي عن عائشة . وأما بقية الأحوال فكان يراه في
 صورة دحية الكلبي .. ولم يثبت أن أحداً من الرسل رأى جبريل على صورته الحقيقية .
 انما ثبت أنهم رأوا الملائكة في صورة رجال كما ذكر القرآن في قصة ابراهيم ولوط ؛ وفي قصة
 الحصين مع داود (انظر روح المعاني ج ٧ ص ٨٤) فان رؤية الملك تتطلب اعداداً
 إلهياً خاصاً ، لذلك رآه الرسول صلى الله عليه وسلم لما لا كثيراً .

ثالثها - ان الرجل الذي عرفه الملك وشهد له انما هو رسول تلقى رسالة الله ، لذلك أجابهم تعالى : (ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً وللبسنا عليهم ما يلبسون) . فتحويل الملك إلى رجل بحيث يستمعون كلامه ويفهمونه إذا شهد لهم بصدق محمد ﷺ فيما يبلغ عن ربه لن يزيل الإشكال ، إذ يبعثهم ذلك على سؤاله : ما يدرينا أنك ملك بأصل الخلقة وانك لست بشراً كما زاك ؟!

فإذا يجدي تحويل ملك إلى بشر ليكون شاهداً للرسول ؟
لعمري ان فيه طمساً لمعالم الحق ، وتعمية للناس عن معرفته ، لذلك قال تعالى : (وللبسنا عليهم ما يلبسون) يعني لو أجبنّا طلبهم لأدى ذلك إلى اشتباههم وشكهم ، كما كانوا من قبل يشكون ويخبطون الأمر على ضعفائهم . وواضح أن انفاذ طلبهم ينزده العقل السليم ، وتجنّاف عنه حكمة البشر . فهل يصح هذا في حكمة الله ؟! إن الله بعث رسوله مصابيح هدى ، وأيدهم بالآيات والبراهين الدالة قطعاً على صدقهم . فكيف يجعل أمر هدايته مشتبهاً مشكلاً ؟؟؟ ولكن الله تعالى لم يشأ أن يُلَيِّسَ أمر الحق عليهم ، كما لبّسوا على أنفسهم ، وشككوا فيه ضعفاءهم (ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً وللبسنا عليهم ما يلبسون) .

ولعل من أجل الحكمة الإلهية في العدول عن ارسال الملائكة إلى الناس أنهم من طبيعة مغايرة خالصة من الغرائز مصونة عن الشهوات . فلو دَعَوْا الناس إلى الاقتداء بهم في الامتناع عن الشهوات المحرمة ؛ لتنكب الناس سبيلهم محتجين عليهم باختلاف الطبيعة وتمذّر ذلك على البشر دون الملائكة .

وقد ذكر الامام الرازي في بيان وجه الحكمة من بشرية الرسل
أموراً :

الأول : أن الجنس إلى الجنس أميل .

الثاني : أن البشر لا يطيقون رؤية الملك .

الثالث : ان طاعات الملائكة قوية فيستحقرون طاعات البشر وربما
لا يعذرونهم في الأقدام على المعاصي .

الرابع : ان النبوة فضل من الله تعالى يخص بها من يشاء من عباده^(١).

بشيرة عيسى عليه السلام^(٢)

إن بشرية الرسل حقيقة راسخة في جميع الشرائع والديانات الالهية .
لكن التحريف في الديانات قد جعل هذه الحقيقة موضع نزاع وأخذ ورد .
حتى بلغ الأمر ببعض المحرفين أن زعموا ان فيهم ليس بشراً إنما هو ابن
الله تعالى وان كان ذا جسد بشري .

اتخذ هذه الوجهة اليهود في عزيز ، والنصارى في عيسى ابن مريم
عليهما السلام . فرد القرآن عليهم زعمهم مبيناً أن الله لم يأمرهم إلا بعبادة

(١) روح المماني ج ٧ ص ٨٧ وتفسير القرطبي ج ٦ ص ٣٩٣ - ٣٩٤
وانظر تفسير الآية في التفسير الكبير للفخر الرازي ج ١٢ ص ١٦٢ - طبع
عبد الرحمن محمد .

(٢) وانما حملنا على انطرق إلى بشرية سيدنا عيسى عليه السلام ضرورة تقرير
السنة الالهية في اصطفاء الرسل من البشر فقط ، ودرء الطعن في صدق نبينا محمد صلى
الله عليه وسلم وفي مكاته ، لئلا يجعل دون غيره ، وبالتالي قمع التشكيك في كونه خاتم
رسل الله عليهم الصلاة والسلام .

إله واحد لا شريك له ولا والد ولا ولد . (وقالت اليهود عزيز ابن الله ، وقالت النصارى المسيح ابن الله ، ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل فآتاهم الله أنى يؤفكون . اتخذوا أبحارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم . وما أمروا إلا ليعبدوا لهما واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون) (١) .

وسبب انصراف النصارى عن التوحيد الخالص إلى تأليه عيسى وزعمهم بنوته لله ؛ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ؛ أنه تعالى خلق عيسى من أم دون أب من مريم العذراء عليها السلام . فزعم النصارى أنه ابن الله . فلا بد - حسب توهمهم - أن يكون إلهاً مثله . فضلوا بذلك ضلالاً بعيداً .

والحق أن تخلق عيسى في بطن أمه - مريم العذراء الطاهرة - قد تم بالأمر التكويني الإلهي (كن) من غير واسطة أب ، فآله تباركت أسماؤه على كل شيء قدير . وقد ذكر الله في كتابه حقيقة خلق عيسى فقال : (إذ قالت الملائكة يا مريم ابنة الله يبشرك بكلمة منه اسمك المسيح عيسى ابن مريم ، وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقربين ، ويكلم الناس في المهد وكهلاً ومن الصالحين . قالت رب أنى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر ؟ قال كذلك الله يخلق ما يشاء إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون) (٢) .

عبر القرآن عن عيسى الولد بأنه (كلمة) إذ نفذت إرادة الله في تخليقه بكلمة الله (كن) دون واسطة أب فأطلق السبب « الكلمة »

(١) سورة التوبة : ٣٠ - ٣١ . (٢) آل عمران : ٤٥ - ٤٧ .

على المسبب « عيسى » (١) . وخلق شيء منها عظم على غير السنة الجارية في أسباب الخلق ؛ ليس شيئاً عسيراً . في جنب القدرة الالهية التي لا حدود لها .

والنصارى في اعتقادهم ذاك محجوجون أمام أنفسهم في عقيدتهم ، فهم يرون - كما يقرر كتابهم المقدس - ان الله خلق آدم من غير أب ولا أم . أفليس الله الذي خلق آدم من تراب بقادر على خلق عيسى من أم فقط ؟ وآدم المخلوق من طين هو نبي بشر . فهل عيسى المخلوق من أم فقط يخرج عن كونه بشراً رسولاً ؟ وإذا كانت عيسى على زعمهم ابناً لله ، فلماذا لم يعتبروا آدم المخلوق من غير واسطة أب ولا أم أيضاً ابناً لله من باب أولى ؟ ان التناقض والخطأ في الاعتقاد النصراني واضحان . فليس خلق عيسى في العقل السليم بعيداً عن خلق العبد البشر (إنه مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون . الحق من ربك فلا تكن من الممترين) (٢) .

وكل اعتقاد بوجود ولد لله على أي صورة كان ، إنما يتنافى مع صحة الاعتقاد بوحداية الله تعالى ، فهو جحود لكأله وصفاته وضلال عنه وكفر به سبحانه .

(لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد وان لم ينتهوا عما يقولون ليمسسن الذين كفروا منهم عذاب أليم . أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم) (٣) .

(١) حاشية الجمل على الجلالين . (٢) سورة آل عمران : ٥٩ - ٦٠ .

(٣) سورة المائدة : ٧٣ - ٧٤ وانظر المائدة : ١٧ و ٧٢ .

فليس المسيح إلا واحداً من رسل الله الذين اختارهم من البشر .
 أمدهم الله بآياته ، وجعل لهم من العلامات والأدلة ما يلفت النظر إلى
 حقيقة نبوتهم وصدقهم في تبليغ رسالة الله . وكذلك أقام في خلقه عيسى
 دليلاً على أنه عبد أعده لرسالته فهو بشر رسول ، وأيده بالمعجزات
 برهاناً على صدقه وتثبيتاً لقلوب أتباعه . فأنزل عليهم مائدة من السماء
 تناولوا منها طعامهم معه . انه كان يأكل ويشرب ... وما إلى ذلك .
 وهذا معروف لدى أتباعه إلى هذا الزمان - فتناوله الطعام هو وأمه
 دليل على أنها مخلوقان مفتقران إلى الله افتقار كافة المخلوقات ، وأنها
 خاضعان لمتطلبات الجسد البشري . ومن كان كذلك لم يكن إلهاً ولم
 يستحق العبادة . فما عيسى إلا بشر كرمه الله على كافة أهل زمانه
 واصطفاه لرسالته ، وما أمه إلا امرأة كسائر النساء ، غير أنها لازمت
 التصديق وبالغت في التحقق به (ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد
 خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كنا يأكلان الطعام . انظر كيف
 بُين لهم الآيات ثم انظر أنى يُؤفكون) (١) .

ذهب ابن أبي الأصبع المصري إلى أن قوله تعالى : (كنا يأكلان
 الطعام) تعبير عن النجس (وهو البراز) بالطاهر (وهو الطعام)
 ففيه كناية عن الحدث لانه ملازم أكل الطعام (٢) .

ولا يخفى عليك ما في هذا القول من دلالة مفحمة ، فهل الذي
 يتناول الطعام والشراب ويتبول ويتغوط يكون في مستوى إله ؟ ! ! ؟

(١) سورة المائدة : ٧٥ وانظر أدلة أخرى أقامها القرآن على بشرية عيسى
 في المائدة ١٧ و ٧٦ .

(٢) بديع القرآن ص ٥٣ لابن أبي الأصبع المصري (٥٨٥ - ٦٥٤ هـ) .

وذكر الألوسي ان قوله : (كانا يأكلان الطعام) دليل على افتقارهما وبشريتهما ، ثم قال رحمه الله تعالى : (وقيل هو كناية عن قضاء الحاجة ، لأن من أكل الطعام احتاج إلى النفض . وهذا أمرٌ ذوقاً في أفواه مدّعي ألوهيتهما ، لما في ذلك من الدلالة على الاحتياج المنافي للألوهية من بشاعة عرفية . وليس المقصود سوى الرد على النصارى في زعمهم المنتن واعتقادهم الكريه (١) .

فتأمل كيف أقام الأدلة على أنه واحد أحد غني عن العالمين . وتأمل كيف انصرف النصارى واليهود عن التسليم بهذه الحقيقة فضلوا في معرفة ذاته - تعالى الله عما يصفون علواً كبيراً (وقالوا اتخذ الله ولداً . لقد جئتم شيئاً إدّاً . تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخرى الجبال هدأً . أن دعوا للرحمن ولداً وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولداً . إن كل من في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبداً) (٢) .

ويحلو للبعض أن يؤيد عقيدته بالخطأ دون الصواب وبالكذب دون الصدق وبالتقول دون النقل الأمين ، يحمله على ذلك توهمه أنه قادر على طمس معالم الحق ، وأن يده تصل إلى عقول أتباعه تقليباً وتحويلاً . فقد راق لبعض رجال الدين النصارى أن يلقنوا أتباعهم دليلاً على ألوهية عيسى من القرآن الكريم نفسه (كذا !!!) فأخبروهم أن الله تعالى قال عن عيسى في القرآن أنه (روح منه) وهذا يفيد أنه جزء من الله - كذا أوهوهم ١ - فافقرأ الآية كاملة : (يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا

(١) روح المعاني ج ٦ ص ١٨٦ .

(٢) سورة مريم : ٨٩ - ٩٤ . ومعنى إذا : فظيلاً منكراً . يتفطرون منه : يتشققن منه قطعاً . تخر الجبال هدأً : تسقط متهدمة . وفي الآية تنديد بالمشركين العرب أيضاً في زعمهم أن الملائكة بنات الله .

تقولوا على الله إلا الحق ، إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلنته ألقاها إلى مريم وروح منه . فآمنوا بالله ورسوله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيراً لكم إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد ، له ما في السموات وما في الأرض . وكفى بالله وكيلاً (١) .

تبرز أمامك من ثنايا الآية الكريمة صفات السيد المسيح عليه الصلاة والسلام فليس ابناً لله إنما هو (ابن مريم) وليس بالتالي إلهاً إنما هو رسول الله . أما قضية خلقه التي طاشت عقولهم في تصورها ، وسلخوا فيها متاهات الضلال ، فهي واضحة جلية . فلم يخلقه الله بالسبب المادي (المني) الذي خلق منه سائر الناس ، إنما خلقه بغير ذلك السبب ، فأنتم خلقه بكلمته (كن) وبث فيه تعالى الروح التي خلقها - كما خلق لكافة الناس أرواحهم - فهو مخلوق بالأمر الإلهي التكويني ، وروحه هي من خلق الله تعالى ، لذلك أضيفت إليه لأنها مخلوقة له (وروح منه) .

قال أبو حيان الاندلسي رحمه الله : (ومعنى « روح منه » أي صادرة ، لأنه ذو روح وجسد من غير جزء من ذي روح - كالنطفة المنفصلة من الأب الحي - وإنما اخترع اختراعاً من عند الله وقدرته (٢) . فعامل خلقه وسببه من عند الله تعالى فلا دخل فيه لسبب مادي عادي من عند أحد من الناس ، إذ لم يدخل في تكوينه جزء من مخلوق ذي روح - وهذا الجزء هو النطفة .

(١) سورة النساء : ١٧١ .

(٢) البحر المحیط ج ٣ ص ٤٠٠ - ٤٠١ ، محمد بن حيان الاندلسي المتوفى بالقاهرة سنة ٧٤٥ هـ .

وقد رجح الألوسي أن معنى (روح منه) هو أنه خلق من نفخة سيدنا جبريل في درع مريم العذراء بأمر من الله سبحانه فقال : (وسمي عليه السلام روحاً لأنه حدث عن نفخة جبرائيل عليه السلام في درع مريم عليها السلام بأمره سبحانه . وجاءت تسمية النفخ روحاً في كلامهم ، ومنه قول ذي الرمة « في نار وأحيا بروحك » . و « من » متعلقة بمحذوف وقع صفة لروح وهي لا ابتداء الغاية مجازاً ؛ لا تبعية كما زعمت النصارى) (١) .

وتقدير الكلام - في قوله تعالى (وروح منه) - عند أبي حيان : وروح حاصلة بأمر الله تعالى . وتقديره عند الألوسي : ونَفَخَ جبريل وصل إلى مريم بأمر من الله تعالى .

ونحن نرجح قول أبي حيان ، فإنه أبعد عن التكلف في تقدير المحذوف وأدق تعبيراً عن حقيقة عيسى وبشرته . وهو ما أراد القرآن بيانه هنا . فليس المراد في تقديرنا بيان الكيفية التي تم بها خلق عيسى ، فقد ذكرها القرآن في موطن آخر .

ويرى الألوسي وأبو حيان وجمهور المفسرين أن (من) في قوله : (وروح منه) ابتدائية تفيد تشريف عيسى عليه السلام ، وليست تبعية أبداً . مثالها قولك عن قطعة الخبز : (هذه نعمة من الله) فليست تعني أنها جزء منه تعالى ، إنما أردت أنها حاصلة من خلق الله تعالى وواسطة إلينا بتيسيره وكرمه . قال النزالي قدس الله سره : (لكل مولود سبب قريب وبعيد فالأول : المني ، والثاني : قول (كن) . ولما دل الدليل على عدم القريب في حق عيسى عليه السلام أضافه إلى البعيد ، وهو

(١) روح المعاني ج ٦ ص ٢٢ . والدرع : قيع المرأة .

قول (كن) إشارة إلى انتفاء القريب . وأوضحه بقوله سبحانه (ألقاها إلى مريم) أي أوصلها إليها وحصلها فيها . فجعله كالذي يلقى في الرحم فهو استعارة (١) .

وإذا تأملتَ مطلع الآية وشطرها الثاني وما فيها من توبيخ وزجر لمدعي ألوهية عيسى ، علمت أن استدلالهم ليس من باب الفهم السقيم والجهل بالعربية فحسب ، إنما هو أيضاً مغالطة وإفتراء واضح ودجل فاضح . وإن أحبولتهم لا يقع في شراكها عاقل مستبصر أو راغب في الحق متتور ، فقد حكي أن طبيباً نصرانياً للرشد ناظرَ علي بن الحسين الواقدي المروزي ذات يوم ، فقال له : إن في كتابكم ما يدل على أن عيسى عليه السلام جزء منه تعالى . وتلا هذه الآية . فقرأ الواقدي قوله تعالى : (وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه) (٢) فقال : إذن يلزم أن تكون جميع الأشياء جزءاً منه سبحانه وتعالى علواً كبيراً . فانقطع النصراني فأسلم . وفرح الرشد فرحاً شديداً ، ووصل الواقدي بصلة فاخترة .

أناجيلهم تثبت بشرية عيسى :

ولم تزل الأناجيل المنسوبة إلى عيسى عليه ^{عليه السلام} المعتمدة لدى الكنائس اليوم - على ما أصابها من تحريف وتشويه - تحوي نصوصاً قوية الدلالة على أن عيسى رسول من الله وبالتالي فهو واحد من البشر . فقد ناجى عيسى ربه بقوله : (هذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك ،

(١) روح المعاني ج ٦ ص ٢٢ . وارجع إليه في تفسير الآية .

(٢) سورة الجاثية : ١٣ والمراد : أن الله سخرها لكم ، والحال أنه خالقها جميعاً

من لدن قدرته وحكمته .

أنت الاله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته (١) .

وأعلن عيسى عليه السلام عن اعتباره الذاتي لشخصه حين ظهرت مؤمرات بني إسرائيل لقتله . فبين بصراحة لا تحتمل التأويل أنه فرد من بني الانسان ، تلقى عن الله الدين الحق ، ودعا الناس اليه . وهذا نص خطابه في انجيل يوحنا (قال يسوع : لو كنتم أولاد ابراهيم لكنتم تعملون أعمال ابراهيم ولكنكم الآن تطلبون أن تقتلوني ، وأنا انسان قد كلمكم بالحق الذي سمعه من الله) (٢) .

ويجهر سيدنا عيسى ببشريته على الملأ من بني اسرائيل ، إذ يقر بأن إلهه وإله قومه إله واحد ، هو الله وحده . فهو عبد مخلوق لله تعالت صفاته (فجاء واحد من الكتبة وسمهم يتحاورون ، فلما رأى أنه أجابهم حسناً ، سأله أية وصية هي أول الكل . فأجابه يسوع : إن أول كل الوصايا هي : اسمع يا إسرائيل ، الرب إلهنا رب واحد . وتب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك ومن كل قدرتك . هذه هي الوصية الأولى . . فقال له الكاتب : جيداً يا معلم ، بالحق قلت ، لأنه الله واحد وليس آخر سواه) (٣) .

وينفي سيدنا عيسى عن نفسه الكمال ، ويكشف انه بطبيعته معرض للخطأ كشأن كافة البشر (وإذا واحد تقدم وقال : أيها المعلم الصالح ،

(١) يسوع : من أسماء سيدنا عيسى لدى النصارى ، وكذا المسيح . والفقرة المذكورة من انجيل يوحنا : الاصحاح السابع عشر : ٣ . نشر الجمعية الأميركية .

(٢) انجيل يوحنا : ٨ : ٣٩ - ٤٠ .

(٣) انجيل مرقس : ١٢ : ٢٨ - ٣٣ .

أي صلاح أعمل لتكون لي الحياة الأبدية ؟ فقال له : لماذا تدعوني صالحاً؟
ليس أحد صالحاً إلا واحد وهو الله (١) .

يتضح مما سبق أن جميع الرسل بشر من الناس ، وأن الرسول
الذي لهث أتباعه في بذل جهود شاقّة مضيئة لاقناع الناس بألوهته ؛
قد قامت الدلائل القطعية على بشريته عليه الصلاة والسلام . وانكشف
زيف استدلالهم وبطلانه بالعقل والنقل .

(١) انجيل متى : ١٩ : ١٦ .

الفصل الثالث

أخلاق محمد ﷺ ودلائلها على نبوته

- سمو أخلاقه يثبت نبوته .
- نماذج حية من أخلاقه عليه الصلاة والسلام :
 - (١) رعايته الأيتام والأرامل والفقراء .
 - (٢) صبره ﷺ .
 - (٤) لين جانبه ﷺ .
 - (٤) رأفته ورحمته ﷺ .
 - (٥) شجاعته ﷺ .
 - (٦) خشوعه وتعبده ﷺ .
 - (٧) ترفعه ﷺ عن الأغراض الشخصية .
- ثبات أخلاقه وسريانها إلى أهله وخاصته يثبت رسالته .
- خير رسل الله .
- نموذج باهر من استدلال العقل السوي على نبوته .

إن القيم الخلقية تكشف عن مثل الانسان العليا ، وترتبط ارتباطاً وثيقاً بوجهته وحقيقته . ومن هنا نجد للصفات الخلقية صلة قوية بدعوى النبوة ، فإن النبوة تستلزم من صاحبها أن يتصفَ بخصال كريمة معينة ، وأن يتنزه عما يضادها . لذلك نجد القرآن الكريم يصف النبي ﷺ بجمام الخلق الكريم وينزهه عن كل شين خلقي .

وقد رأيتُ في معالجة هذه المسألة بالذات أن أبدأ بتبيان ما تدل عليه أخلاقه ﷺ من خلال نصوص الكتاب الكريم . ثم أُورد أقوال العلماء في دلالة أخلاقه على نبوته ، وأتبعها بعرض صور حية من أخلاقه كما عرضها القرآن الكريم ، لتجيب برهاناً ساطعاً على صحة ما استخلصناه قبل وهو أن أخلاقه ﷺ تثبت نبوته .

سمو أغراضه يثبت نبوته

لقد تحلى محمد ﷺ بكالات الأخلاق . فعرفه القوم على يثمه وفقره أميناً صادقاً ؛ كريماً سخياً ؛ مترفعاً عن أغراض الذات ؛ عطوفاً على الأيتام والأرامل والبؤساء . دعا قومه إلى الله فأذاقوه من مرارة الأذى وقسوة الاضطهاد والحرمان ما تنوء بحمله الجبال الشاخات . فاحتمل في سبيل نشر رسالة الله ما احتمل وجاهد في الله حق جهاده . إن الفضائل النفسية العريقة الكاملة لا تتوافر في أحد من البشر إلا الرسل المصطفين الأخيار عليهم الصلاة والسلام ، ومنهم محمد ﷺ . فقد أدبه ربه فأحسن تأديبه ، وجعله المثل الكامل في الفضائل الانسانية ، فأهله بذلك لمحل أعظم رسالاته .

أ - تدليل القرآن بأخلاقه على نبوته :

أشار القرآن الكريم إلى دلالة أخلاقه عليه الصلاة والسلام . فقال في معرض نفي بعض التهم التي ألصقها به المشركون تبريراً لتكذيبهم (هل أنبئكم على من تنزل الشياطين ؟ تنزل على كل أفَّاكٍ أثيم . يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثُرُهُمْ كَاذِبُونَ) (١) .

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية : (يقول تعالى مخاطباً لمن زعم من المشركين ان ما جاء به الرسول ﷺ ليس بحق ، وأنه شيء افتعله من تلقاء نفسه ، أو أنه أتاه به رثي من الجن ، فنزه الله سبحانه وتعالى جناب رسوله عن قولهم واقترائهم . ونبه أن ما جاء به إنما هو من عند الله وأنه تنزيله ووحيه نزل به ملك كريم أمين عظيم . وأنه ليس من قبل الشياطين فانهم ليس لهم رغبة في مثل القرآن العظيم . وإنما يتنزلون على من يشاكلهم ويشابههم من الكهان الكذبة) (٢) .

وشياطين الجن تلك المخلوقات الشريرة الخفية تمحض على السوء والفساد والكذب والأذى ، فذاك خلقها ونهجها . فلا يعقل أن تألف وتمين إلا من شاركها فيه (٣) . وانتم تعرفون أن محمداً عليه الصلاة والسلام ليس

(١) سورة الشعراء : ٢٢١ -

(٢) وقال ابن كثير في تفسير هذه الآية أيضاً : (« تنزل على كل أفَّاكٍ أثيم » أي كذوب في قوله ، وهو الأفَّاك . أثيم : وهو الفاجر في أفعاله . فهذا هو الذي تنزل عليه الشياطين من الكهان وما جرى مجراهم من الكذبة الفسقة فان الشياطين أيضاً كذبة فسقة) .

(٣) وانظر تفسير الآية في ارشاد العقل السليم الى مزايا القرآن الكريم - لأبي السعود محمد بن العبادي (١٩٦ - ٩٥١) ج ٤ ص ١١٩ .

من ذاك الجنس فهو الكامل في خلقه ، وبينه وبينهم من المفارقة والمنافرة
 بما يحول بينه وبين إلتفهمه ، فإن الجنس إنما يألفه الجنس . ومحمد - وقد
 خبرتموه - ليس بالأفك الكاذب ولا بالمرتكب للأثم ، فيستحيل في العقل
 والواقع أن يبدر منه افتراء في جلائل الأمور . ونحن نرى أن القرآن
 ذكر تقيض صفات الرسول ﷺ ، وبين أن ادعاء النبوة زوراً إنما
 ينسجم مع تلك الأوصاف المنتكسة . فأشار بذلك إلى أن صاحب
 الأخلاق العالية العريضة إذا تحدث في أمر النبوة وجاء بأدلتها لم يكن
 إلا صادقاً . فمن نبّل أخلاق محمد ﷺ تستدل على صدقه في نبوته ،
 وبضدها تتميز الأشياء .

وقد أشاد الله عز وجل بأخلاق النبي الحميدة وقرر نبوته فقال :
 (ن . والقلم وما يسطرون . ما أنت بنعمة ربك بمجنون . وإن لك
 لأجراً غير ممنون . وإنك لعلى خلق عظيم) (١) .

فقد أثنى عليه ربه فوصفه بأنه صاحب الخلق العظيم ، في معرض الرد
 على المشركين وكشف زعمهم الزائف وأرى أن هذا يثبت أمرين :

الأول - أن مكارم الاخلاق من شيم كل الرجال وأرجحهم عقلاً
 وهذا يبطل دعوى الجنون عن النبي الكريم ، لذلك قرن نبي الجنون
 عنه بالدليل القاطع على سلامته منه بقوله : (بنعمة ربك) فنبه أنه تعالى
 غمر عبده محمد ﷺ بنعم ظاهرة عرفوها فيه . فقد ألقوه كامل العقل

(١) سورة القلم : ١ - ٤ والمراد بالقلم : جنس القلم ، وهو واقع على كل قلم
 يكتب به من في السماء ومن في الأرض . وأقسم به لكثرة فوائده وكونه وسيلة التعبير
 به : عن العقل . أو المراد القلم الذي خط في اللوح المحفوظ - كما وردت بذلك الآثار .
 انظر تفسير الآيات في التفسير الكبير - للرازي ج ٣٠ ص ٧٨ - ٨٠ .

تام الفصاحة ذا سيرة مرضية بريئاً من كل عيب متصفاً بكل مكرمة .
فظهور هذه النعم المحسوسة عليه ينافي وجود الجنون فيه . وهذا واضح
لكل ذي لب وضوحاً لا يحتاج إلى بيان .

وأنت ترى أنا فسرنا قوله : (بنعمة ربك) حسب عموم اللفظ
فاشتمل على النبوة وغيرها من نعم الله على محمد ﷺ . واليه ذهب
الرازي والألوسي . لكن ذهب أبو حيان إلى أن المراد منه العقل والشهامة
فقال : (والمعنى : استبعاد ما كان ينسبه إليه كفار مكة عداوة وحسداً ،
وأنة من إنعام الله تعالى عليه بحصافة العقل والشهامة ؛ التي يقتضيها التأهيل
للنبوة ؛ بمنزلة (١) .

وذهب ابن كثير إلى أن المراد من (نعمة ربك) النبوة . وذهب أبو
السعود إلى أن المراد النبوة والرياسة . ونحن لا نرى موجباً لهذا التخصيص
فاللفظ عام ، ولا يصرفه عن العموم أن الآية نزلت بسبب اتهامهم الرسول
بالجنون لما جاءهم بالنبوة ، فإن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب .

وأعلا الله مقام رسوله فأغدق عليه ثوابه (وان لك لأجراً غير
ممنون) فستنال يا رسول الله جزيل المكافأة ثواباً مستمراً لا ينقضي .
فأنت تستأهل ذاك على نهوضك بأعباء الرسالة ، فانك تحملت من القوم الطعن
الخليث والاختلاق القبيح ، ورفضت أن تعوقك مواقفهم عن دعوة الخلق
إلى الله ، فأعلنت النبوة وقدمت المعجزات .

(وإنك لعلی خلق عظیم) وأنى للعاقل أن يقبل تهمة الجنون في

(١) البحر المحيط ج ٨ ص ٣٠٨ - وانظر التفسير الكبير للرازي ج ٣٠

ص ٨٠ ورح المعاني ج ٢٩ ص ٢٤ .

صاحب الأخلاق الحميدة والافعال المرضية الطاهرة . فأفعال المجانين مختلفة
يخترمها الفساد ، وأخلاقهم ينجرها السوء ويميلوها التناقض والاضطراب .
ومحمد ﷺ متمكن في الأخلاق الشماء العظيمة ، فهي طوع بئانه ، بل
هي طبعه الذي لا يتكافه ولا ينفك عنه بحال (قل ما أسألكم عليه من
أجر وما أنا من المتكافين) (١) .

وقد دل سلوكه الرفيع باستمرار على أصالة هذا الخلق العظيم في
نفسه . عن عائشة رضي الله عنها قالت : (ما كان أحد أحسن خلقاً من
رسول الله ﷺ . ما دعاه أحد من أصحابه ولا من أهل بيته إلا قال :
ليكن ، فلذلك أنزل الله عز وجل (وإنك لعلی خلق عظیم) (٢) .

الثاني - أن الاتصاف بالخلق العظيم لا بد فيه من الصدق والأمانة
والشجاعة والجرأة في الحق والجهاد في سبيله .. وهذا يقتضي أهلية محمد ﷺ
لتلقي فيض النور الالهي وصدقه في دعوى النبوة ، وأنه حقاً مبلغ عن
الله تعالى رسالته . وقد استدلت على ذلك السيدة خديجة رضي الله عنها
في حديثها إثر نزول الوحي على رسول الله ﷺ أول مرة فقالت :
(كلا والله ما يُخزيك الله أبداً . انك لتصل الرحم وتحمل الكل
وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتمين على نوائب الحق) (٣) .

(١) سورة ص : ٨٦ .

(٢) سورة القلم : ٤ . والحديث رواه أبو الشيخ الاصبهاني : أخلاق النبي
ص ١٧ .

(٣) رواه البخاري : باب كيف كان بدء الوحي . وسنذكر الحديث بطوله ونشرح
الفاظه في فصل ظاهرة الوحي أن شاء الله تعالى .

لقد أدركت خديجة رضي الله عنها أن هذا اليتيم قد نشأه الله النشأة القوية السامية ، وقذف في صدره النور الهادي والالهام الموفق ، فأهله بذلك لتلقي الوحي الالهي . قال ابن حجر في شرح كلام خديجة رضي الله عنها : (استدلت على ما أقسمت عليه من نفي ذلك أبداً - يريد قولها : والله ما يخزيك الله أبداً - بأمر استقرائي . ووصفته بأصول مكارم الاخلاق ، لأن الاحسان إما إلى الأقارب أو إلى الاجانب ، وإما بالبدن أو بالمال وإما على من يستقل بأمره أو من لا يستقل ، وذلك كله مجموع فيما وصفته به) (١) .

لقد عهده قومه منذ طفولته صادقاً أميناً وفيّاً كريماً محسناً حليماً رحيماً . وها هو يأمرهم بالصدق والعفاف والبر والتقوى ويبلغهم القرآن الكريم بما انطوى عليه من حقائق الغيب التي يستحيل تلقيها إلا من الملائكة المرسلين عليهم الصلاة والسلام .

وثبت صدق محمد ﷺ في دعوى النبوة بدلالة اخلاقه طريقاً يأنس العقل الراجح . وقد أدركه هرقل ملك الروم ، فسأل أبا سفيان عن الرسول أمام نفر من قومه : (فهل كنتم تهمونونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ فقال أبو سفيان : لا) فعلق هرقل قائلاً (فقد أعرف أنه لم يكن لينذر الكذب على الناس ويكذب على الله) وكان فيما سأله : (ماذا يأمركم ؟) فأجاب أبو سفيان (يقول : اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً واتركوا ما يقول آبائكم وأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة) فعلق هرقل بقوله : (فان كان ما تقول حقاً فسيملك موضع قدمي هاتين ..) (٢) .

(١) فتح الباري ج ١ ص ١٩ .

(٢) رواه البخاري ومسلم وسنعرضه بتمامه إن شاء الله .

وخلاصة قولي : إن في كل من المَوطنين (بنعمة ربك) و(وانك اعلى خلق عظيم) لفنة بارعة دقيقة جرت مجرى الدلالة اليقينية . أما الأولى فدلت على كذب زعمهم وكشفت شناعة افتراءهم . ووردت الثانية تثبت أهليته للنبوة ، فصاحب الأدب الجُم والخلق العظيم يليق بالنبوة وأهل الصدق والاستقامة والفضل يربأ بنفسه عن ادعاء ما ليس متحققاً فيه . وهكذا أعقب نفي تهمة الجنون بدليل الاثبات ، فألقى في الروح أن نبوة محمد ﷺ حقيقة واقعة لا مندوحة لعقل عن التسليم والايات بها .

ب - استدلال العلماء بأخلاقه على نبوته :

يدعو أن الامام القدوة أبا الحسن علي بن محمد الماوردي كان أَسبق أهل العلم إلى الاستدلال بأخلاق رسول الله ﷺ على نبوته ، وذلك من جهتين كما يتبين للتأمل :

الاولى - أن هذه الاخلاق العالِية تحمل صاحبها على الصدق والامانة ، وتحفظه من الانزلاق إلى هاوية الكذب في الامور العادية فضلاً عن أجل الامور وهو النبوة . فقد اشتهر الرسول ﷺ في قومه بالصدق والأمانة ، حتى لقبوه : الأمين . وهذا دليل على صدقه في نبوته ورسالته .

قال الماوردي : (ولو حفظوا عليه كذبة نادرة في غير الرسالة لجعلوها دليلاً على تكذيبه في الرسالة . ومن لزم الصدق في صفه كان له في الكبر أزم . ومن عصم منه (يعني الكذب) في حق نفسه كان في حقوق الله تعالى أعصم . وحسبك بهذا دفماً لجاحد ورداً لمعاند) (١) .

(١) اعلام النبوة للماوردي ص ١٤٩ .

الثانية - أنه ﷺ قد بلغ في خصاله رتبة من الكمال يعجز الناس عن ادراكها . فلم يكن في عصر الرسول ﷺ ولا فيما بعده من دانه في كماله خلقاً وقولاً وفعلًا . وبذلك وصفه الله تعالى في كتابه : (وإنك لعلى خلق عظيم) . وبين الامام الماوردي وجه اعتبار أخلاقه ﷺ معجزةً وأنها من دلائل النبوة . فقال :

(فان قيل فليست فضائله دليلاً على نبوته ولم يسمع بني احتج بها على أمته ولا عول عليها في قبول رسالته ، لانه قد يشارك فيها ، حتى يأتي بمعجز يخرق العادة فيعلم بالمعجز أنه نبي لا بالفضل !!

(قيل : الفضل من أماراتها وان لم يكن من معجزاتها . ولأن تكامل الفضل معوز فصار كالمعجز . ولأن من كمال الفضل اجتباب الكذب . وليس من كذب في ادعاء النبوة بكامل الفضل . فصار كمال الفضل موجباً للصدق ، والصدق موجباً لقبول القول . فجاز أن يكون من دلائل الرسل) (١) .

وصفة القول : ان توفر هذه الاخلاق والفضائل المثالية المتكاملة في أعلى مستوى من الجلال والجمال في سيدنا رسول الله ﷺ خاصة ؛ برهان ساطع على صدقه في نبوته ورسالته . وقد قدم حجة الاسلام الامام غفر الدين محمد بن عمرو الرازي دراسة كاملة عن دلالة أخلاق وصفات محمد ﷺ على نبوته (٢) . وتابعه عليها بتمامها وكمالها الامام محمد

(١) اعلام النبوة للماوردي ص ١٤٢ .

(٢) الاربعين في أصول الدين للرازي ص ٣٠٩ - ٣١٠ وقد توفي سنة ٦٠٦ هـ رحمه الله تعالى .

ابن المرتضى اليافعي المعروف بابن الوزير (١) . فعرض مذهب الرازي مع تدقيق لبعض الكلم فيه غير أنه لم ينسبه إليه . وقد عد الامام الرازي الصفات الحميدة من المعجزات الحسية . واليك موجز ما ذكره عن أوصافه :
الأول : أنه صادق ولم يسمع أحد منه كذباً في أمور الدين ولا في أمور الدنيا .

الثاني : أنه ما فعل قبيحاً منفراً عنه لا قبل النبوة ولا بعدها .

الثالث : أنه لم يفر عن أحد من أعدائه لا قبل النبوة ولا بعدها
مها عظمت الشدائد .

الرابع : أنه كان عظيم الشفقة على أمته .

الخامس : أنه كان في أعظم درجات الكرم والسخاء .

السادس : أنه ما كان للدنيا في قلبه وقع .

السابع : أنه كان في غاية الفصاحة مع أنه لم يعان صناعة الكلم .

الثامن : أنه بقي على طريقته المرضية من أول عمره إلى آخره .

التاسع : أنه كان مع أهل الدنيا والغنى في غاية البعد عن المطامع والترف عنها ؛ ومع الفقراء والمساكين في غاية القرب منهم والتواضع لهم والالطف بهم .

المشر : أنه كان عليه الصلاة والسلام في كل واحدة من هذه الاخلاق الكريمة في الغاية القصوى من الكمال . وكان متمكناً فيها مستجمعاً لها بأسرها . ولا يتفق ذلك لأحد من الخلق غير أهل العصمة من الله تعالى . فكان اجتماع ذلك في صفاته من أعظم المعجزات .

(١) وهو من مجتهدى القرن الثامن الهجرى . انظر كتابه : ايثار الحق على الخلق ص ٨٠ .

وقد عد الامام الماوردي رضي الله عنه من دلائل نبوته ﷺ هذه الخصلة من فضائلفعاله وهي (ما منح من السخاء والجود حتى جاد بكل موجود وآثر بكل مطلوب ومحجوب ومات ودرعه مرهونة عنديهودي على أصع من شعير لطعام أهله . وقد ملك جزيرة العرب وكان فيها ملوك وأقال^(١) لهم خزائن وأموال يقتنونها ذخراً ويتباهون بها غفراً ويستمتعون بها أشراً وبطراً . وقد حاز ملك جميعهم فما اقتنى ديناراً ولا درهماً لا يأكل إلا الخشن ولا يلبس إلا الخشن ، ويمطي الجزل الخطير ويصل اللحم الفقير ، ويتجرع مرارة الافلال ويصبر على سغب الاختلال ، وقد حاز غنائم هوزات وهي من السبي ستة آلاف رأس ومن الابل أربعة وعشرون ألف بعير ومن الغنم أربعون ألف شاة ومن الفضة أربعة آلاف أوقية . فجاد بجميع حقه وعاد خلوا . .

(وروى الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال : « أنا أولى بالؤمنين من أنفسهم ، فمن ترك ديننا فعلي » ، ومن ترك ما لا فلورثته ،

(فهل مثل هذا الكرم والجود كرمًا وجوداً . . أم هل لثل هذا الاعراض والزهادة اعراضاً وزهداً !! ؟ هيهات ! هل يدركُ شأوُ مَنْ هذه شذورِ من فضائله ويسير من محاسنه التي لا يحصى لها عدد ولا يدرك لها أمد . لم تكمل في غيره فيساويه ، ولا كذب بها ضد بناويه . ولقد جهد كل منافق ومعاقد وكل زنديق وملحد أن يزرى عليه في قول أو فعل ، أو يظفر بهفوة في جد أو هزل فلم يجد اليه سبيلاً وقد جهد جهده وجمع كيده . فأني فضل أعظم من فضل تشاهده الحسدة والاعداء فلم يجدوا فيه

(١) (الاقبال) : جمع قيل . والقيل : الملك من ملوك اليمن في الجاهلية دون الملك الاعظم -

مغمزاً ثالب أو قاذح ولا مطعناً لجراح أوفاضح؟! فهو كما قال الشاعر :

شهد الانام بفضلہ حتی العدا ★ والفضل ما شهدت به الاعداء

(.. فكان ذلك من أوضح الشواهد على صحة نبوته وأظهر الامارات في صدق رسالته فما ينكرها بعد الوضوح الا مفضوح . والحمد لله الذي وفق لطاعته وهدى إلى التصديق برسالته) (١) .

وكان إعراضه ﷺ عن الدنيا بكل ما فيها من مال أوجه . فقد آمنت به الجموع ودانت له الجزيرة العربية بأسرها فلم يُقِمْ لنفسه من مظاهر الابهة وعظمة الملك ما كان شائئاً معتاداً . ولم يرض أن يعظمه الناس تعظيم الأعاجم للوكها ولا أن يبالغوا في الثناء عليه مبالغة النصارى في عيسى ابن مريم . فقال : (لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم إنما أنا عبد الله ، فقلوه : عبد الله ورسوله) (٢) لم يُسخر رسول الله أحداً في قصر له أو حديقة . . ولم يُذلَّ امرءاً في خدمته . ولم يتعال على الناس ويهيمن عليهم شأن الملوك . وذلك وقوفاً منه عند حدود رسالته التي رسمها الله (فذكر إنما أنت مذكر . لست عليهم بمسيطر) (٣) .

وانطلق الدكتور محمد عبد الله دراز على نفس المنحى ببيان شاعري وجداني عقلي ملائم . فقال :

(واعلم انك مهما أزحت عن نفسك راحة اليقين ، وأرخت لها عنان الشك وتركتها تفترض أسوأ الفروض في الواقعة الواحدة والحادثة

(١) اعلام النبوة : ص ١٥٤ - ١٥٦ .

(٢) رواه البخاري عن عمر رضي الله عنه . (الفتح الكبير للسيوطي ج ٣ ص ٣٢٩)

(٣) سورة العاشية : ٢١ - ٢٢ .

الفذة من هذه السيرة المكرمة ، فانك متى وقفت منها على مجموعة صالحة لا تملك أن تدفع هذا اليقين عن نفسك إلا بعد أن تتهم وجدانك وتشك في سلامة عقلك . فنحن قد نرى الناس يدرسون حياة الشعراء في أشعارهم، فيأخذون عن الشاعر من كلامه صورة كاملة تتمثل فيها عقائده وعوائده وأخلاقه ونجوى تفكيره وأسلوب معيشتة . ولا يمنعهم زخرف الشعر وطلاؤه عن استنباط دخليته ، وكشف رغوته عن صريحه . وذلك أن للحقيقة قوة غلبة تنفذ من حجب الكتمان ، فتقرأ بين السطور وتعرف في لحن القول . والانسان مهما أمن في تصنعه ومداهنته لا يخلو من فلتات في قوله وفعله تتم على طبعه إذا احفظ أو اخرج أو احتاج أو ظفر أو خلا بمن يطمئن إليه .

ومها تكن عند امرئ من خليقة : وان خالها تخفى على الناس تعلم

فما ظنك بهذه الحياة النبوية التي تعطيك في كل حلقة من حلقاتها مرآة صافية لنفس صاحبها ، فتريك باطنه من ظاهره ، وتريك الصدق والاخلاص ماثلاً في كل قول من اقواله وكل فعل من افعاله . بل كان الناظر اليه إذا قويت فطنته وحسنت فراسته يرى اخلاقه العالمة تلوح في محياه ولولم يتكلم او يعمل . ومن هنا كان كثير ممن شرح الله صدورهم للاسلام لا يسألون رسول الله على ما قال برهاناً . فمنهم المشير الذي عرفه بعظمة سيرته ، ومنهم الغريب الذي عرفه بسياه في وجهه . قال عبد الله بن سلام رضي الله عنه : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم المدينة ، انجفل الناس إليه . وقيل : (قدم رسول الله ! قدم رسول الله !) فحُت في الناس لانظر إليه ، فلما استتب وجه رسول الله ﷺ ، عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب . رواه الترمذي بسند صحيح (١) .

نماذج مية من أخلاقه عليه الصلوة والسلام

وانما يدعونا الى الاسهاب قليلاً في الحديث عن اخلاق سيد ولد آدم ﷺ ؛ ان الاخلاق فضائل نفسية لا تُعرف حقيقتها ومستوياتها الا اذا شقت طريقها الى الواقع العملي ، فشوهدت ماثلة للعيان على بساط الطبيعة والعلاقات الاجتماعية . وليس الذي نعرض له الا غيضاً من فيض وقطرة من بحر أخلاقه ﷺ بل هو شعاع واحد من نور وهاج شاسع عريض ، غشي الانسانية فأضاء لها سبل الخلق ، بعد ان عميت عليها بالجهالات والضلالات والمظالم .

ومثوله ﷺ بأخلاقه امام البشرية يسمو بخواطرها الى صورة الكمال القائمة في نفسه . فثبت لها انه كمال مثالي ممكن في جنسه غير ممتنع وواقع ليس بخيال . فيتمكن بذلك من تحقيقه فيهم بالقدر الذي يتسع له ذرعهم ويحتمله نقصانهم .

اما ملاحظة زماننا فكما ألفتهم بالحجة ودمغت باطلهم بالبراهين الساطعة فأزهقته ، سلكوا سبل النفاق . فزعموا ان مبادئ الاسلام وأخلاقه ومثله وقيمته كإلية مثالية ، تخور دونها عزائم البشر وتتخاذل عنها همهم . لكن ثبت لديك في السيرة والتاريخ ان اصحاب الرسول ﷺ وتابعيهم عبر القرون قد تحلوا بهذه الأخلاق والمثل على نحو مستمر مطرد ، لا يتخلف ولا يتحول بتحول المصالح الشخصية والمنافع الذاتية . ويدل هذا دلالة قوية بالغة على انسجام وتماق بين تلك الأخلاق والحاصل وبين واقع الحياة

الانسانية وطبيعة العلاقات الاجتماعية . فهي أخلاق مثالية سامية ، وواقعية ممكنة ، نابعة عن ايمان عميق بالله جل شأنه . وهذا هو سر روعتها وخلودها .

واليك خصالاً حية من أخلاقه عليه السلام (١) جابه بها الحوادث على بساط الواقع . فهي آيات بينات على ان لصاحبها سنداً الهياً يلهمه ويهديه . فكان ولا زال خير مثال تقتدي به الانسانية في الفضائل ومكارم الأخلاق .

١ - رعايته الايتام والارامل والفقراء :

ومن بواكير التوجيهات الخلقية في القرآن ما خاطب الله به نبيه في سورة الضحى مباشرة فقال : (لم يجذك يتما فآوى ، ووجدك ضالاً فهدى ، ووجدك عائلاً فأغنى فأما اليتيم فلا تقهر . وأما السائل فلا تنهر . وأما بنعمة ربك فحدث) .

امتن الله على رسوله بأن آواه من يتم فيها له من يكفله . ثم امتن عليه بالنعمة العظمى التي خصه بها دون سائر الناس ، فجعله خاتم المرسلين فعرفه شريعته بعد اذ كان جاهلاً بها غافلاً عنها . واعقب ذلك بذكر نعمة امتدت ملازماتها للرسول منذ طفولته الى ان تنزلت عليه السورة بعد بعثته ، وظل ينعم بها طيلة عمره ، فقد انتشلته الله من وهدة الفقر والاحتياج بنعمة الغنى والاكتفاء . وتتابعت التوجيهات القرآنية المناسبة للمقام حتى اصبح الرسول في حالة شهود لألوان عظيمة من المنة الالهية ، فخطوب من ناحيتها واحدة إثر أخرى .

(١) ومن أراد المزيد عما نذكره فعليه بكتاب : الصائل الحمدي للترمذي والشفاء للقاضي عياض - وشرحه للا علي الفاري - وكتاب أخلاق النبي من رواية أبي الشيخ الاصبهاني - وعليه بكافة كتب السنة والسيرة يجد فيها الامثلة والنماذج العديدة في مظانها ومنبئة في تضاعيف عامة موضوعات تلك الكتب .

أيها اليتيم : لقد صانك الله في يترك . فاحفظ الأيتام محتنباً طريقة
الجاهليين في اكل اموال اليتامى ظلماً ، استخفافاً بشأنهم وطمعاً في اموالهم .
اعطف على الايتام فانهم حرموا الحنان والود ، فهم اجدر بالرعاية والمعطف .
فكان الرسول ﷺ القدوة في رعاية الايتام والاحسان اليهم .

فهذا انس بن مالك يتيم الاب ، تزوجت امه من ابي طلحة فدفعت
أنساً الى رسول الله وهو ابن عشر سنين وقالت له : هذا انس غلام يخدمك .
فقبله الرسول وآواه اليه فأمضى في كنفه وخدمته عشر سنين ، حظى فيها
بكرم الايواء وحسن الرعاية والتوجيه . فشهد من خلال معاملة الرسول
له بأنه احسن الناس خلقاً فقال رضي الله عنه : (خدمت رسول الله ﷺ
عشر سنين فما قال لي أف قط ، وما قال لي شيء صنعتُهُ : لَمْ صنعته ؟
ولا شيء تركته : لَمْ تركته) (١) .

وقد بين عليه الصلاة والسلام ان المرأة التي تحبس نفسها على ايتامها
فتبذل غاية الجهد وتحتمل في تربيتهم المشقة والضنك وتحرم نفسها نعيم الشباب
إنما تنال عند الله مكانة كريمة قرب نبيه في عليين : (انا وامرأة سفعاء
الحدين كهاتين يوم القيامة ، وأوماً بالوسطى والسبابة ، امرأة آمت من
زوجها ذات منصب وجمال حبست نفسها على يتاماها حتى بانوا او ماتوا) (٢) .

وأمضى الرسول عليه السلام حياته برأً بالايتام والضعفاء والأرامل .

(١) السمائل المحمدية للترمذي ص ٢١٧ . وانظر الاصابة ج ١ ص ٨٤ وج ٤
ص ٤٤١ - ٤٤٢ وانظر أخلاق النبي ص ٢١ .

(٢) رواه أبو داود . ومعنى سفعاء الحدين : متغير لون خديها من التعب والارهاق .
آمت : صارت بلا زوج . بانوا : كبروا أو استغنوا عنها . انظر التاج الجامع للاصول
ج ٥ ص ١٤ .

وأعلن بأنه ولي من لا ولي له من المسلمين . فكان لهم الأب الرؤوف الرحيم . كما حض المسلمين على انتهاج خطته ﷺ في الايتام فقال : (أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا وقال بأصبعيه السبابة والوسطى) (١) .

وتتابع الخطاب الالهي (واما السائل فلا تنهر) يلحس فؤاد محمد ﷺ من جنب ثان من النعم التي كساه بها : ايها العائل الذي لم يرث مالا ولا عقاراً لقد كنت خالي الوفاض من متاع الدنيا وزينتها فأعطاك الله ما كفاك ورزقك عفة النفس مع القليل فأغناك . لاتنس الفقراء المحتاجين ولا ترد السائلين اللاتدين بل اعط ما استطعت إلى العطاء سبيلاً . ولا تدخر جهداً في رد لطفة المستغيثين والملهوفين .

فكان اجود الناس جميعاً وكان الخير يتدفق من بين يديه وفيراً يسابق الريح المرسله فيما تأتي به من سحب تهطل منها الأمطار مدراراً ، فيعم الري وانحصب البلاد والعباد .

عن ابن عباس رضي الله عنها قال : كان النبي ﷺ اجود الناس بالخير واجود ما يكون في شهر رمضان . لأن جبريل كان يلقاه في كل ليلة في شهر رمضان حتى ينسلخ يعرض عليه رسول الله ﷺ القرآن فاذا لقيه جبريل كان اجود بالخير من الريح المرسله (٢) .

(١) رواه الاربعة . وروى مسلم نحوه . ومعنى قوله : قال بأصبعيه : أشار بأصبعيه السبابة والوسطى وفرج بينهما . التاج الجامع للأصول ج ٥ ص ١٣ تأليف : منصور علي ناصيف .

(٢) صحيح البخاري - كتاب فضائل القرآن ج ٣ ص ٢٢٧ وكتاب الخلق : باب ذكر الملائكة ج ٢ ص ٢١٣ . وانظر الشئائل الحمدي للترمذي ص ٢٢٤ .

وامضى الرسول عمره ينفق كل ما تصل إليه يداه من المال لا يدخر منه شيئاً خشية املاق في غدٍ او بعده ، بل يعطي عطاء من لا يخشى فقراً . فاذا نفد ما عنده وجاءه سائل ، فغاية الجود فيما تظن أن يرده معتنزاً عن عطائه اليوم ، يعده اياماً ويؤمله العطاء .. لكن الرسول يحيب ظنك في هذا الذي تراه غاية في الجود .

(عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان رجلاً جاء الى النبي ﷺ فسأله ان يعطيه فقال النبي ﷺ ما عندي شيء ولكن اتبع عليّ ، فاذا جاءني شيء قضيته . فقال عمر : يا رسول الله قد اعطيته فما كافئك الله ما لا تقدر عليه . فكره ﷺ قول عمر . فقال رجل من الانصار : يا رسول الله انفق ولا تخف من ذي العرش إقلالا ، فبسم رسول ﷺ وعُرف في وجهه البشر لقول الانصاري ثم قال : بهذا أمرت (١) .

لقد استجاب محمد ﷺ لامر ربه استجابة تفوق التصور وتتجاوز حدود التحمل . فصار أجود الناس وأجود بالخير من الريح المرسلة . وأعطى عطاء من لا يخشى فقراً . فاذا نفد ما عنده امر السائل ان يستدين عليه . لقد أدرك بهذه الخلال ذروة الكمال التي عجزت عنها هم الرجال ولم تبلغها آمالهم . فثبت بذلك انه رسول الله حقاً وصدقاً .

ثم يأتي الخطاب الى رسول الله جامعاً شاملاً ما سبق ، يوجه قلبه الى النعم المتفضل ، منشطاً له على ذكر نعمائه دائماً لا يغفل عنها لحظة

(١) الشامل المحمدية - للترمذي ص ٢٢٥ - ٢٢٦ وليس المراد من (السائل) في الآية صاحب الحاجة المادية فحسب بل يشمل المفسر عن علم أو حكم من شرع الله عز وجل . وسيرة الرسول زاخرة بالامثلة التي تدل على مزيد اهتمامه بهذا الصنف من السائلين رجالاً كانوا أم نساء .

(واما بنعمة ربك فحدث) فقد آواك وانت يتيماً ، واعطاك وانت عائل محتاج ، وانقذك بالهداية الى الشريعة وانت غافل عنها جاهل بها ، فحدث بجلائل النعم التي حباك الله بها واقعد بالكريم سبحانه فأغدق على من حولك ما استطعت من الاغداق . ولا تنس ابداً فضل الله العظيم عليك ، بل اجهر به يعرفه الناس فان التحدث بالنعمة شكر لها . وتحدثك بنعمة الله الشاملة عليك تعويد لهم على ملاحظة النعمة وشهود المنة الالهية . وهذه من ارقى عبادات المتقين المتقربين الى الله . وذكرك نعمة الله تعريف للمؤمنين بنعمة الله عليهم . فالانعام على نبيهم الذي اعده الله لانتقادهم انعام عليهم . (١)

٢ - صبره ﷺ :

وما الذي يحمله على الصبر .. وما اهمية الصبر بالنسبة اليه . ؟
انه الشريف في قومه ؛ المحترم لدى الناس ولا غرو ! فانه الصادق الأمين . يتسامعون به فيجلونه وكثير منهم لم يره بعد !
ثمة عوامل تدعوه إلى الصبر ؛ رسالة بُعث بها ، ودعوة أمر ان يبلغها القريب فالبعيد (وانذر عشيرتك الأقربين واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين) (٢) .

ومقام اقامه الله به في قومه ينبغي ان يؤدي واجباته جميعاً من بشارة ووعد إلى نذارة ووعيد . وشهادة يشهد بها يوم الحساب على الجمع كله (يا ايها النبي إنا ارسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله باذنه وسراجاً منيراً وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلاً كبيراً ولا تقطع الكافرين .

(١) راجع تمام تفسير سورة الضحى في هذه الرسالة ص ٥٦ وما بعدها .

(٢) سورة الشعراء : ٢١٥ .

والمنافقين ودع أذاهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلاً (١) .

ان عليه أن يصبر فيما يتصل به أولاً ، وفيما يتصل بدعوته ثانياً .
أما في الحال الأول فانه رسول قدوة يتأسى به المسلمون فهو القدوة
لهم في الصبر على نوائب الزمان وصروف الأيام يحتسب أجره عند الله فيما
يلم به من بؤس وفاقة وضر وفقد عزيز . فها هو رسول الله ﷺ يحمل
بنثاً لابنته زينب وقد أشرفت على الموت فتدمع عيناه رافة بها . فبكأؤه في
جليل المصائب قاصر على دمع العين - لكن أم أيمن حاضنة الرسول ﷺ
أجهشت بالبكاء فمنعها تعويداً لها على الصبر والاحتساب . فقالت : أأستـ
أراك تبكي . فقال ﷺ : (اني لست أبكي إنما هي رحمة ، إن المؤمن
بكل خير على كل حال ، ان نفسه تئزع من بين جنبه وهو يحمد الله
عز وجل) (٢) .

وهذا أخوه من الرضاعة عثمان بن مظعون ، قرشي أسلم في مكة
بعد ثلاثة عشر رجلاً ، يفجع موثته رسول الله ﷺ فتهمر دموعه
حزناً عليه . ويمسك نفسه صابراً محتسباً إمساكاً ينيء عن رجولته العالية
الفريدة (٣) . وما كانت هذه التماذج العالية من الصبر إلا تلبية لأمر
الله تعالى .

(واصبر لحكم ربك فانك بأعيننا وسبح بحمد ربك حين تقوم) (٤) .

(واصبر كما صبر أولو العزم من الرسل) (٥) .

(١) سورة الاحزاب : ٤٥ .

(٢ و٣) انظر الحديث بنصه التام في الشئائل المحمدية للترمذي : ص ٢٠٢ - ٢٠٣ .

(٤) سورة ق : ٣٩ . (٥) سورة الاحقاف : ٣٥ .

(واصبر وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون) (١) .

وكما صبر على ما ألم به من صروف الأيام صبر على ما نزل به من كيد الكائدين الكافرين وعاش مترفعاً عن المطامع والمفانم فلم يشبع محمد وآل محمد من خبز الشعير يومين متتابعين حتى قبض رسول الله ﷺ ، وكانوا يمشون الشهر ما تؤقد لهم نار للاضاءة أو الطبخ ، فما كان طعامهم إلا التمر والماء . وصبر عليه السلام على الاضطهاد والقاء الأقدار والأشواك في طريقه . بل على ضرب سفهاء وصبيان بني ثقيف إياه بالحجارة حتى سالت الدماء . وصبر عليهم ثلاث عشرة سنة يعاندون ويكبرون ويالفون في الايذاء ، فحزن عليهم أن تفوتهم سبيل الهداية ، وتآلم لذلك فؤاده حتى عاتبه في ذلك ربه : (فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ان الله عليم بما يصنعون) (٢) . (فلعنك باخع نفسك على آثارك ان لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفاً) (٣) .

ولم ينج الرسول من أذى المشركين حين هاجر إلى المدينة . فقد جمعوا الجموع لحربه ، وظهر في المدينة طائفة أخرى من الأعداء المتربصين بطريقة مأكرة خبيثة . هؤلاء المنافقون ينشرون الاشاعات ويغنون الفتنة ويستغلون الظروف تثبيطاً للمؤمنين وايذاء لرسولهم . وقد اقتضض أمر بعضهم . إذ قالوا : اذهبوا إلى محمد فاحلفوا بصدقكم ، فانه يصفي باذنه مصداقاً كل متحدث فاذا حلفنا له صدقنا . فبين الله تعالى أن الرسول يصفي بنباهة يميز بها الصادق من الكذوب من غير غفلة أو تساهل .

(١) سورة النحل : ١٢٧ . (٢) سورة فاطر : ٨ .

(٣) سورة الكهف : ٦ وباع نفسك : مهلكها .

فيصدق المؤمنين بالله ويكذب المنافقين ويكشف خفايا نفوسهم (ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو 'أذن' ، قل 'أذن' خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ورحمة للذين آمنوا منكم ، والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم) (١)

ان صبره ودأبه في تبليغ دعوته سنياً طوالاً دون كلل أو ملل، هو من أقوى الأدلة على صدقه وامانته فيما يبلغ عن ربه . فان ما نزل به من صنوف البلاء لو عرض على أعتى الرجال وأكثرهم جلدأً وصبراً ليحتمله فينال به الدنيا وزخرفها لأعرض عنه ايثاراً للسلامة . ومع ذلك فقد احتمل الرسول ما احتمل فلما 'أحضرت له الكنوز والأموال ترفع عن ادخار شيء واكتنازه . ثم انتقل إلى الرفيق الأعلى لم يخلف لذييه ميراثاً .

٣ - لين جانبه ﷺ :

أرادَ المشركون بعد الهزيمة النكراء التي حلت بهم في غزوة بدر أن يثأروا اقتلام ، فحشدوا جموعَ العرب واتجهوا الى المدينة المنورة . فشاوَرَ الرسولَ صَجه فيما يفعله . وكان رأيُه ورأيَ عليِّه الصحابة البقاء في المدينة حتى يأتيهم العدو ، فان دخلها أمكنهم قتاله جميعاً رجالاً ونساءً وصبياناً في الأزقة ومن أسطحة المنازل بالحجارة فيمزقونه بدداً . لكن جمهرة الصحابة ومعظمهم الشبان الذين فاتهم حضور غزوة بدر تحمسوا للخروج للعدو رغبة في لقاءه . وأصرّوا على رأيهم فترك رسول الله عن رأيهِ الى رأيهم . وخرج رسول الله في ألف مقاتل ، لكن عبدالله بن

أبي ابن سلول رأس النفاق حرن في الطريق ورجع بثلاث الجيش . وكلف رسول الله ﷺ من مهرة الرماة ان يتبوؤا مراكز في موقع منيع في جبل أحد يكتنهم من رد خيل العدو عن المسلمين ولا يمكن العدو منهم وقال لهم الرسول ﷺ (انضحوا الخيل عنا ، ولا تؤتينا من قبلكم ، والزموا مكانكم ان كانت النوبة لنا أو علينا ، وإن رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا مكانكم) وانتصر المسلمون أول النهار وجعلوا يجمعون الغنائم ويتعقبون فلول المهزمين فنزل معظم الرماة عن الجبل - خلافاً لأمر رسولهم - فدخلت خيل المشركين من تلك الثغرة وفعلت بالمسلمين الأفاعيل وانهزم معظم المسلمين وبقي الرسول في اثني عشر رجلاً من صحبه فحاصره العدو فأصابت رابعيته وشج في وجنته وكنت شفقه وقتل سبع من صحبه (١)

بعد هذا العصيان الذي أنزل بالمسلمين نكبة أليمة ، لقي رسول الله أصحابه فواساهم في مصابهم وعزاهم بقتلهم بشفقة ورأفة وتسامح ولين . لقد اغضى عما كان وراح يعالج الأمر فيما آله . فأنزل الله عز وجل قوله (فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانقضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فاذا عزمتم فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين) (٢) .

والغناء للترتيب . فان السياق السابق على الآية ذكر فرارهم عن رسول الله ﷺ ، والحرب قائمة على سياق ؛ وحياض الأهوال مترعة . فأفاد ان الفارين استحقوا اللوم والتعنيف من الرسول ﷺ بمقتضى الجلبة

(١) انظر تفسير ابن كثير ج ١ ص ٤٠٠ وما بعدها . وانظر كتب السيرة . وكان عدد المسلمين نحو سبعمائة رجل ، وعدد المشركين ثلاثة آلاف رجل .

(٢) سورة آل عمران : ١٥٩ .

البشرية . لكن الله رتب لحالهم تلك سعة الأخلاق النبوية رحمة منه سبحانه وتعالى (١) .

روى أبو الشيخ الاصبهاني عن الحسن البصري رضي الله عنه في قوله عز وجل (فبما رحمة من الله لنت لهم) .

قال : هذا خلق محمد ﷺ ففته الله عز وجل به (٢) .

خاطب الله رسوله ان تأمل - يا محمد - فيما منحهم الله - على الرغم مما كان منهم - فقد ألان الله لهم برحمته قلبك وأسأل عليهم عطفك وبرك . فليقدروا هذه الرحمة الالهية المتمثلة في حقيقة النبي بأخلاقه السامية ومسجيته الخيرة الكريمة وطبيعته الهينة اللينة السمحاء . فقد أعدها الله لتجتمع بها القلوب وتتعارف النفوس وتتألف الأفتدة . فلو كنت فظاً جافي المعاشرة قولاً أو فعلاً ، ولو كنت غليظاً قاسي القلب غليظ الكبد قليل الشفقة إذن لتفرقوا عنك أشلاء وأجزاء . إنهم أحوج ما يكونون الى كنف رحيم وسماحة ندية دافقة . ووجه بشوش طلق ورعاية مفعمة بالحنان الكثير والود العريض . ولا ريب أن الله حباه هذه الخصال تمكيناً له من القيام بأعباء الرسالة . فلولا هذا التأهيل الالهي الخاص برسوله ، لنشأ متطبعا بطباع الجاهلين من شراسة الخلق وقساوة القلب ، ولضاق بالعرب وغيرهم ذرعاً فتفرقوا عنه . قال الألوسي : (في الكلام حذف ، اي لو كنت فظاً غليظ القلب فلم تكن لهم وأغلظت عليهم « لا نفصوا من حولك » اي

(١) و (الباء) متعلقة بـلنت ، والتقديم للقصر ، و (ما) مزيدة للتأكيد ، وعليه أجلة المفسرين .

(٢) كتاب أخلاق النبي ص ١٩ وابن كثير ج ١ ص ٤٢٠ ولعله وقع فيه تصحيف في قوله (بعته) بدل (نفته) .

انفارقوا عنك ونفروا منك ولم يسكنوا إليك وتردوا في مهاوي الردى ولم ينتظم أمر ما بعثت به من هدايتهم وإرشادهم الصراط (١).

(فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين) فاعف عنهم - على الرغم مما وقعوا فيه - بحلم يتسع لجلهم وتقصم وغلظهم واصفح صفحاً جميلاً تتجاوز به عن سيئاتهم واسأل الله أن يغفر لهم خطأهم ومخالفتهم . وثابر على الأخذ بالشورى فإنها لا تأتي إلا بنجى فهي عماد الحكم في الاسلام . فإذا عزمت على امضاء الأمر بعد المشاورة فلا تردد ولا تراجع ، وثق بالله تعالى وفوض الأمر إليه ، فان الفاعلية له وحده - في تصريف الأحداث وترتيب النتائج - لا للشورى أو غيرها - والله يجب من العبد أن يأخذ بالأسباب ويوجه قلبه إليه معتمداً عليه ملاحظاً أنه ذو القوة المتين الفعال لما يريد (٢) .

ولا غرو فقد لس الصحابة الرحمة الالهية في الاخلاق النبوية فقد كان عليه السلام (أجود الناس صدراً وأصدق الناس لهجة وألينهم عريكة وأكرمهم عشرة من رآه بديهة هابه ومن خالعه معرفة أحبه . يقول ناعته لم أرَ قبله ولا بعده مثله) (٣) .

لقد دأب عليه السلام على الرفق بالناس ، فجعل يختار لهم من أمورهم أيسرها وأرحبها ، مجتنباً ما حرمه الله (عن عائشة رضي الله عنها قالت : ما خير رسول الله ﷺ في أمرين قط إلا اختار أيسرهما ما لم يكن

(١) روح المعاني : ٤ : ٩٣ - ٩٤ .

(٢) انظر تفسير الاية في حاشية الجمل على الجلالين ج ١ ص ٣٢٩ - ٣٣٠ . وروح المعاني ج ٤ ص ٩٣ - ٩٤ ، وتفسير ابن كثير ج ١ ص ٤٢٠ - ٤٢١ .

(٣) من حديث سيدنا علي - الشرائع المحمدية للترمذي ص ١٦ - ١٧ .

إثماً . فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه . وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله تعالى ، فينتقم لله بها) (١) اشتهر رسول الله ﷺ بالكرم ، والسماحة ، والعفو عند المقدرة على ائزال العقاب ، وذلك فيما يتصل بحقوقه الشخصية أما إذا تعدى الناس حدود الدين وتجاوزوا حرمت الله ؛ غضب حتى لم يبق للرد غضبه شيء إلا تنفيذ شرع الله . لقد اطرحت حظوظ الذات ، وأعرض عن مطالب الأنا ، فليس له غرض في التشفي أو الانتقام لحقوقه . وتحلى بأخلاق قرآنية محضة فلم ينطق أو يتصرف في الرضا والغضب والسخط إلا حقاً وخيراً . (عن أبي الدرداء رضي الله عنه أنه سأل عائشة رضي الله عنها عن خلق رسول الله ﷺ فقالت : كان خلقه القرآن يرضى لرضاه ويسخط لسخطه) (٢) ، ومن هنا جاء تنازله عن حقوقه الشخصية عجباً مدهشاً ، واغضاؤه عن إساءة الآخرين فوق تحمل البشر العاديين وطاقتهم ، مما لا يقدر عليه إلا إنسان مؤيد بجدد إلهي عظيم .

فهذا واحد من الأعراب الأجلاف يُغلظ عليه فيحتمله ويضحك له ويكرمه . (عن أنس رضي الله عنه قال : كنت مع النبي ﷺ ، وعليه برد غليظ الحاشية ، فجذبه أعرابي بردائه جيزة شديدة حتى أثرت حاشية البرد في صفحة عاتقه ، ثم قال : يا محمد احمل لي على بعيري هذين من مال الله الذي عندك ، فانك لا تحمل لي من مالك ولا من مال أبيك . فسكت النبي ﷺ ثم قال : المال مال الله وأنا عبده ، ثم

(١) رواه الشيخان وأبو داود - انظر شرح الشفاء ج ١ ص ٢٣٦ ، ورواه الترمذي قريباً مما ذكرناه في السمائل ص ٢٢٠ . ومعنى قط : أبداً .

(٢) رواه ابن المنذر وغيره - روح المعاني للأبوسي ج ٢٩ ص ٢٥ .

قال : وَيُقَادُ مِنْكَ يَا أَعْرَابِي مَا فَعَلْتَ بِي قَالَ : لَا . قَالَ النَّبِيُّ ﷺ :
لَمْ .. ؟ قَالَ : لَأَنَّكَ لَا تَكْفِيءُ بِالسَّيْئَةِ السَّيْئَةَ فَضَحَكَ النَّبِيُّ ﷺ ثُمَّ أَمَرَ
أَنْ يَحْمَلَ لَهُ عَلَى بَعِيرٍ شَعِيرٍ وَعَلَى الْآخِرِ تَمْرٌ (١) .

أما احتماله ﷺ للمشركين فقد استمر ثلاث عشرة سنة في مكة
ذاق فيها مرارة الاضطهاد والايذاء والمحادة والمعاداة . واحتمل من الآلام
ما لا يقبل لمظاء البشر به عادة . وعرض عليه جبريل أن يطبق عليهم
جبال مكة فيسحقهم عن آخرهم :

روى الشيخان أنه ﷺ لما كذبه قومه أتاه جبريل عليه السلام
فقال : إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ وَقَدْ أَمَرَ مَلِكُ
الْجِبَالِ لَتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ . فَنَادَاهُ مَلِكُ الْجِبَالِ وَسَلِّمْ عَلَيْهِ وَقَالَ : مَرِنِي
بِمَا شِئْتَ ، إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطَبِّقَ عَلَيْهِمُ الْآخْشِينَ .

قال النبي ﷺ : بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ
اللَّهَ وَحْدَهُ وَلَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً (٢) .

وقد انزل المشركون به في أحد أذى كثيراً . وقتلوا عمه حمزة
ومثلوا به أشنع تمثيل فلم يدع عليهم . واستمرت المصاولة بينه وبينهم بعد

(١) رَوَاهُ الشَّيْخَانُ وَالبَيْهَقِيُّ - شرح الشفاء للا علي الفاري ج ١ ص ٢٤٢
- ٢٤٣ . البرد : كساء . جذبه : جذبه أو جره . صفحة عاتقه : ما بين كتفه ومنكبه
وأما قوله (فأنك لا تحمل .. المنح) فهو زيادة للبيهقي على ما في الصحيحين . يقاد منك :
أي يقتص منك بثل فعلك عقاباً لك على أذاك وسوء أدبك وضحك النبي : أي تعجباً
من منطقته وتصرفه .

(٢) شرح الشفاء للا علي الفاري ج ١ ص ٢٧٩ . الأخشيان : جبالان مطيفان
بمكة ، وهما أبو قبيس والأحمر ، والأخشب : كل جبل خشن غليظ الحجارة . النهاية
ج ٢ ص ٣٢ .

الهجرة ثمانين سنين حتى أظفروا الله عليهم اذ داهمهم الرسول في عقر دارهم. وسبق اليه أبو سفيان ، الذي جلب الأحزاب لحربه وتسبب وزوجه بواسطة وحشي في قتل عمه حمزة والتمثيل به ، فإلفه الرسول ودعاه للإسلام فقال : ويحك يا أبا سفيان .. ألم يأن لك أن تعلم وتشهد أن لا اله إلا الله . فقال : بأبي أنت وأمي ما أحلمك وأوصلك وأكرمك (١) ثم جعل له مكربة خاصة لدى اقتحام المسلمين مكة ، فجعل الأمان لمن دخل داره (من دخل دار أبي سفيان فهو آمن) . واجتمع الذين حاربوا الله ورسوله يستمعون الى الحُكم فيهم وهم يظنون أن الرسول لن يتوانى عن استئصال شأفتهم وإبادة خضرائهم فقال : ما تقولون أني فاعل بكم . . فقالوا : أخ كريم وابن أخ كريم . فقال : أقول كما قال أخي يوسف لا تريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين (٢) .

بأن لك من ذلك كله تفوق رسول الله ﷺ على الناس أجمعين بسعة الصدر ولين العريكة وكرم العشرة وكظم الغيظ والعفو عن الناس . . . حتى رحب صدره لأجلاف الجاهلية ؛ وهم من اغلظ البشر طبعاً وأقسام معاملته . وهذا كله يكشف عن تأهيل الله محمداً لمقام الرسالة العظمى ويقرر صدق نبوته .

٤ - رأفته ورحمته صلى الله عليه وعلى آله وسلم :

اختار الله لدعوته وخاتمة رسالاته محمداً ﷺ من بين العرب ، وأمره أن يبلغهم إياها ، فانهم المكلفون بها أولاً وبالذات . وخطبهم سبحانه فلفت انتباههم الى صفاته النبوية فقال : (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم) (٣) .

أيها العرب ما لكم تتوقفون عن الإيمان بالرسول وقد ابتغته الله منكم ، فأنتم تعرفون أخلاقه وسجاياه قبل البعثة . وها أنتم ترونه تتمثل فيه خيرة صفات الرسل ، فانه ليصعب ويشق عليه أن يلم بكم - لأصراركم على الكفر - مكروه في الدنيا من هزيمة وذلة وخزي ، أو عذاب في الآخرة عقاباً على ما فرطتم في جنب ربكم ودعوة رسولكم . كان من اشفاقه عليه الصلاة والسلام عليهم أن رجا ربه في معراجة التخفيف عن أمته من الصلوات الخمسين التي فرضها عليهم ، وظل يناجيه فيحط عنهم خمساً بعد خمس ، حتى صارت خمس صلوات فقط . كل صلاة بعشر فذلك خمسون صلاة .

وان رسولكم - أيها العرب - حريص على إيمانكم واهتدائكم واصلاح شأنكم ، وانه ليؤلمه غاية الالام ويقض مضجعه حزناً وأسفاً عليكم ان لم تؤمنوا برسالة الله . وقد عاتبه في ذلك ربه (فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفاً) (١) .

ان رسولكم رؤوف بالمؤمنين عامة عرباً وعجماً ، فهو يشفق عليهم أن تصيبهم معرة مضره ، وهو في غاية الحرص على دفع الأذى عنهم . وهو رحيم بهم يبذل كل ما في الوسع احساناً اليهم ومحاولة لجلب النفع والخير العميم لهم . وقد خص الله رسولنا ؛ سيد ولد آدم ﷺ ؛ دون سائر الانبياء باسمين من أسمائه تعالى ، فوصفه ههنا بأنه (بالمؤمنين رؤوف رحيم) . وقال تعالى (ان الله بالناس لرؤوف رحيم) (٢) .

ومن رأفته بالمؤمنين واشفاقه عليهم انه كان يتمجل في صلاته مع

(١) سورة الكهف : ٦ .

(٢) سورة البقرة : ١٤٣ وانظر تفسير الآية في روح المعاني ج ١١ ص ٤٧ : وابن كثير ج ٢ ص ٤٠٣ وحاشية الجمل على الجلايين ج ٢ ص ٣٣١ .

الجماعة اذا سمع بكاء الصغير ، (١) خشية ان يتحول قلب أحد والديه أو بعض المؤمنين عن الخشوع في الصلاة .

ومن رحمته عليه صلوات الله وسلامه أنه خصص للمؤمنين قسطاً من وقته يومياً ، يلقي به ذوي الحاجات فيقضي حوائجهم . ويطلب الى أصحابه أن يبلغوه حاجة المحتاج . وقد وسع الناس بشره وطلاقة وجهه وكريم خلقه ، فصار لهم أباً وصاروا عنده في الحق سواء .

(قال الحسين بن علي رضي الله عنها : فسألت أبي عن دخول رسول الله ﷺ ؟ فقال : كان إذا أوى الى منزله جزءاً دخوله ثلاثة أجزاء : جزءاً لله وجزءاً لأهله وجزءاً لنفسه . ثم جزءاً جزأه بينه وبين الناس ، فإرد بالخاصة على العامة (٢) ولا يدخر عنهم شيئاً . وكان من سيرته في جزء الأمة إيثار أهل الفضل (٣) بإذنه وقسمه على قدر فضلهم في الدين ؛ فمنهم ذو الحاجة ومنهم ذو الحاجةين ومنهم ذو الحوائج . فيتشغل بهم ؛ ويشغلهم فيما يصلحهم والأمة من مسألتهم عنه ؛ وأخبارهم بالذي ينبغي لهم (٤) . ويقول : ليبلغ الشاهد (٥) منكم الغائب ، وأبلغوني

(١) مأخوذ من حديث رواه الشيخان - شرح الشفاء ج ١ ص ٢٧٨ .

(٢) (فرد بالخاصة على العامة) : إن علية الصحابة وأهله يدخلون عليه فيتحدثون عن مصالحهم ومصالح عامة الناس فيقضيها لهم ، ويستمعون للأحاديث فيبلغونها الناس . وهكذا فإن الرسول قد خص جزءاً من وقته داخل بيته للعامة تصلهم حصيلته بواسطة الخاصة ، لاستحالة دخول جميع الناس بيته .

(٣) (إيثار أهل الفضل) : تقديمهم على من دونهم .

(٤) وأخبارهم بالذي ينبغي لهم : ويتشغل بالأخبار المتعلقة بهم كالأحكام التي ينبغي أن يقولها لهم . (٥) الشاهد : الحاضر .

حاجة من لا يستطيع إبلاغها . فانه من أبلغَ سلطاناً حاجة من لا يستطيع إبلاغها ثبت الله قدميه يوم القيامة . لا يُذكرُ عنده إلا ذلك ، ولا يقبلُ من أحد غيره . يدخلون رواداً (١) ولا يفرقون الا عن ذواق (٢) ، ويخرجون أدلة ، يعني على الخير (٣) .

قال : فسألته عن مخرجه (٤) ؟ كيف كانت يصنع فيه ؟ قال : كان رسول الله ﷺ يخزن لسانه إلا فيما يعنيه . ويؤلفهم ولا ينفهم ، ويكرم كريم كل قوم ويوليهم عليهم ، ويحذّرُ الناس ، ويحترسُ منهم ؛ من غير أن يطوي عن أحد منهم بشره وخلقه ويتفقدُ أصحابه . ويسأل الناس عما في الناس . ويُحسن الحسن ويقويه ، ويُبجح القبيح ويوهيه (٥) . معتدلَ الأمر غير مختلف . لا يفعلُ مخافة أن يفعلُوا أو يميلوا (٦) . لكل حالٍ عنده عتاد (٧) لا يُقَصِّرُ عن الحق ولا يجاوزه ، الذين يلونه (٨) من الناس خيارهم ، أفضالهم عنده أعمّهم نصيحةً ، وأعظمهم عنده منزلة أحسنهم مواساة ومؤازرة (٩) .

-
- (١) يدخلون رواداً : راغبين في الاستفادة منه فيما يصلحهم والامة .
 - (٢) ذواق : أصله : المذوق من الطعام ، والمراد هنا : الاستفادة من العلم والخير .
 - (٣) أدلة على الخير : هداة للناس .
 - (٤) فسألته عن مخرجه : عن وقت استقراره خارج البيت .
 - (٥) يبجح القبيح ويوهيه : يصفه مظهراً فجحه ، ووضعه شأناً ويزجر من يرتكبه .
 - (٦) يميلوا : يتراخا ويتساهلوا في تطبيق أمر دينهم أو يمددوا عن نبيم .
 - (٧) لكل حالٍ عنده عتاد : أعد لكل عدته ، سواء أكان حرباً أم غيره .
 - (٨) يلونه : يقرّبون منه .
 - (٩) مواساة : احساناً للمحتاجين . مؤازرة : معاونة .

قال : فسألته عن مجلسه ؟ فقال : كان رسول الله ﷺ لا يقوم ولا يجلس إلا على ذكرٍ وإذا انتهى إلى قوم جلس حيث ينتهي به المجلس ، ويأمر بذلك . يعطي كل جلسائه بنصيبه ، لا يحسب جلسائه أن أحداً أكرم عليه منه . من جالسه أو فارّضه في حاجة صابرة حتى يكون هو المنصرف عنه . ومن سأله حاجة لم يرده إلا بها أو يمسور من القول . قد وسع الناس بسطه وخلقه فصار لهم أباً وصاروا عنده في الحق سواء . مجلسه مجلس حلم وحياء وأمانة وصبر ؛ لا ترفع فيه الأصوات ، ولا تؤبّن فيه الحرم^(١) ، ولا تثني فلتائه^(٢) . متعادلين ؛ بل كانوا يتفاضلون فيه بالتقوى . متواضعين يوقّرون فيه الكبير ويرحمون فيه الصغير ويؤثرون ذا الحاجة^(٣) ويحفظون الغريب^(٤) (٥) .

هذه رحمة النبيين وأخلاقهم ، جمل الله بها محمدًا في أرفع مستوى فدل على حقيقة أمره وربانية دعوته . وأفاد أن نبوته عين العناية الإلهية بالناس ، وأجلى الهداية الربانية لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

(١) ولا تؤبّن فيه الحرم : لا تعاب فيه أمور الناس التي يحرصون عليها ، فلا غيبة ولا كنف ولا غيبة .

(٢) ولا تثني فلتائه : لا تشاع الهفوات التي تحصل من البعض في مجلس الرسول .

(٣) يؤثرون ذا الحاجة : يقدمونه ويفضلونه على أنفسهم .

(٤) يحفظون الغريب : أي يوفونه حقه من الأكرام وغيره .

(٥) انظر الحديث تماماً في الشاغل المحمدية ص ٢٠٨ - ٢١٣ . وانظر أخلاق

النبي ص ٢١ - ٢٥ .

٥ - شجاعته ﷺ :

عرف الصحابة رسولهم بالشجاعة ورباطة الجأش وجسارة الاقدام منذ فجر الدعوة إلى أن اقترب أجله عليه الصلاة والسلام . فهذا موقفه من عمر بن الخطاب بطاش الجاهلية يبرهن على شجاعته النادرة وإقدامه القوي .

فقد ذكر ابن هشام في سيرته أن عمر خرج من بيته متوشحاً سيفه يريد أن يبطش برسول الله صلوات الله وسلامه عليه . فلقبه نعيم بن عبدالله فقال له : أين تريد يا عمر؟ فقال : أريد محمداً هذا الصابي الذي فرق أمر قريش وسفّه أحلامها وعاب دينها وسب آلهتها ، فأقتله .

وأراد نعيم صرفه عن رسول الله فكان فيما أجابه : أفلا ترجع إلى أهل بيتك فتقيم أمرهم؟ قال : وأي أهل بيتي؟ قال خنتك سميد بن زيد ابن عمرو وأختك فاطمة بنت الخطاب ، فقد والله أسلما وتابعا محمداً على دينه ، فملك بهما . فذهب عمر اليهما فسمع صدى قراءة القرآن من بيتهما ، فدخله ثم ناقشها مناقشة حادة مزعجة أصحبها بالضرب والأذى لهما . ثم لأن قلبه لقراءة القرآن ، فطلب أن يعرف مكان رسول الله حتى يأتيه فيسلم . فوصل البيت الذي تجمع فيه سرّاً ضعاف المسلمين لشدة خوفهم من بطش قريش إذا جهروا بدينهم . وكان الرسول يفقههم في دينهم . فقرع عمر الباب ، فنظر إليه من خلل الباب رجل منهم ، فرجع إلى رسول الله ﷺ وهو فزع فقال : يا رسول الله هذا عمر جاء متوشحاً بالسيف . فقال عمه حمزة بن عبدالمطلب : فأذن له ، فإن كان يريد خيراً بذلناه له ، وإن كان يريد شراً قتلناه بسيفه . فأذن الرسول له بالدخول ، ونهض إليه حتى لقيه في الحجرة ، فأخذ حجزته أو بجمع رداءه ، ثم جذه

جيدة شديدة وقال : ما جاء بك يا ابن الخطاب ؟ فوالله ما أرى أن تنهي حتى ينزل الله بك قارعة . فقال عمر : يا رسول الله جئتكم لأؤمن بالله وبرسوله وبما جاء من عند الله . فكبر رسول الله ﷺ تكبيرة عرف أهل البيت من أصحاب رسول الله ﷺ أن عمر قد أسلم (١)

ومنذ أول احتدام بين صفوف الكفر والايان ظهرت بسالة الرسول الفائقة في التصدي للعدو لاقتحام صفوفه وتفريق شمله . فكان الرسول أقرب الناس الى صفوف العدو وأكثرهم التحاماً به ، حتى جعل الصحابة يسرون إثره يحتمون به من ضربات العدو لكثرة اشتغالهم بحربه . قال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه : (انا كنا اذا حذى البأس واحمرت الحدق اتقينا برسول الله ﷺ . فما يكون أحد أقرب الى العدو منه . ولقد رأيتني يوم بدر . ونحن نلوذ برسول الله ﷺ وهو أقربنا الى العدو . وكان من أشد الناس يومئذ بأساً) (٢) .

والمألوف في كل العصور أن خوض غمار المارك من شأن الشباب ، فانهم أصبر على لظاها . وإنه لمن العجب بمكان أن يقدم الرسول ﷺ على حياة حربية في منتصف العقد السادس من عمره وأن يداوم عليها حتى النصر المؤزر . فان معركة بدر قد وقعت في العام الثاني للهجرة . وكان الرسول ﷺ يناهز خمساً وخمسين عاماً . ولكن شجعان الشبان ؛ كعلي

(١) الحجة : موضع شد الازار . القارعة : الداهية ، المصيبة . والحادثة موجزة من سيرة ابن هشام لدى حديثه عن اسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

(٢) رواه أحمد والنسائي والطبراني والبيهقي ، و (الحدق) : جمع حدقة وهي ما احتوت عليه العين من سواد وبياض ، وسبب احمرارها غضب صاحبها ، (نلوذ) : نلجأ ونستتر . (من أشد الناس يومئذ بأساً) : أراد أشد على الاطلاق قوة قلب وأكثرهم شدة ونشاطاً في الحرب . انظر شرح الشفاء ج ١ ص ٢٥٨ .

ابن أبي طالب ؛ كانوا يحتمون به . وأدار الرسول المعركة يوم حنين في العام الثامن للهجرة وقد جاوز الستين من العمر . وإنك لتشهد في كليهما من البطولة الفذة والشجاعة الخارقة ما يفوق مواقف مشاهير الأبطال . وفي ذلك من مظاهر الإعجاز الخلفي ما يرسى قواعد اليقين بخاتم النبيين محمد ﷺ .

وفي غزوة أحد ثبت الرسول ثباتاً رفع الروح المعنوية للجيش المسلم المشتت ، حيث بقي الرسول في اثني عشر رجلاً منهم بينما لاذ المؤمنون بالفرار (اذ تصعدون ولا تلوون على أحد والرسول يدعوكم في أخراكم) (١) فعملوا أن الرسول حيٌّ إذ ناداهم بنفسه بعد أن توهموا أنه في عداد الموتى .

كان دأب الرسول أن يدهم الشدائد بنفسه مباشرة ، فهو أكثر الناس مقارنة لصفوف العدو وأسرعهم لحوقاً بموطن الخطر ومبادرة إلى درئه قبل استفحاله (عن أنس رضي الله عنه قال : كان ﷺ أحسن الناس وأجود الناس وأشجع الناس . لقد فرغ أهل المدينة فانطلق ناس قبل الصوت فلتقاهم رسول الله ﷺ راجعاً قد سبقهم إلى الصوت واستبرأ الخبر على فرس لأبي طلحة عري ، والسيف في عنقه وهو يقول : لن تراعوا) (٢) .

(١) سورة آل عمران : ١٥٣ .

(٢) أخرجه الشيخان . فرغ أهل المدينة : خافوا أن يكون العدو قد بينهم ، فانهم لما سمعوا صوتاً غريباً من إحدى نواحي المدينة توهموا أن العدو قد أعد لهم هجوماً على حين غرة ليلاً (استبرأ الخبر) تعرف حقيقته . (فرس عري) : أي لا سرج عليها وهي للصحابي الجليل أبي طلحة رضي الله عنه . (لن تراعوا) : لا تخافوا أن يصيبكم مكروه . شرح الشفاء ج ١ ص ٢٥٩ .

لقد حضر رسول الله ﷺ المواقف الصعبة وفر الأبطال عنه غير مرة وهو ثابت لا يبرح ، استمر في غزواته على الاقدام على العدو لا اختراق صفوفه واستمر يركب بقلته يتقدم بها الجيش . فانها تسير قدماً بثبات ، ولا تمسين راكبيها على الفرار نظراً لبطائها . وهكذا كان اقبال الرسول على العدو مكيناً في زحفه لا يدبر ولا يتزحرج ، وقد أكسب الصحابة ثقة به وطموحاً للتقدم معه . وهذا التصرف منه يحل عن الوصف والشرح ويقصر المدح عنه . فما شجاع إلا عرفت له فرة أو حفظ عنه التردد والاضطراب في لقاء العدو - ولو مرة - سوى رسول الله ﷺ لكماله ووقاره وتبوءه أسمى مقام خلقي جليل .

ظل المسلمون يحاربون عدوم في قلة من العدد والعدة ، ويحجزون النصر بقوة إيمانهم وتأسيسهم بشجاعة نبيهم واستبساله عليه الصلاة والسلام . حتى جمعت هوازن وجوعها وأنصارها فخرج الرسول إليهم بعشرة آلاف مقاتل من المهاجرين والأنصار ومن آمن من قبائل العرب ومن أهل مكة (الطلقاء) وعددهم نحو ألفين ، وانخدع بعض المسلمين بكثرة جيشهم فقال : لن نغلب اليوم من قلة فباغتهم هوازن في وادي حنين بالنبال ، ففترقوا وثبت الرسول ومعه نحو ثمانين رجلاً وأمر الرسول العباس أن ينادي علياً الصحابة وأكابرهم ، فحضرُوا ، فأمرُوا أن يصدقوا الحملة ، واستنصر الرسول ربه ، فكتب الله لهم النصر على قلتهم ، وامن عليهم بذلك : (لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين . ثم أنزل الله مسكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنوداً لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين . ثم يتوب الله من بعد ذلك

على من يشاء والله غفور رحيم) (١) .

نعم لقد انكشف المسلمون مع كثرتهم وولوا مدبرين وتركوا رسول الله في نفر يسير ، وهو راكب بغلته يقارع العدو بالسنان ، ويعان بقوة ووضوح أنه النبي الصادق المعروف . وأنزل الله مسكينته على البقية الباقية من المؤمنين ومن انحاز اليهم من الفارين فكتب بأيديهم أروع آيات النصر الخالدة .

(عن البراء بن عازب أن رجلاً قال له : يا أبا عمارة أفرتم عن رسول الله ﷺ يوم حنين !؟ فقال : لكن رسول الله لم يفر . ان هوازن كانوا قوماً رماة فلما لقيناهم وحملنا عليهم انهزموا . فأقبل الناس على الغنائم ، فاستقبلونا بالسهم فانهزم الناس ففقد رأيت رسول الله ﷺ وأبو سفيان بن الحارث آخذ بلجام بغلته البيضاء ، وهو يقول : (أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب) (٢) .

تجلت هنا شجاعة الرسول النادرة ومقدرته العالية على الثبات في حومة الوغى وقد انكشف جيشه . ان في هذه الشجاعة وهذه الثقة العظيمة بالله وقوة التوكل عليه صبراً ومصابرة وقوة احتمال ، لأدلة ناصعة باهرة على نبوته ﷺ وقد أعلنها ﷺ للملأ بأوسع مدى في صوته وبيانه .

٦ - خشوعه وتعبد له ﷺ :

لا يذهبن بك الظن أن الرسول وصحبه كانوا رجال حرب صامدين أشداء وحسب ، فانهم فرسان النهار رهبان الليل ، يتاجون بهم في صلاتهم ليلاً ونهاراً خاشعين مخبتين قال تعالى : (هو الذي أرسل رسوله

(١) سورة التوبة : ٢٥ .

(١) رواه الشيخان : تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٣٤٤ - ٣٤٥ .

بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً . محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم ، تراهم ركعاً سجداً ينتغون فضلاً من الله ورضواناً سيّام في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة .. (١)

فالفرض من بعثة محمد ﷺ نشر الدين الحق ؛ الموافق لكل زمان ومكان ؛ ونصره واعلاء شأنه . وذلك بنسخ الشرائع الماضية ، وكشف التحريف الذي أدخله أهلها عليها . فكشَفَ الحقائق للناس ليهتدي بهديها من استنارت أبصارهم وعقولهم ، وسلط المسلمين على حصون الكفر المتمردة المتعصبة في مقاومة الحق واضطهاد أهله . فحددت الآية - أولاً - صلة المؤمنين وبنبيهم بهؤلاء الجاحدين المعادين . وبينت نوعية المعاملة التي التزموها في حقهم (أشداء على الكفار) فامتدحهم الله بها . كما امتدحهم واثنى عليهم - ثانياً - لحسن صلتهم ببعضهم (رحماء بينهم) فهم جسد واحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى . وهم متعاطفون متوادون يرأف كل منهم بالآخرين ، يمينهم على ما يلم بهم من سوء ومكروه بأدب جم وتواضع بالغ واحترام نادر . فهاتان خصلتان لمن يحبهم الله ويحبونه (أدلة على المؤمنين أعزّة على الكافرين) (٢).

وانتقلت الآية لبيان صلة النبي وصحبه برهيم - ثالثاً - فانك ما تنفك تبصرهم يصلون راكعين ساجدين لا ينقطعون عن مناجاته في ليل أو نهار ، ليطفروا بفضل الله ورضاه ، وسيكسوم الله لصدق عبادتهم فوراً في وجوههم فيكون لهم علامة مميزة يوم القيامة . ولا يبعد ان يجعل الله لهم في دنياهم

(١) سورة الفتح : ٢٩ . (٢) سورة المائدة : ٥٤ .

نوراً ينبعث من باطنهم فينعكس على وجوههم وضاء نورانية يراها من رزقه الله حساً إيمانياً مرهفاً . (١)

وكان لرسول الله ﷺ مزيد عبادة على عبادة أصحابه ، يتهد بها في ليله ، مبتلأ الى ربه يناجيه ضارعاً خاضعاً معلناً عبوديته التامة له وافتقاره الدائم اليه . وقد أمره تبارك وتعالى بهذا التهجد اضافة الى الصلوات الخمس المفروضة عليه وعلى أمته . قال تعالى (أقم الصلاة لدلوك الشمس الى غسق الليل وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهوداً . ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً) (٢) .

(١) انظر حاشية الجمل على الجلالين ج ٤ ص ١٧١ وروح المعاني ج ٢٦ ص ١١٣ - ١١٤ .

(٢) سورة الاسراء : ٧٨ - ٧٩ ومعنى (دلوك الشمس) : وقت تحولها وزوالها عن كبد السماء إذ تحين صلاة الظهر . (غسق الليل) : شدة ظلامه . وهو وقت العشاء (قرآن الفجر) : صلاة الصبح . وسميت قرآناً لأن قراءة القرآن ركن لا تصح الصلاة بدونه و (التهجد) : الاستيقاظ من النوم للصلاة ، كذا نقل عن الليث . (نافلة لك) : زيادة لك على الصلوات الخمس . (ان قرآن الفجر كان مشهوداً) : تشهد ملائكة الليل وملائكة النهار ، بدليل حديث أبي هريرة أخرجه أحمد والنسائي وابن ماجه والترمذي والحاكم وصحماه . وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ، ويجتمعون في صلاة الصبح وفي صلاة العصر . فيرجع الذين بانوا فيكم فيسألهم ربهم وهو أعلم بكم كيف تركتم عبادي ؟ فيقولون : أئمنام وهم يصلون وتركناهم وهم يصلون) ، وفي البخاري أيضاً بلفظ : (فضل صلاة الجميع على صلاة الواحد خمس وعشرون درجة وتجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة الفجر) يقول أبو هريرة : اقرءوا ان شئتم : (وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهوداً) .

والمقام المحمود : مقام الشفاعة العظمى يوم القيامة .

وقد أشارت هذه التفسيرات إلى اختلاف العلماء في حكم التهجد على قولين أولهما : =

أشارت الآية الأولى الى الصلوات الخمس ، بينما أمرت الثانية الرسول باداء صلاة التهجد . وقد ثبتت الاحاديث عن ابن عباس وعائشة وغير واحد من الصحابة أن رسول الله ﷺ كان يتجدد بعد نومه طرفاً من الليل . ولم يكتف السيد الاعظم من الصلوات بقدر يسير يسقط به عن نفسه العهدة امام ربه ، بل بالغ في عبادته والتزلف اليه لإجلالاً لربوبيته وشكراً لنعمته . وأكثر عليه الصلاة والسلام من الصلوات حتى تورمت قدماه ، على الرغم من غفران الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر .

(عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ يقوم يصلي حتى تنتفخ قدماه فيقال له : تفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ قال : أفلا أكون عبداً شكوراً) . (١)

وقد روى الترمذي عن ابن عباس وعن زيد بن خالد الجهني أنه عليه السلام (كان يقوم الليل باثنتي عشرة ركعة ثم يوتر) (٢) . ولا تسأل عن حسن صلاته بالليل وطولها (عن حذيفة بن اليمان ، رضي الله عنه أنه صلى مع النبي صلى الله عليه وسلم من الليل قال : فلما دخل في الصلاة قال : الله أكبر ذو الملكوت والجبروت والكبرياء والعظمة . قال : ثم قرأ البقرة ثم ركع فكان ركوعه نحواً من قيامه ،

= انه كان واجباً في حقه صلى الله عليه وسلم دون أمته . وثانيهما : انه مندوب في حقه كما هو في حق أمته أيضاً . (انظر روح المعاني : ١٥ : ١٢١-١٢٩ وابن كثير : ٣ : ٥٣-٥٨ وحاشية الجمل على الجلائين : ٢ : ٦٤١ - ٦٤٢) .

(١) رواه الترمذي في الشئائل ص ١٧٤ . والبخاري بلفظ قريب منه في كتاب الكسوف : باب التهجد بالليل .

(٢) الشئائل المحمدية للترمذي ص ١٧٥ و ١٧٧ .

وكان يقول سبحان ربي العظيم . سبحان ربي العظيم . ثم رفع رأسه فكان قيامه نحوه من ركوعه . وكان يقول : لربي الحمد . لربي الحمد ، ثم سجد فكان سجوده نحوه من قيامه ، وكان يقول سبحان ربي الأعلى . سبحان ربي الأعلى . ثم رفع رأسه ، فكان ما بين السجدين نحوه من السجود وكان يقول : رب اغفر لي . رب اغفر لي حتى قرأ البقرة وآل عمران والنساء والمائدة أو الأنعام . شعبة الذي شك في المائدة والأنعام (١) . وكان عليه الصلاة والسلام يفضل أداء صلاة التطوع في البيت والفرائض في المسجد (٢) ، وكان ينام على فراش صلب ، ولم يرغب الفراش اللين ، لئلا يستغرق في النوم فتفوته صلاة الليل (٣) . ويملكه الخشوع في الصلاة حتى يأخذه البكاء وهو يصلي لشدة خوفه من الله وعظيم اجلاله له .

(عن عبدالله بن الشخير قال : أتيت رسول الله ﷺ وهو يصلي ولجوفه أزيز كأزيز المرجل) (٤) .

وكثيراً ما كان رسول الله عليه الصلاة والسلام لا يملك دموعه إذا قرأ القرآن أو استمع اليه . فما هو يستمع الى قراءة ابن مسعود فيتأثر ، ويبلغ به التأثير والانفعال أقصاه حيناً أنى على ذكر موقف الحساب وشهادة الرسول على أمته فاغرو رقت عيناه بالدموع لشدة خشيته لله وفرط إشفاقه ورأفته بالأمة من خطر ذلك اليوم الشديد الأهوال .

(١) رواء الترمذي في الشئال ص ١٧٩ - ١٨١ .

(٢) دليل ذلك حديث الترمذي عن عبد الله بن سعيد . في الشئال الحمدي ص ١٨٩ .

(٣) الشئال الحمدي للترمذي باب ما جاء في فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم ص ٢٠٤ .

(٤) الشئال الحمدي ص ٢٠٠ . الأزيز هنا : صوت غليان البكاء في الجوف .

الرجل : القدر .

(عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال لي النبي ﷺ :
 اقرأ عليّ القرآن ، فقلت يا رسول الله اقرأ عليك ؛ وعليك أنزل ؛ قال :
 إني أحب أن أسمعه من غيري ، فقرأت عليه سورة النساء حتى جئت إلى
 هذه الآية : (فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء
 شهيداً . قال : حسبك الآن فالتفت إليه فاذا عيناه تذرفان) (١) .

والله سبحانه وتعالى تعهد نبيه في آيات كثيرة بالتنشيط للعبادة
 والاستمرار على الاكثار منها منذ فجر الدعوة فقال تعالى : (واسجد واقترب) (٢)
 وأمره سبحانه بالالتجاء إليه ، كلما ضاق صدره أو ألم به كرب من جحود
 الجاحدين طيلة فترة الصراع بينه وبينهم ، قال تعالى : (فاصبر على ما يقولون
 وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ومن الليل فسبحه
 وأدبار السجود) (٣) .

وقال : (فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس
 وقبل غروبها ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى) (٤) .

فبين سبحانه وتعالى أن السبيل الموصلة إلى الرضى وطمأنينة النفس
 وسكينة الفؤاد ، إنما هي الذكر والعبادة صلاة أو تسبيحاً . وكما القى
 الله على كاهل نبيه القيام بأعباء الدعوة الجسام تبليغاً وصبراً واحتمالاً
 للشدائد ، ناسب أن يأمره بالتزام سبيل التعبد تقوية لقلبه وأنساً لفؤاده
 وتخليصاً لنفسه من الكدر والحزن والأسى لما يلقاه من القوم فالأمر بالعبادة
 دائم دوام وجوده عليه الصلاة والسلام (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) (٥) .

(١) رواه البخاري ومسلم ، والترمذي في الشائل ص ٢٠٠ بلفظ قريب منه .

(٢) سورة العلق : ١٩ . (٣) سورة ق : ٣٩ - ٤٠ .

(٤) سورة طه : ١٣٠ . (٥) سورة الحجر : ٩٩ .

والعبادة المطلوبة عبادة خالصة لله تعالى لا شائبة فيها ، عمادها صدق التوجه اليه وحسن الظن به وقوة السعي لنيل مرضاته برضاء ملح وأمل وطيد . وليس رضوان الله هدف المؤمن من العبادة فقط ، بل هذا هدفه من حياته كلها الى أن يفارق الدنيا (قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين) (١) .

أي رجل هذا الذي يخشى ربه هذه الخشية ، ويدأب علناً وسراً على مناجاته والتذلل بين يديه ، ويبالغ في عبادته والتقرب اليه حتى في أطيب ساعات الراحة والنوم ؟؟؟ أيعقل ممن هذه حاله أن يجترأ على الله ؟؟؟ لا جرم أنه لا ترقى اليه التهم في دعواه النبوة .

ولو تفصيت مزيداً من أنباء عبادته ﷺ لعلمت علم اليقين أنه أحسن الناس لله ، وأنه أول الأواهين وسيد العابدين ﷺ (٢) .

٧ - رفعه ﷺ عن الأغراض الشخصية :

يبرؤ الله نبيه من ابتغاء متاع الحياة الدنيا بدعوته ، ويعلم ترفعه عن المنافع والمصالح ، وذلك في قوله تعالى (قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين) (٣) وقوله (وما أرسلناك إلا مبشراً ونذيراً . قل ما أسألكم عليه من أجر إلا من شاء أن يتخذ الى ربه سبيلاً) (٤) وقال تعالى في ذلك (قل ما سألتكم عليه من أجر فهو لكم ، إن أجري إلا على الله وهو على كل شيء شهيد) (٥) .

(١) سورة الانعام : ١٦٢ - ١٦٣ .

(٢) انظر كتاب الشاغل المحمدي ، للتوسع في معرفة عبادته عليه الصلاة والسلام من صلاة

ضحى ؛ وصوم ؛ وذكر ؛ ودعاء ... (٣) سورة ص : ٨٦ .

(٤) سورة الفرقان : ٥٦ - ٥٧ . (٥) سورة سبأ : ٤٧ .

فقد أمره تعالى بأن يعلن على الملأ بأنه لا يريد منهم جملاً ولا عطاء على أداء رسالة الله إليهم ؛ وقيامه بنصحهم وأمرهم بعبادة الله ، وأن ثوابه على تبليغه الدعوة وأدائه الأمانة من عند الله وحده لا من عند أحد سواه .

فالمراد من قوله تعالى : (قل ما أسألكم عليه من أجر) أن ينبه الرسول ﷺ الناس أنه لا يتبغي بالقرآن أو بتبليغ الرسالة والدعاء إلى الله أي أجر دنيوي جليلاً أو قليلاً . وقد أمره الله أن يحجهم باعلانه : (وما أنا من المتكفين) إني لست من المتصنعين الذين يتحلون بما ليسوا من أهله . ولم تعرفوني قط متصنعاً ولا مدعياً ما ليس عندي حتى أنتحل النبوة وأتقول !! فليس المراد اعلامهم بهذا لأنهم يعرفونه حق المعرفة ، وإنما أمره تعالى أن يصدع بهذه المقالة للتذكير بما علموه والاستشهاد به على صدق رسالته ، فانه دليل بليغ مفحم .

وذهب الجمهور إلى أن مراده تعالى من الآية الثانية (إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلاً) : لا أسألكم أي أجر إلا من أراد أن يتخذ إلى رحمة ربه ورضوانه طريقاً بالانفاق في سبيل الله والزكاة والصدقة ، وليست هي بأجر له عليه السلام فانها من المسلمين وإليهم ، ولهم ثوابها ، وإنما أقامها مقام الأجر . فالاستثناء منقطع . و (ما) في كلا الآيتين فافية .

وذهب بعضهم إلى أن الاستثناء متصل وأن في الكلام مضافاً مقدرأ ، إلا فيمحل من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلاً بالايان والطاعة ، وهو مبني على ادعاء أنه أجر نظراً لأن الاتيان به مطلوب .

وأرى أن قول الجمهور أقرب إلى القلب وأبعد عن التكلف

الحاصل في تسويغ ادعاء أن الايمان أجر لكونه مطلوباً . وظاهر أن أغلب ما يطالب الانسان به ليس أجراً كالايمان والوفاء بالوعد والأمانة والصدق ... وأن في الآية على كلا القولين نفيّاً كلياً لأي شائبة طمع ، وفيها إفاضة غاية الشفقة عليهم وإرادة كل الخير بهم .

وأراد تعالى في الآية الثالثة (قل ما سألتكم عليه من أجر فهو لكم) نفي سؤال الأجر منهم أصلاً ، وذاك كقولك لصاحبك وأنت موقن أنه لم يعطك شيئاً : « إن أعطيتني شيئاً فخذهُ » . و (ما) : شرطية في محل مفعول ثلث لسألتكم . وقيل (ما) موصولة فيكون معناها كمنى الآية الثانية عند الجمهور (١) .

ولا يخفى عليك ما في الآية - على كلا القولين - من تنزيه ناصع لمقام الرسول الرفيع عن ابتغاء شيء من الدنيا بدعوته .

إن الحصيف المتفكر في شأن محمد ﷺ - مها ذهب به الغن - ينحصر فكره في احتمالين لا ثالث لهما . فإما أن يكون محمد ﷺ قد قام بدعوته لدنيا يصيبها أو لرسالة أمره الله بتبليغها . ولابت في هذا الأمر لا بد أن نستعرض مسلكه في حياته ونعرض غايته من دعوته لتتضح في الذهن جليلة الأمر . فهل كان محمد ﷺ امرأً يبغى الترف والنعيم ؟ أم كان يبغى الجاه والمملك ؟ ثم هل عاش مترفاً عندما أصاب سعة أم كان في الدنيا زاهداً !! ؟؟

روى ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنها أن جماعة من أشراف

(١) روح المعاني : ٢٣ : ٢٠٨ . و ١٩ : ٣٤٠ . و ٢٢ : ١٤٣ . ومعالم التنزيل

للحسين بن مسعود البغوي ج ٧ ص ٤١ . وتفسير ابن كثير ج ٣ ص ٥٤٣ - ٥٤٤ .

قريش ، وقد سماهم ، فذكر منهم عتبة وشيبة ابني ربيعة وأبا سفيان وأبا جهل وأمية بن خلف . . . اجتمعوا بعد غروب الشمس عند ظهر الكعبة فقال بعضهم لبعض ابعثوا الى محمد فكلموه وخالصوه حتى تعذروا فيه . فبعثوا اليه أن أشرف قومك قد اجتمعوا لك ليكلموك . فجاءهم رسول الله ﷺ سريماً . وهو يظن أنه قد بدا لهم في أمره بداء . وكانت حريصاً عليهم يحب رشدكم ويعز عليه عنهم حتى جلس اليهم ، فقالوا : يا محمد ، انا قد بعثنا إليك لنعذر فيك ، وانا والله ما نعلم رجلاً من العرب أدخل على قومه ما أدخلت على قومك . لقد شتمت الآباء وعبت الدين وسفقت الاحلام وشتمت الآلهة وفرت الجماعة فما بقي من قبيح الا وقد جئت فيما بيننا وبينك . فان كنت انما جئت بهذا الحديث تطلب به مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً ، وان كنت انما تطلب الشرف فينا سوّدناك علينا ، وان كنت تريد ملكاً ملكناك علينا ، وان كان هذا الذي يأتيك بما يأتيك رثيلاً تراه قد غلب عليك - وكانوا يسمون التابع من الجن الرثي - فرجما كان ذلك بذلنا أموالنا في طلب الطلح حتى نبرئك منه أو نعذر فيك .

فقال رسول الله ﷺ « ما بي تقولون ، ما جئكم بما جئكم به أطلب أموالكم ولا الشرف فيكم ولا الملك عليكم . ولكن الله بعني اليكم رسولا ، وأزل عليّ كتاباً ، وأمرني أن أكون لكم بشيراً ونذيراً . فبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم ، فان تقبلوا مني ما جئكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة . وان تردوه علي أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم . أو كما قال ﷺ تسلياً (١) .

(١) وللحديث تنمة . انظر تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٦٢ - ٦٣ . وقد مر بك جانب آخر من الحديث ص ٦٩ وما بعدها .

١ - رضاه بالعيش الخشن في الشدة والرخاء :

أرأيت لو كان المال أو الجاه أو الملك بغيته فما كان يمنعه من الظفر به ؟ وإلام آل أمره بعد أن رفض ما عرضوا عليه ؟ وهل ييم وجهه إلى لون آخر من العز الدنيوي ؟

لقد دعا إلى الله هنا وهناك وبلغ رسالته لقاصي والداني ، وجاهد في الله حق جهاده فلقي من سخط القوم وأذاهم ما تترنج له الجبال الراسيات فاحتمله ، واحتمل - صابراً محتسباً - من ضحك الحياة وضيق العيش ما لا يقدر عليه من الناس سواء .

روى مسلم عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : « ما شبع رسول الله ﷺ ثلاثة أيام تباعاً من خبز حتى مضى سبيله » (١) .

وعن عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه أنه قال (هلك رسول الله ﷺ ولم يشبع هو وأهل بيته من خبز الشعير) رواه الترمذي والبخاري بسند جيد (٢) .

وروى الشيخان والترمذي في الشائل أن عائشة رضي الله عنها قالت (إن كنا آل محمد لنمكث شهراً ما نستوقد ناراً ، إن هو الا التمر والماء) (٣) .

وكان ﷺ يتلوى - أحياناً - طول ليلته من الجوع فلا يمنعه ذلك صيام يومه !! وكان ينام على فراش خشن فيؤثر في جنبه (٤) وقالت حفصة رضي الله عنها : « كان فراش النبي ﷺ في بيتي مسحاً (بلاساً من

(١) وللحديث روايات كثيرة . انظر شرح الفقه ج ١ ص ٣٠٧ .

(٢) شرح الفقه ج ١ ص ٣٠٧ .

(٤) كما رواه الشيخان والترمذي وابن ماجه .

شعر) ثنّيه ثنتين فينام عليه ، فثنّيناه له ليلة بأربع فلما أصبح قال : ما فرستم لي الليلة . فذكرنا ذلك له . فقال ردوه بحاله فانّ وطأته منعتي الليلة صلاتي ، (١) .

وقد ثابر على زهده وترفعه عن الدنيا في أيام الرخاء كما كان أيام الشدة . وحسبك ما استفاد من أخبار زهده في الدنيا واعراضه عن زهرتها أيام سيقته اليه بعد الفتوح ووضعت بين يديه .

وروى الشيخان أن عائشة رضي الله عنها قالت (ولقد مات وما في بيتي شيء يأكله ذو كبد إلا شطر شعير في رف لي . وقال لي : اني عرض عليّ أن يُجعل لي بطحاء مكة ذهباً . فقلت : لا يارب ! أجوع يوماً فأصبر وأشبع يوماً فأشكر . فأما اليوم الذي أجوع فيه فأتضرع اليك وأدعوك . وأما اليوم الذي أشبع فيه فأحمدك وأثني عليك) (٢) .

وعلى الرغم مما أفاء الله على رسوله من انصياح أرجاء الجزيرة العربية لأمره ، فأنت ترى أنه ﷺ كان أزهد الناس فيما يتناحرون عليه ويتفانون في تحصيله عادة . ولقد ضاق ذرع أزواجه ﷺ يوماً ببس العيش وخشونة اللبس . فأمره تعالى أن يخيّرهن فاما أن يبقين عنده فيمتعن رضوان الله وسعادة الآخرة أو يسرحن ويمتعن متاعاً جميلاً . (يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتم تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين ثم امتعكن وأسرحكن سراحاً جميلاً . وإن كنتم تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجراً عظيماً) (٣) .

(١) وطأته : لينه . انظر شرح الشفاء : ١ : ٣١٠ وهو مؤرجز ما رواه الترمذي في الشمائل ص ٢٠٤ . (٢) شرح الشفاء ج ١ ص ٣٠٨ . (٣) الاحزاب : ٢٨ - ٢٩ وانظر ابن كثير ج ٣ ص ٤٨٠ - ٤٨١ .

وكل من تحرر فكره من ربة الهوى وأصفاد العصبية الهوجاء ،
وراح يفكر في تلك السيرة العالية الفاضلة ، لا بد أن يقرر أن محمداً
ﷺ كشأن أخوانه المرسلين ، وأن دعوته لم تكن إلا رسالة إلهية
أمره ربه بتبليغها ، فأدى أمانته على خير وجه وقام بدعوته خير قيام .

وقد تثبتت من هذه الحقيقة الناصعة الفيلسوف الانكليزي الكبير
توماس كارليل . وأورد دلائلها فقال : (وما كان محمد أخا شهوات ،
برغم ما اتهم به ظالماً وعدواناً ، وشدة ما نجور ونخطيء إذا حسبناه رجلاً
شهوياً ، لا هم له إلا قضاء مأربه من الملاذ ، كلاً مما أبعد ما كان بينه
وبين الملاذ أيّاً كانت ، لقد كان زاهداً متقشفاً في مسكنه ومأكله
ومشربه وملبسه ، وسائر أموره وأحواله وكان طعامه عادة الخبز والماء ،
وربما تتابعت الشهور ولم توقد بداره نار . وانهم ليذكرون - ونعم ما
يذكرون - أنه كان يصلح ويرقع ثوبه بيده ، فهل بعد ذلك مكرمة
ومفخرة ؟ فبخذا محمد من رجل خشن اللباس ؛ خشن الطعام ، مجتهد في
الله ، قائم النهار ؛ ساهر الليل ، دائباً في نشر دين الله ، غير طامع إلى
ما يطعم اليه أصاغر الرجال من رتبة أو دولة أو سلطان ، غير متطلع
إلى ذكر أو شهرة كيفما كانت . رجل عظيم وريكم ! وإلا فما كان ملاقياً
من أولئك العرب الغلاظ توقيراً واحتراماً واكباراً واعظاماً . وما كان
يمكنه أن يقودهم وبعائشهم معظم أوقاته ، ثلاثاً وعشرين حجة وهم ملتفون
به يقاتلون بين يديه ، ويجاهدون حوله) .

ثم قال : (وظني أنه لو كان أتيح لهم بدل محمد قيصر من
القيصرة بتاجه وصولجانه ، لما كان مصيباً من طاعتهم مقدار ما ناله محمد

في ثوبه المرقع بيده ، فكذلك تكون العظمة وهكذا تكون الأبطال (١) .
وقد نظر المستشرق (بودلي) في سيرة الرسول الأعظم نظرة ثابتة
فعمرف دلالتها خير عرفان . فقال : (كانت حياته بسيطة كحياة السيد
المسيح فكان طعامه الثريد والتمر واللبن . وكان يتناول أحياناً حساء
ضأن وخضر وربما شرب بعض العسل وكان غالباً ما يقتصر على التمر
واللبن ، وأياً كان الطعام فقد كان يتناوله على حصير فوق الأرض .
وكانت ثيابه بسيطة كطعامه ، فكان يرتدي فوق جسمه مباشرة قميصاً
له أكمام من الصوف الخشن والقطن وفوقه بدة . . وكان في يده ان
تساق له الدنيا جميعاً لو أرادها ، ولكنه كان يكتفي من كل شيء بالكفاف .
وقد أصغر في عينيه الحياة لانه كان أكبر من كل ما في الحياة .
هذه البساطة لا تحتاج إلى أدنى دليل على أن صاحبها ليس إلا من
عند الله (٢) .

٢- لم يترك ميراثاً لأهله الاعزاء :

ولم يدر بخلده أن ينعم أهله بتركة مجدية تهيم لهم من بعده رغداً
وعيشاً كريماً . فقد لحق ﷺ بالرفيق الأعلى دون أن يخلف لأهله عيناً
ولا ديناراً ولا قصرأ مشيداً ولا شجراً مثمرأ .. وإنما توفي ودرعه
مرهونة عند يهودي في نفقة عياله ، وكان يدعو (اللهم اجعل رزق آل
محمد في الدنيا قوتاً) (٣) .

(١) محمد رسول الله الهدى والرحمة ص ٤٨ - ٤٩ . وهو مقال (البطل في صورة
رسول) من كتاب الابطال - توماس كارليل - ترجمه محمد السباعي .

(٢) محمد رسول الله هكذا بشرت الاناجيل - للاستاذ بشري زخاري ميخائيل ص ٥٢-٥٣

(٣) وفي رواية (كفافا) وهو المراد . رواه مسلم والترمذي وابن ماجه .

وقالت عائشة رضي الله عنها (ما ترك رسول الله ﷺ ديناراً ولا درهما ولا شاة ولا بعيراً) رواه مسلم .

وروى الترمذي في الشئائل (١) عن عمرو بن الحارث قال : (ما ترك رسول الله ﷺ الا سلاحه وبغلته وأرضاً جعلها صدقة) .

وأعلن عليه الصلاة والسلام أن الانبياء لا يورثون فان ما يتركه أحدهم لا يكون الا صدقة . فروى ذلك عنه أبو بكر وعمر وأبو هريرة . وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال (لا نورث ما تركنا فهو صدقة) (٢) .

إنه مسلك فريد أن يترك المرء ذويه وذريته دون إرث ولا ثروة . . . وهم عنده الأعزة المكرمون فابنته فاطمة أم حبيبته الحسن والحسين وزوجة نصيره ابن عمه علي ، وأزواجه عائشة بنت أبي بكر وحفصة بنت عمر . . . وهذه السيرة العطرة الناصعة خير بيان لمهمته وغرض دعوته ﷺ . وهي أيضاً خير تفسير لقوله تعالى : (يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً الى الله باذنه وسراجاً منيراً . وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلاً كبيراً) (٣) .

وكان هذا دليلاً من الأدلة البليغة التي حملت الاستاذ بشرى زخارى ميخائيل على اعلان ايمانه بمحمد ﷺ فقال : (هذا نبي الاسلام ماذا أخذ من دنيا الناس ؟ وماذا جمع من أموال وحصل من ذهب وفضة .. ؟) (أيحسب في المخادعين والكذابين والمضللين مَنْ يردُّ كل هذه الدنيا التي وضعت بين يديه ؟ وماذا يعني الخاتل بمحتله والكذاب بكذبه والمتناقض

(١) ص ٢٥٣ - ٢٥٤ . (٢) الشئائل للترمذي ص ٢٥٣ - ٢٥٦ .

(٣) سورة الاحزاب : ٤٥ - ٤٦ .

بنفاقه ، وماذا يريد هؤلاء الا أن يفيدوا مالا أو يحصلوا ثراء ، ولقد عرفت الحياة كيف كان طعام محمد وكيف كان لباسه ، وكيف كان مأواه وفراشه ؟

(أما ما خلفه وراءه فلا شيء إلا درعاً مرهونة عند يهودي في قوته وقوت أهله . ثم كان أن حسم الأمر جميعه فيما فرض على ورثته من بعده ألا يرثوا شيئاً من مخلفاته إن ترك وراءه ما يورث . فقال : (نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه فهو صدقه) . وهنا برهن على أنه ليس لأهله وأئمة هو للمسلمين حياته لهم وموته لهم وكفاحه من أجلهم دون هدف ذاتي أو منفعة خاصة .

(فلن كان هذا الجهاد الذي جاهد وهذا الضّر الذي وجد وهذا الأذى الذي احتمل ؟ انه لله وفي سبيل الله والحق الذي بين يديه ؛ وفي سبيل الامانة التي حملته السماء إياها وكلفته أداؤها إلى الناس جميعاً^(١) .

نبات أخضر

وسريانها إلى أهله وخاصته يثبت رسالته

فلو افترض ان التجلي بتلك الخلال الكريمة والصفات العالية كان تظاهراً ورياء ، فان المراءة انما تثبت لغرض مقصود . فاذا توفر الغرض وتحقق المقصود واستقت منه النفس نهماً ، عندئذ يبطل السحر وتنكشف الخديعة وتفتضح نفس المرآئي وتبرز دوافعه ومطامعه . وتلك سنة إجتماعية لا تتخلف عرفها زهير بن أبي سلمى فقال :

(١) محمد رسول الله هكذا بشرت الاناجيل - بفرى زخري ميخائيل ص

ومها تكن عند امرئ من خليفة وان خالها تخفى على الناس تعلم .

وقد عد الامام غفر الدين الرازي استمراره عليه السلام على الزهادة مع توافر الكنوز بين يديه معجزة عقلية من دلائل نبوته القويمة . وقال : (إنه عليه السلام تحمل في أداء الرسالة أنواعاً من المشاق والمتاعب ، ولم يتغير عن المنهج الأول البتة . ولم يطمع في مال أحد ولا جابه . بل صبر على تلك المشاق والمتاعب ، ولم يظهر في عزمه فتور ولا في اصراره قصور . ثم انه لما قهر الاعداء ووجد العسكر العظيم والدولة القاهرة القوية ، وثقّف أمره في الأموال والازواج ، لم يتغير عن منهجه الأول والزهد في الدنيا والاقبال على الآخرة . وكل من أنصف علم أن المزور لا يكون كذلك فان المزور انما يزور الكذب والباطل على الخلق ليجد الدنيا ، فاذا وجدها ولم ينتفع بها كانت ساعياً في تضييع الدنيا والآخرة على نفسه . وذلك ما لا يفعله أحد من العقلاء) (١) .

وقد عرف « كارليل » من خلال السيرة النبوية نقاء سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم من شوائب الرياء والتصنع ، فقال (واني لأحب محمداً لبراءة طبعه من الرياء والتصنع . ولقد كان ابن القفار هذا رجلاً مستقل الرأي ، لا يعمل إلا على نفسه ، ولا يدعي ما ليس فيه . ولم يك متكبراً ، ولكنه لم يكن ذليلاً فزعاً . فهو قائم في ثوبه المرقع ، كما أوجده الله وكما أراد ، يخاطب بقوله الحر المبين قياصرة الروم وأكاسرة العجم ، يرشدهم الى ما يجب عليهم لهذه الحياة وللحياة الآخرة) (٢) .

(١) الأربعين في أصول الدين ص ٣١٢ .

(٢) محمد رسول الهدى والرحمة ص ٥٠ . وهو مقال من كتاب الابطال - توماس كارليل .

واستدل «كارليل» من تجافى سيدنا محمد ﷺ عن التصنع ومن ترفعه عن المطامع والأغراض الشخصية على صحة دعوته وإلهية رسالته . فقال: (وعلى ذلك فلسنا نعد محمداً هذا قط رجلاً كاذباً متصنعاً يتدبر بالحيل والوسائل إلى بغية ، أو يطمع إلى درجة ملك أو سلطان ، أو غير ذلك من الحقاير والصفاير . وما الرسالة التي أداها إلا حق صراح ، وما كلمته إلا صوت صادق صادر من العالم المجهول . كلا ! ما محمد بالكاذب ولا الملقق . وإنما هو قطعة من الحياة قد تفرط عنها قلب الطبيعة ، فإذا هي شهاب قد أضاء العالم أجمع ، ذلك أمر الله . وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم . وهذه حقيقة تدمغ كل باطل ، وتدحض حجة القوم الكافرين) (١) (٢) .

ولا يخفى على أحد أن الدعي المزور على الناس ينكشف أمره لزوجه وأهله وخلانه ، فيعرفوه على جهة الحقيقة . بل إنه لا بد له من معين منهم يهيء معه أساليب خداعه وتضليله . ولا بد أن يكون خاصته على شاكلته يتطلعون إلى مشاطرته المغامر ولئن ثبتوا على التستر في حياته - وهو بعيد - فإنهم سيختلفون بعده على قسمة النفوذ والجاه والملك وينكشفون للملأ فلا يجمل خبيثتهم أحد .

أما أزواجه ﷺ فقد أقمن بعده على الطريقة التي عاش عليها

(١) المصدر السابق ص ١٦ . (٢) ولنا نذكر شيئاً من أقوال المستشرقين استدلالاً أو مباهة ، إنما اخترنا من أقوالهم شهادات صادقة قائمة على صحة النظر في الدلائل والبراهين . وأوردناها بعد اكتمال البحث ليطلع القارئ على شهادة الفكر السليم البريء من العصبية والغناد ، على الرغم من اختلاف دين الشاهد . فما أبلغها شهادة وما أقوى دلالتها ؟!

من ورع وزهد وجود وتعبد خاشع . وأما الخواص من أصحابه فكانوا في تنفيذ رسالته واتباع سنته في غاية الدقة ، اذ صاروا بعد جاهليتهم دعاة هادين مهدين ، وصارت سيرتهم في حياته وبعد وفاته مضرب الامثال في التاريخ . فهذا خليفته أبو بكر الصديق رضي الله عنه وقد دانت له الجزيرة واستسلم لأمره بنو حنيفة قوم مسيلة ثم غزا فارس وافتتح الحيرة والقادسية وأطراف العراق وصار أهلها ذميين تجبي منهم الأموال العظيمة . وافتتح أوائل الشام ونفذ أمره في أموالها وأراضيها . فكان حاله في الزهد والتواضع كحال رسول الله ﷺ . وخلفه عمر بن الخطاب رضي الله عنه فاستكمل فتح الشام وطرد ملوك الروم وافتتح مصر والجزيرة والعراق وفارس .. وحملت اليه خزائن الملوك وذخائرهم .. ومكث على ذلك عشر سنين ، ثم قبض ولم يزل على حال النبي في الزهد والتواضع والتضحية في سبيل الله . وتبعها عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب رضي الله عنها . فازداد الفتح ، وظلا على تلك السيرة الناصعة الكريمة . ولم يقتصر الامر على هؤلاء وأمثالهم من المطلعين على أسرار الرسول بل شمل ولائهم وأعاونهم وعامة أتباعهم من أصحاب النبي ﷺ فلم تفتنهم السلطة ولم تبدل حياتهم الاموال بل كانوا يخدمون من تولوا شأنهم ويتمتعون أقل مما يتمتعون ويجودون بما عندهم ويبيتون لله راكعين ساجدين . فهل يقبل عاقل أن يقال إن هذا كله رياء في رياء !! وهل يبلغ الرياء هذا المبلغ من الفضل والسمو ويمتد ويلازم أصحابه مدى الحياة . . ! ؟ اذن فما هي الفضائل والمكارم اذا لم تكن كذلك ؟

وهل يصنع الرياء من قوم أسوة حسنة للانسانية على تعاقب أجيالها ؟

أم يجعل منهم مضرب المثل في التاريخ يشيد بهم العدو والصديق ! !

كيف وقد قالوا بمجدارة ثناء الله عليهم (كنتم خير أمة أخرجت للناس) (١) وشهدت لهم الأمم بالفضل على مر العصور ؛ لا جرم أن ذلك دليل يورث اليقين بنبوة محمد ﷺ وأخلاقه في دعوته (فلو كان غرض رسول الله ﷺ وأصحابه الدنيا والمالك لكانوا ، وإن ابتدأوا بذكر الزهد في أول أمرهم إذا ملكوا وقدروا عليها ، قد ساروا فيها سيرة طلاب الدنيا وملوكها وخطابها ، وما لبثوا أن تظهر سرائرهم وضمائرهم عند القدرة . بهذا جرت العادة وهكذا أخرجت العبرة ، فان من تخلق للناس وتصبر خوفاً منهم واتقاء لهم ومداراة ؛ إذا قدر وتمكن تغير وزال عما كان ، وظهر مكنونه . فلما دام أمر رسول الله ﷺ وهؤلاء واتصل على طريقة واحدة ؛ علم العاقل المتأمل أن سريرتهم كعلائقهم وظاهرهم كباطنهم) (٢).

عقلاء النصارى الأدباء يهتدون بأخلاقه :

لقد نبغ عدد من النصارى في النهضة الأدبية الحديثة . فاذا تتبعنا مقالاتهم وقصائدهم وجدت كثيرين منهم قد حطموها أغلال العصبية العمياء ودفعهم سداد الفكر وإرهاف الحس والوجدان إلى الإشادة بأخلاق محمد ﷺ والثناء على خلاله الفائقة الكريمة . كما أبدوا تعظيمهم للقرآن المجيد ونهلهم من ينابيع الصافية ، ومن هؤلاء الشاعر القروي رشيد سليم الخوري و خليل مطران والياس فرحات وعبدالله يوركي حلاق ومي زيادة . . وآخرون لا يتسع المقام لاحتصائهم وسرد مقالاتهم وأشعارهم .

وقد استرعت خصال الرسول الكريم ﷺ اهتمام الأديب النصراني الشاعر نقولا حنا ، ولفتت دعوته نظره حتى حمله حياد الفكر وبراءة القصد وإخلاص الضمير على شق عصا العصبية الطائفية وإعلان إيمانه بحمد

(١) سورة آل عمران : ١١٠ . (٢) تثبيت دلائل النبوة ص ٣٤ .

ﷺ رسولاً شرف الله الوجود ببعثته ورفع مقامه على مقام جميع الأنام،
وان سبحانه الجميلة وخصاله البديعة قد أشربت فؤاده محبته واستثارت شاعريته
في قصيدة بارعة الجمال قال فيها :

محمد خير الخلق من آل هاشم	نبي كريم والجدود كرام
لقد شرف الله الوجود ببعثته	وتم له فوق الأنام مقام
مذاً اختاره الرحمن للجهل آمياً	نوارت جهالات وزال مقام
أنار عقولاً أوغلت في ضلالها	وأزرى بنور البدر وهو تمام
تقي نقي زاهد متعبد	عزيز أبي ليس فيه ملام
شجاع كريم لا يُخَيَّب سائلاً	ولا عن غياث المستجير ينام
قدير حلیم سيد متواضع	حكيم بتصرف الأمور مهام
عفيف بفيض الطهر من نور وجهه	حبيب مهيّب منذ كان فطام
فضائله حين استبان لقومه	دعوه أميناً وهو بعد غلام
سجايه أعيت وصفها كل حاذق	فقصر مدحها وضاق كلام
ولست أجيد القول لكن مدحتي	مناقبه أملت بها وغرام (١)

وآخرون من أصحاب النظر السليم والعقل الراجح والجرأة الأدبية
الوافرة والترفع عن العصبية العمياء من الأدباء النصارى قد أعلنوا إيمانهم
برسالة محمد ﷺ . ومنهم الياس قنصل ومارون عبود . . وقد بلغ يقين
مارون عبود بنبوة محمد ﷺ مبلغاً عظيماً حمله على تسمية ولده محمداً .
وقد عبر عن إيمانه ومحبه وإجلاله ببيان شاعري أخذ .

(١) من وحي القرآن - شعر نقولا حنا : ٤ .

ضمير رسل الله ﷺ

من تمام عناية الله تبارك وتعالى بالانسانية أن تعمد قدوتها وسيدها محمداً ﷺ حتى جمع له من الخصال والكلمات ما لم يجمعه لأحد من المرسلين قبله . فإن رسولنا عليه الصلاة والسلام كان خلقه القرآن الحكيم . وقد ذكر الله فيه الكلمات المتفرقة بين رسله عليهم الصلاة والسلام . وفي ذلك من حصه على التحلي بها ما لا يخفى . وأضاف جل شأنه إلى ذلك أن أمره صراحة بالاهتداء بهديهم فأشاد سبحانه بسيرة فئة من أجلتهم في سورة الأنعام (١) وبين أن (ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده) ثم قال :

(أولئك الذين هدى الله فبإيدهم اقتدِهْ) (٢) .

أراد بهداهم : طريقهم في الايمان بالله وتوحيده وأصول الدين وجميع الصفات الحميدة والأخلاق الشريفة فتلك طريق واحدة . أما شرائعهم فانها مختلفة فلا يعقل أن يؤمر بها جميعاً ، خاصة وأنه بُعث بشريعة ناسخة لها ، والمنسوخ لا يبقى هدياً . وهكذا تنزل الخطاب الالهي عليه : أن قول هدي المرسلين بالافتداء فانه هدي الله تبارك وتعالى . وبهذا يلزمه التأسى بحميد الخلال التي امتاز بها كل منهم ، حتى يتحلى بجميع تلك الخصال المتفرقة فيهم فيفوقهم في الفضل جميعاً .

وقد يُعترض بأن هذه الآية لا تفيد أفضليته عليهم ! لكنك تتساءل : هل هذا الرسول يطيع ربه ويتحقق بما أمره به من أوصاف ومكارم أم لا ! ؟ لا ريب أنه معصوم عن عصيان ربه وأنه مبادر إلى امتثال توجيهه . وأن الله جلت حكمته يشد أزره ليبلغ الذروة التي أراد أن يرقاها . وبذلك يتحقق البرهان على أفضليته . قال الامام غفر الدين الرازي :

(احتج العلماء بهذه الآية على أن رسولنا ﷺ أفضل من جميع الأنبياء عليهم السلام ، وتقريره : هو أننا بيننا أن خصال الكمال ، وصفات الشرف كانت مفرقة فيهم بأجمعهم ، فداود وسليمان كانا من أصحاب الشكر على النعمة ، وأيوب كان من أصحاب الصبر على البلاء ، ويوسف كان مستجعماً لهاتين الحالتين ، وموسى عليه السلام كان صاحب الشريعة القوية القاهرة والمعجزات الظاهرة ، وزكريا ويحيى وعيسى والياس كانوا من أصحاب الزهد ، وإسماعيل كان صاحب الصدق ، ويونس صاحب التضرع ، فثبت أنه تعالى إنما ذكر كل واحد من هؤلاء الأنبياء « في السياق السابق » لأن الغالب عليه كان خصلة معينة من خصال المدح والشرف . ثم أنه تعالى لما ذكر الكل أمر محمداً عليه والسلام بأن يقنذى بهم بأسرهم . فكان التقدير كأنه تعالى أمر محمداً ﷺ أن يجمع من خصال العبودية والطاعة كل الصفات التي كانت مفرقة فيهم بأجمعهم . ولما أمره تعالى بذلك امتنع أن يقال : إنه قصّر في تحصيلها ، فثبت أنه حصلها . ومتى كان كذلك ثبت أنه اجتمع فيه من خصال الخير ما كان متفرقاً فيهم بأسرهم ومتى كان الأمر كذلك وجب أن يقال : إنه أفضل منهم بكليتهم (١) .

(١) التفسير الكبير ج ١٣ ص ٧٠ - ٧١ .

أورد الامام الخازن نحو هذا واستدرك عليه التنويه برسل ذكرهم سياق سورة الانعام السابق للآية المذكورة (فكان نوح صاحب احتمال على أذى قومه ، وكان ابراهيم صاحب كرم وبذل ومجاهدة في الله عز وجل ، وكان اسحق ويعقوب من أصحاب الصبر على البلاء والمحن ..) (١)

لقد جاء الوحي محمداً ﷺ وشعوب الأرض منغمسة في مفساد وانحرافات أخلاقية كثيرة . أجل ! لقد أقام العرب جوانب من الأخلاق - يبدو لنا أنهم - ورثوها عن اسماعيل عليه السلام . ولكنهم امتنعوا قيماً كثيرة . زد على ذلك أنه ما رسالة من الرسائل السابقة استوفت الدعوة إلى جميع الفضائل الخلقية أو أتت على علاج كل مفساد الأخلاق . فابتعث الله آخر رسوله يكمل به من الخصال الحميدة والفضائل السامية ما كان ناقصاً ؛ ويجمع له ما كان متفرقاً بينهم . فحاز الفضل على كل منهم . لا جرم أنك ستري معي بعد تأمل سيرته ؛ أنه ﷺ قد عرج في كل خصلة امتاز بها نبي قبله حتى فاقه فيها أيضاً ، ويشعرك بذلك كله الحديث الصحيح (إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق) وفي رواية (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) (٢) .

(١) باب التأويل في معاني التنزيل - ج ٢ ص ٤٣ - علي بن محمد الخازن .

(٢) رواء البخاري في الادب المفرد ، والحاكم في المستدرك والبيهقي في الشعب ، والامام أحمد في المسند ، وابن سعد في الطبقات . صحح الهيثمي سند الامام أحمد . وقال ابن عبد البر : حديث متصل من وجوه صحاح عن أبي هريرة وغيره . انظر فيض القدير - محمد عبد الرؤوف المناوي ج ٢ ص ٥٧٢ - ونظرت الحديث في الادب المفرد فوجدته بالفظ : (صالحى الاخلاق) ولعله خطأ مطبعي ، فليحقق . انظر الادب المفرد - تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ص ٧٨ المطبعة السلفية بالقاهرة ١٣٧٥ هـ . وانظر فضل الله الصمد في توضيح الادب المفرد . تأليف فضل الله الجياني ج ١ ص ٣٧١ - المطبعة السلفية ١٣٧٨ هـ .

نص هذا الحديث على غرض عظيم من أغراض بعثته عليه الصلاة والسلام فقد جمع شتات الأخلاق وأقام لها صرحاً شامخاً سما على كل بنيان أقامه الرسل السابقون ، فصار - بهذا الجمع - أفضل من كل منهم . وصار أيضاً أفضل من جميعهم إذ آتاه الله ما لم يؤت مجموعهم إذ ارتقى ﷺ بالكلمات حتى بلغ رتبة لم يبلغها أحدهم ولا مجموعهم فيما جاءوا به وساروا عليه . فهذا نوح عليه الصلاة والسلام أكثرهم احتمالاً لأذى قومه ، قد صبر عليهم غير أنه ضاق بهم ذرعاً فدعا عليهم (وقال نوح رب لا تذرني على الأرض من الكافرين دياراً . إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً) (١) .

وأرى أن دعاءه عليهم ما كان إلا طلباً للعدل الإلهي فيهم . فقد أوضح لهم الدلائل وأقام عليهم الحجج ، حتى ظهر الحق وبطل ما كانوا به يعملون . ولكنهم استمروا على المحادة والتكذيب والابذاء فجاء هلاكهم جزاء وفاقاً لخباياهم . أما رسولنا عليه الصلاة والسلام فقد أذاقه قومه أقسى أنواع الأذى وأشنع ضروب الاضطهاد . فصبر عليهم حيث لا يطاق الصبر . . . ولكن هل نقيم عليهم أو انقطع رجائهم من إيمانهم . . . ؟ لقد عاملهم بالفضل لا بالعدل . لما مات أبو طالب شتد أذى قریش ، فخرج الرسول ﷺ من مكة إلى الطائف يلتمس من بني ثقيف النصرة لدينه فردوه رداً قبيحاً وأذاقوه أشد من أذى قومه . أغروا به سفاههم وصيائهم فقمعدوا له صفين على طريقه ، فلما مر رسول الله ﷺ بين صفيهم جعل لا يرفع رجله ولا يضعها إلا رضحوها بالحجارة حتى أدموا رجله . وكان إذا أذاقته الحجارة قعد إلى الأرض فيأخذون بمعضديه فيقيمونه ، فإذا مشى رجموه وهم يضحكون . . . وزيد بن حارثة يقيه بنفسه حتى لقد

شُجَّ في رَأْسِهِ شَجَاجاً . ولم يخلص منهم رسول الله إلا ورجلاه تسيلان دمًا . فلجأ إلى حائط «بستان» من حوائطهم بعداً عنهم ورغبة في الظل . مع هذه السفاهة المفرطة والولوع بالأيذاء . . لم يلغهم ولم يدع عليهم ، وكان غاية دعائه ان شكاً إلى الله ضعف قوته وأعرب عن صموده واستعداده لتحمل الأذى والهوان في سبيل الله . قال عليه السلام (اللهم إليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس . يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين وأنت ربي . إلى من تكاني ؟ إلى عدو يتجهمني (١) ؟ أم إلى بعيد ملكته أمري ؟ إن لم يكن بك علي غضب فلا أبالي ! ولكن عافيتك هي أوسع لي . أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بي غضبك أو يحل علي سخطك . لك العتي حتى ترضى . ولا حول ولا قوة إلا بك) (٢) .

روى الشيخان أنه ﷺ لما كذبه قومه . . ناداه ملك الجبال « بأمر من الله » ، وقال : مرني بما شئت ، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين . قال النبي ﷺ : بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئاً (٣)

(١) يتجهمني : يلغاني بغلظة ووجه كرهه .

(٢) لك العتي ... أي استرضيك حتى ترضى . والحديث رواه الطبراني ورمز السيوطي لحسنه . انظر فيض القدير شرح الجامع الصغير ج ٢ ص ١١٩ وجمع الزوائد ج ٦ ص ٣٥ وانظر سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٢٩ - ٣٠ والفظله . وعيون الاثر لابن سيد الناس ج ١ ص ١٣٤ والروض الأنف ج ١ ص ٢٦٠ .

(٣) الأخشب : كل جبل خشن غليظ الحجارة . والمراد جبالات حول مكة . انظر تمام الحديث في شرح الشفاء - ملا علي القاري ج ١ ص ٢٧٩ . م/ ٢٠

بهذا البيان الموجز أقننا الدلالة على أفضليته ﷺ على كل رسول قبله وعلى أفضليته على جميع اخوانه النبيين والمرسلين عليهم الصلاة والسلام . وهذا مدلول قول الامام الرازي (انه أفضل منهم بكليتهم) وعمد العلامة الألوسي إلى سرد رأي الرازي - من حواشيه على الكشف - بأسلوب أجلى ، فقال في تفسير آية الانعام (فلا بد ان يقال إنه عليه الصلاة والسلام قد امتثل وأتى بجميع ذلك وحصل تلك الأخلاق الفاضلة التي في جميعهم ، فاجتمع فيه من خصال الكمال ما كان متفرقاً فيهم . وحينئذ يكون أفضل من جميعهم قطعاً . كما أنه أفضل من كل واحد منهم . وهو استنباط حسن . . . وفي أمره عليه الصلاة والسلام بالاعتداء بهدام دون الاقتداء بهم ما لا يخفى من الإشارة الى علو مقامه ﷺ عند أرباب الذوق (١) .

وزبدة البحث أن هذه السيرة الفذة للرسول الاعظم ﷺ والنماذج الأخلاقية الرفيعة الباهرة قد انتشر أريجها في أرجاء الانسانية ، وتنعم بشذاها الصحابة ومن بعدهم من أصحاب الذوق المرفه والفكر القويم . وقد أفصحت عن بُعد أقطار خلقه العظيم واتساعه لكل الكمالات . وأثبتت ما وصفه الله به في كتابه المبين وفصلته . إذ يتجلى لمن يطالعها أنه عليه الصلاة والسلام قد تحلى بكافة الكمالات في أتم صورها حتى بلغ في كل واحدة منها ما وسع به العالم كله ، فجاوز حد الاعجاز . وهذا شاهد بليغ على نبوته وأنه من صنع عين العناية الالهية .

(١) روح المعاني ج ٩ ص ١٨٨ .

نموذج باهر

من استدلال العقل السوي على نبوة

ان قضية نبوة محمد ﷺ ودلالة أوصافه وأخلاقه عليها حقيقة يقرها الفكر النير ، حين يناقش القضية بتجرد واخلاص للحقيقة . ولقد استفسر هرقل عظيم الروم من أبي سفيان ، حين كان زعيم الشرك ؛ عن أوصاف محمد ﷺ وأخلاقه . فاستخلص تلقائياً بفكره الثاقب مجموعة من الدلائل العقلية على نبوة محمد ﷺ ، واليك ما جرى في ذلك :

عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما أن أبا سفيان أخبره أن هرقل (١) أرسل اليه في ركب من قريش ، وكانوا تجاراً بالشام ، في المدة (٢) التي كان رسول الله ﷺ ماداً فيها أبا سفيان وكفار قريش ، فأتوه وهم بإيلياء (٣) فدعاهم في مجلسه وحوله عطاء الروم ثم دعاهم ودعا ترجمانه ، فقال : أيكم أقرب نسباً بهذا الرجل الذي يزعم أنه نبي ؟ فقال أبو سفيان : أنا أقربهم نسباً . فقال : أدنوه مني ؛ وقرّبوا أصحابه ؛ فاجعلوهم عند ظهره ، ثم قال لترجمانه : اني سأئل عن هذا الرجل (٤)

(١) هرقل : بكسر الهاء وفتح الراء وسكون الفاف هو ملك الروم حينئذ .

(٢) في المدة : مدة صلح الحديبية ، وحصلت معاهدة صلح الحديبية في سنة ست من الهجرة بين رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين من طرف وبين أبي سفيان وكفار قريش من طرف آخر . ومن هنا نفهم أن أبا سفيان كان مشركاً حين كان بالقدس والتقى بهرقل . ثم أسلم يوم فتح مكة ثم تحدث بما كان .

(٣) إيلياء : القدس .

(٤) هذا الرجل : أي الذي ظهر في أرض العرب يدعي أنه نبي .

فان كذّبي فكذبوه . قال : فوالله لو لا الحياء من أن يأتروا عليّ كذباً (١)
 لكذبت عنه . ثم كان أول ما سألتني عنه أن قال : كيف نسبه فيكم ؟
 قلت هو فينا ذو نسب ، قال : فهل قال هذا القول منكم أحد قط قبله ؟
 قلت : لا . قال : فهل كان من آبائه من ملك ؟ قلت : لا . قال :
 فأشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم ؟ فقلت : بل ضعفاؤهم . قال : أيزيدون
 أم ينقصون ؟ قلت : بل يزيدون . قال : فهل يرتدّ أحد منهم سخطة (٢)
 لدينه بعد أن يدخل فيه ؟

قلت : لا . قال : فهل كنتم تهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟
 قلت : لا . قال : فهل يغدر ؟ قلت : لا ونحن منه في مدة لا ندرى
 ما هو فاعل فيها ؟ . قال : ولم تُمكنني كلمةٌ أُدخل فيها شيئاً غير هذه
 الكلمة (٣) . قال : فهل قاتلتموه ؟ قلت : نعم . قال : فكيف كان
 قتالكم إياه قلت : الحرب بيننا وبينه سجال ، ينال منا وننال منه .
 قال : ماذا يأمركم ؟ قلت يقول : اعبدوا الله وحده ولا تشرکوا به شيئاً
 واتركوا ما يقول آبائكم . ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة .
 فقال للترجمان قل له : سألتك عن نسبه وذكرت أنه فيكم ذو نسب
 (أي شريف) ، فكذلك الرسل تُبعث في نسب قومها . وسألتك هل قال
 أحد منكم هذا القول ، فذكرت أن لا . فقلت لو كان أحد قال هذا

(١) يأتروا عليّ كذباً : يقولوا عني افتراء الكذب . وكان من شيم زعماء العرب
 قديماً الترفع عن الكذب . (٢) سخطة لدينه : كراهة له .

(٣) أدخل فيها شيئاً .. : أُنقص فيها من مكانة الرسول سوى التشكيك في بقاءه على
 الوفاء بالعهد ، على الرغم من اعترافه بأن الرسول لم يندِر قط .

(٤) سجّالاً : نوياً ، نوبة تكون الغلبة لنا ، ونوبة تكون الغلبة له .

القول قبله ، اقلتُ رجل يتأسى بقول قيل قبله . وسألتك هل كان من آباءه ملك . فذكرتَ أنْ لا . فقلتُ : لو كان من آباءه ملك قلتُ رجل يطلبُ ملكَ أبيه . وسألتك هل كنتم تهمونه بالكذب قبل أنْ يقول ما قال ، فذكرتَ أنْ لا . فقد أعرف أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله . وسألتك أشرافُ الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم ، فذكرتَ أنْ ضعفاءهم اتبعوه وهم اتباع الرسل . وسألتك أيزيدون أم ينقصون ؟ فذكرتَ أنهم يزيدون وكذلك أمر الإيمان حتى يتم ، وسألتك أيرتدُّ أحد مسخطة لدينه بعد أن يدخل فيه فذكرتَ أنْ لا . وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب . وسألتك هل يغدر ؟ فذكرتَ أنْ لا ، وكذلك الرسل لا تغدر . وسألتك بما يأمركم فذكرتَ أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبينهاكم عن عبادة الأوثان ، وبأمركم بالصلاة والصدق والمفاف . فان كان ما تقول حقاً فسيملك موضع قديمي هاتين ^(١) وقد كنت أعلم أنه خارج لم أكن اظن أنه منكم . فلو اني أعلم أني اخلص إليه لتَجَشَّمتُ ^(٢) لقاءه ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه . ثم دعا بكتاب رسول الله ﷺ الذي بعث به رَحِيمةً إلى عظيم بصرى ، فدفعه إلى هرقل فقرأه فإذا فيه :

« بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد فإني أدعوك بدعاية الاسلام ، أسلم تسلم ، يؤئك الله أجرك مرتين ، فان توليت فانَّ عليك إثم الأريسيين ^(٣) .

(١) كان هرقل عالماً بالكتب الدينية السابقة ، فعرف منها صفات خاتم النبيين ، فوجدها منطبقة على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

(٢) لتجشمت لقاءه : ليلذت ما في الوسع كي ألقاه .

(٣) الأريسيين : الفلاحين . والمراد أنه مشرول أمام الله عن ضلال نفسه وشعبه .

(يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأثنا مسلمون) (١) .

قال أبو سفيان : فلما قال ما قال وفرغ من قراءة الكتاب كثرت عنده الصخب وارتفعت الأصوات وأخرجنا . فقلت لأصحابي حين أخرجنا : لقد أمر أمر ابن أبي كبشة (٢) . إنه يخافه ملك بني الأصفر (٣) . فما زلت موقناً أنه سيظهر حتى أدخل الله علي الإسلام . « متفق عليه » .

وروى البخاري في صحيحه عن ابن عباس عن أبي سفيان أنه قال : ثم كتب هرقل إلى صاحب له برومية وكان نظيره في العلم ، وسار هرقل إلى حمص ، فلم يرم (٤) حمص حتى أتاه كتاب من صاحبه يوافق رأى هرقل على خروج النبي ﷺ وأنه نبي . فأذن هرقل لعظماء الروم في دسكرة (٥) له بحمص ثم أمر بأبوابها فغلقت . ثم اطلع فقال : يا معشر الروم ؛ هل لكم في الفلاح والرشد وأن يثبت ملككم فتبايعوا هذا النبي ؟ فخاصوا حبيصة محرر الوحش إلى الابواب فوجدوها قد غلقت ، فلما رأى هرقل ذفرتهم وأيس من الايمان قال : ردوهم علي وقال : اني قلت مقالي آتفاً أختبر شدتكم على دينكم فقد رأيتم فسجدوا له ورضوا عنه . (٦) فكان ذلك آخر شأن هرقل .

(١) الآية : ٦٤ من آل عمران : وقد تضمنها كتاب الرسول إلى هرقل ، كما ترى .

(٢) أمر أمر ابن أبي كبشة : أي عظم شأن محمد صلى الله عليه وسلم . ولقبه المشركون بذلك استهزاء . (٣) بني الأصفر : لقب الروم .

(٤) فلم يرم : فلم يفارق . (٥) دسكرة : حصن .

(٦) حمله على موافقتهم على ضلالهم نعلقه الشديد بالملك والرياسة .

البابُ الثاني

إثبات القرآن نبوة محمد صلى الله عليه وسلم

الفصل الاول : ظاهرة الوحي

الفصل الثاني : كشف تخريصات المشركين والمستشرقين
حول الوحي .

الفصل الأول

ظاهرة الوحي

- المراد بالوحي في اللغة وفي الشرع
- منهج القرآن في اثبات الوحي :
- أولاً - مع أهل الكتاب .
- ثانياً - مع المشركين والملاحدة وأضرابهم .
- امكان الوحي عقلاً .
- اثبات القرآن امكان الوحي .
- بيان القرآن أصناف الوحي .
- حادثة الوحي كما وقعت لسيدنا محمد ﷺ .
- مشهد رسول الله ﷺ وهو يوحى إليه .
- معاناة الرسول شدة أثناء تنزل الوحي .

ليست حادثة الوحي خاصة بسيدنا محمد ﷺ ، وليست ظاهرة بكرة تنحصر دراستها في رسالة خاتم الرسل ؛ بل الوحي ظاهرة عمت جميع رسل الله عليهم الصلاة والسلام فاثبات صحتها لاحد اثبات لنبوة جميعهم دونما استثناء لاشتراكهم في تلك الظاهرة ، ولتبشير بعضهم ببعض . ولا بد من معرفة معنى الوحي في اللغة والشرع :

الوحي في اللغة : قال ابن منظور : اعلام في خفاء ولذلك صار الالهام يسمى وحياً (١) .

وقال الراغب الأصفهاني : اصل الوحي الاشارة السريعة . ولتضمن السرعة قيل : أمر وحي . وذلك يكون بالكلام على سبيل الرمز والتعريض . وقد يكون بصوت مجرد عن التركيب أو بشارة ببعض الجوارح ، وبالكتابة (٢) .
واليه ذهب ابن الأثير في النهاية .

ونلاحظ أن الراغب وابن الأثير نبها على اعتبار السرعة في حقيقة الوحي . وقد أغفل ذلك صاحب اللسان وصاحب تاج العروس ، لكنها أفاضوا في ذكر استعمال الوحي في السرعة خاصة . ومما قاله ابن منظور في ذلك :

(١) لسان العرب - محمد بن منظور الافرقي - مادة (وحي) - وفيه أن الوحي بمعنى الاشارة والكتابة والرسالة والالهام والكلام الخفي وكل ما ألقى إليه غيرك . يقال : وحيث الكلام اليه وأوحيت ، ووحى وحياً . وأوحى أيضاً أي كتب والوحي المكتوب والكتاب أيضاً .

وقال الاوسى : قال الامام عبد الله التيمي : الوحي أصله التفهيم ، وكل ما فهم به شيء من الالهام والاشارة والكتب فهو وحي (روح المعاني ج ٢٧ ص ٥٢ الطبعة المنيرية)
وقال الزجاج : الايحاء : الاعلام على سبيل الخفاء (التفسير الكبير - للرازي ج ١١ ص ١٠٨) .

(٢) المفردات في غريب القرآن . للراغب الاصفهاني . ط مصطفى البابي الحلبي .

(والوحي : المعجزة ، يقولون : الوحي الوحي : والوحاء والوحاء :
يعني البدار البدار والوحاء والوحاء يعني الاسراع . فيمدونها ويقصرونها
اذا جمعوا بينها ، فاذا أفردوه مدوه ولم يقصروه . التهذيب : الوحاء ؛
ممدود ؛ السرعة .

وتوح يا هذا في شأنك أي أسرع . ووحاه توحية أي عجله ،
والوحي ، على فاعل : السريع . وقد وحى وتوحى بالشيء : أسرع .
وشيء وحي : عجل مسرع) .

ان هذه الأمثلة وغيرها - وقد أغفلنا ذكره - تدل على تضمن
الوحي معنى السرعة فعلاً . لذا نقول : ان الراغب وابن الأثير كانا على
حق فيما ذهبوا اليه .

الوحي في الشرع : قال ابن الأنباري : انما سمي وحياً لان الملك
أسره على الخلق وخص به النبي الذي بمشه الله اليه (١) .

أقول : ومنه تعلم أن الوحي إنما يكون سراً .

وقال الراغب : ويقال للكلمة الالهية التي تلقى الى أنبيائه : وحي .
وذلك أضرب حسبما دل عليه قوله (وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا
وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي بأذنه ما يشاء) . (٢)

(١) لسان العرب : وفيه : قال الأزهري : وكذلك الاشارة والايام يسمى وحياً ،
والكتابة تسمى وحياً . وقال الله عز وجل : (وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو
من وراء حجاب) معناه : إلا أن يوحي اليه وحياً (بواسطة ملك) فيعلمه بما يعلم البشر
أنه أعلمه ، أما الهاماً أو رؤياً ، وأما أن ينزل عليه كتاباً كما أنزل على موسى أو قرآناً يتلى
عليه كما أنزل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم . وكل هذا اعلام « خفي » وان اختلفت
أسباب الاعلام فيه : (٢) سورة الشورى : ٥١ .

وذلك اما برسول مشاهد ترى ذاته ويسمع كلامه كتبليغ جبريل عليه السلام للنبي في صورة معينة ، واما بسماع كلام من غير معاينة كسماع موسى كلام الله . وإما بالقاء في الرؤوع كما ذكر عليه الصلاة والسلام « ان روح القدس نفث في روعي » واما بالهام « يشعر به النبي جلياً واضحاً متيقناً انه انما حصل في نفسه بأمر إلهي لادخل للظروف الطبيعية في حدوثه » واما بمنام « كما في حديث عائشة : أول ما بدىء به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح » (١) .

وزبدة القول أن الوحي شرعاً : القاء الله الكلام أو المعنى في نفس الرسول بخفاء وسرعة .

ولقد أورد القرآن الكريم في مواطن كثيرة كلمة (الوحي) أو مشتقاتها بالمعاني التي أطلقت عليها في اللغة العربية (٢) كما استعملها بالمعنى الخاص بالرسول . وهو اعلام خاص من الله تعالى لرسوله .

أقول : ومن هنا نلاحظ أن معنى الوحي في الشرع أخص منه في اللغة من جهة مصدره وهو الله تعالى ومن جهة الموحى اليهم وهم الرسل.

(١) الفردات للراغب الاصفهاني . ولاحظ أننا اقتصرنا من عبارته على ما يتعلق بالانبياء اظهاراً لمعنى الوحي الخاص بهم . وفصلنا ما أجمله بما أودعناه بين قوسين صغيرين .

(٢) كالالهام فيما لاصلة له بالشرائع والاحكام كقوله (وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه) (وأوحى ربك إلى النحل ان اتخذني ..) .

منهج القرآن في اثبات الوحي

في معترك الخصومة بين الذين يؤمنون بالوحي الى محمد ﷺ والذين لا يؤمنون ، يتلمس صاحب المنطق السليم والعقل الرشيد معالم الحقيقة النبوية بصورة عامة في شخص محمد ﷺ ، في سيرته وخلقه ، وفيما بلغ من قرآن وأثر عنه من حديث . ووجدت بعد التقصي أن الذكر الحكيم قد سلك في اثبات الوحي لمحمد ﷺ مسلكين ، أقام بهما الحجة وحسم النزاع :

أولاً - منهجه مع أهل الكتاب :

إذا كان الخصم مؤمناً برسول قبل محمد ﷺ فيلزمه أن يثبت الوحي لمن آمن به من رسل . فما يقوله هناك في اثبات حادثة الوحي ؛ يُحتج به عليه هنا . وهذا ما نواجه به اليهود والنصارى فانهم يؤمنون بالأنبياء ، وان خالفوا في البعض . وقد أقام الله الحجة على اليهود في كتابه المبين . ذلك أنهم بالغوا في انكار نزول القرآن على محمد ﷺ حتى أظهروه في صورة الممتنع ، إذ قالوا : ما أنزل الله على بشر من شيء . فألزمهم الله الحجة والتسليم بالوحي الالهي بقوله :

(وما قلنوا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء ، قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نوراً وهدى للناس - تجملونه قراطيس تبذونها وتخفون كثيراً ، وعلمتم ما لم تعلموا أتم ولا آبؤكم ، قل الله ، ثم ذرهم في خوضهم يلعبون . وهذا كتاب أنزلناه .

مبارك مصدق الذي بين يديه ولتنذر أم القرى ومن حولها والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به وهم على صلاتهم يحافظون (١).

وقد روى إنكارهم الشنيع عن مالك بن الصيف ، وروى أن الذي فاه به فنحاص . وروى أن القائلين جماعة منهم (٢).

عن سعيد بن جبير قال : جاء رجل من اليهود يقال له مالك بن الصيف بمخاصم النبي ﷺ . فقال له النبي ﷺ : أشدك بالذي أنزل التوراة على موسى ، أما تجد في التوراة أن الله يفيض الحبر السمين ؟ وكان حبراً سمياً ففضب فقال : والله ما أنزل الله على بشر من شيء .

فقال له أصحابه الذين معه : ويحك ولا موسى فقال : والله ما أنزل الله على بشر من شيء ، فأُنزل الله : (وما قدورا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى) الآية . أخرجه ابن جرير والطبراني بزيادة فيها : (فتزعوه وجعلوا مكانه كعب بن الأشرف) .

وقيل : بأن القائلين جماعة من المشركين . والجمهور على أن القائلين هم اليهود ، وقد أخرج أبو الشيخ عن سفيان والكلبي أن هذه الآية مدنية . وذهب الطبري وغيره أن الآية مكية نزلت في مشركي قريش . وأن قوله

(١) سورة الانعام : ٩١ - ٩٢ . ومعنى قوله : (ما قدروا الله حق قدره) : ما عرفوه حق معرفته . (القراطيس) : أوراق مفرقة .

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن - للطبري - ج ١١ ص ٥٢١ - ٥٢٣ طبع دار المعارف بمصر .

(تجملونه قراطيس ...) خطاب لليهود على سبيل الالتفات (١) .
أقول : ان الآية - على كلا القولين - تقيم الحجة على منكري الوحي من أهل الكتاب . وأرى أن قول الجمهور بأن الآية نزلت في اليهود أولى ، فان قوله تعالى : (قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى ...) . قد ورد لابطال زعمهم (ما أنزل الله على بشر من شيء) فيقتضي أن يكون الكلام مع اليهود خاصة . والآية - بالتالي - مدنية لان النقاش مع اليهود إنما حصل في المدينة .

الوحي طابع الأنبياء جميعاً :

ان الوحي ركن أساسي للنبوة ، وقد تميز به كل نبي عن غيره من الآدميين ، فهو طابع النبوة المميز وعنوانها الظاهر وجوهرها الأصيل . فالله سبحانه أوحى إلى جميع أنبيائه من آدم إلى محمد صلوات الله عليهم جميعاً . وإنما عرف ورقة أن الذي ألم برسول الله في غار حراء إنما هو ملك الوحي بمفرقه أوصاف ملك الوحي الذي جاء من قبله من الانبياء كهوسى وعيسى . فتناقل أتباعهم أوصافه . وللاجزم والتأكيد لخديجة ولرسول الله بأن النازل ملك الوحي قال ورقة : (هذا الناموس الذي نزل الله على موسى . .) ذهب ابن حجر إلى أن ورقة أعلن بهذا أن الذي لقيه محمد ﷺ في حراء هو ملك الوحي الذي أجمع أهل الديانتين (اليهودية والنصرانية) على الايمان بنزوله إلى موسى . ولم يقل ورقة . (أنه الذي نزل الله على عيسى) لأن اليهود يشكرون نبوة عيسى وصلته بالوحي (٢) .

(١) روح المعاني ج ٧ ص ١٨٩ - ١٩٢ وتفسير الطبري ج ١١ ص ٥٢١ - ٥٢٣ . وانظر تفسير ابن كثير ج ٢ ص ١٥٦ وعند تفسيره الآية ١٦٢ من سورة النساء .
(٢) انظر فتح الباري ١ : ٢٠ .

قلت : ورأي اليهود هذا معروف في الجزيرة لاستيطانهم بعضها .
فجاءت نسبة الملك إلى موسى أبلغ في اعلان التيقن ؛ والتأكيد بأنه ملك
الوحي ، وأقطع حكماً بنبو محمد ﷺ ، وأنفى للشك وأبعد عن الاحتمال
والتأويل الذي يجر اليه قذف الموضوع في لجة الخلاف .

ليس خافياً على أحد من أهل الديانات السماوية أن جميع الأنبياء قد
وصلهم الله بهذا الملك جبريل عليه السلام . روى ابن اسحاق عن ابن
عباس قال : قال مسكن وعدي بن زيد : يا محمد ما نعلم أن الله أنزل على
بشر من شيء من بعد موسى . فأُنزل الله في ذلك من قولهما :

(إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينا إلى
إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والاسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون
وسليمان وآتيناه داود زبوراً . ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبل ورسلاً
لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليماً) (١) .

فذكر الله لهم الأنبياء الذين لا يرتابون في نبوتهم لاعلامهم أن
الوحي اليه كشأن الوحي اليهم .

وبدأ سبحانه بنوح تهديداً لهم بعقاب إلهي دنيوي عاجل . فان
نوحاً أول نبي عوقب قومه أو لأنه أول نبي شرع الله تعالى للناس على لسانه
الأحكام والحلال والحرام . قال أبو حيان الأندلسي :

(وقدّم نوحاً وجرّده منهم في الذكر لأنه الاب الثاني وأول الرسل
ودعوته عامة لجميع من كان إذ ذاك في الارض ، كما أن دعوة محمد ﷺ
عامة لجميع من في الارض) (٢) .

(١) النساء : ١٦٣ - ١٦٤ وانظر تفسيرهما وسبب النزول عند ابن كثير .

(٢) البحر المحيط ج ٣ ص ٣٩٧ .

وعطف الوحي إلى إبراهيم على الوحي إلى نوح هو في حكم التشبيه .
وقد أفاد تكرير قوله (وأوحينا) عطفاً على وحيه إلى نوح ؛ ان الوحي
كله صنف واحد . وبدأ بذكر إبراهيم لمزيد شرفه ولأنه الأب الثالث
للأنبياء عليهم الصلاة والسلام . ثم ذكر طائفة من النبيين (وعيسى وأيوب ..)
مع ظهور انتظامهم - لأهل الكتاب - في سلك النبيين ، تشريفاً لهم
واظهاراً لفضلهم . أقول : ظهر بهذه الآية أنه لا غرابة في الوحي إلى
محمد ﷺ فإنه قد وقع لكثير من الانبياء قبله . والخصم يؤمن
بهؤلاء الأنبياء .

وقدّم ذكر عيسى عليهم مع تأخره عنهم تحقيقاً لنبوته وقطعاً للدابر
جحد اليهود . ثم عطف (وآتيننا داود زبوراً) على أوحينا لان إيتاء
الزبور إنما كان وحياً مُسجماً . واليهود الذين أنكروا الوحي إلى محمد يؤمنون
بداود وأنّ الله أنزل إليه الزبور مفرقاً . ولم ينزل دفعة واحدة في ألواح
كما حصل في توراة موسى . فأثبت لهم بهذا أن نزول القرآن مفرقاً
- خلافاً للتوراة - لا يقدح في كونه من الله . فقطع تعلمهم لجحدهم
وكفرانهم . فكيف تؤمنون بزبور داود النازل مفرقاً ، ولا تؤمنون
بقرآن محمد لنزوله كذلك !! وهذا دليل مفحم والزام قوي غرس . وقد
استدل به الامام غفر الدين الرازي وشهاب الدين الالوسي (١) .

ومن المهم جداً أن يلاحظ الباحث أن محمد ﷺ أمي لا يقرأ
ولا يكتب ، وأن القرآن ؛ إضافة إلى ذلك ؛ معجز بلسوبه . فهو يشتمل
على معجزات كثيرة دالة على نبوة صاحبه ، وبذلك يمتاز عن التوراة .

(١) انظر تفسير روح المعاني ٦ : ١٥ وتفسير الرازي ١٠٨ - ١٠٩ وانظر

وقد قضت الحكمة الالهية بانزال القرآن منجماً مراعاة للطاقة البشرية
 لمحمد ﷺ واستمراراً في تثبيت نبوته خلال فترة دعوته ، بآيات القرآن
 المعجزة ودلائله الساطعة (١) .

(وكلم الله موسى تكليماً) لا يلزم من تشريف موسى خاصة - من بين
 المذكورين - بالتكليم الطعن في نبوتهم ، فهي ثابتة لديكم أيها اليهود ،
 فكذلك لا يلزم من تخصيص موسى بانزال التوراة عليه دفعة واحدة ،
 الطعن في أي رسول انزل الله عليه كتابه مفزاً .

قال الفخر الرازي (اعلم أنه تعالى لما حكى أن اليهود سألوا الرسول
 ﷺ أن ينزل عليهم كتاباً من السماء . وذكر تعالى بعده أنهم لا يطلبون
 ذلك لأجل الاسترشاد ولكن لأجل الغناد والجاج . وحكى أنواعاً كثيرة
 من فضائحهم وقبائحهم وامتد الكلام الى هذا المقام . شرع الآن في الجواب
 عن تلك الشبهة فقال (إنا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من
 بعده) والمعنى أنا توافقنا على نبوة نوح و ابراهيم واسماعيل وجميع المذكورين
 في هذه الآية ؛ وعلى ان الله تعالى أوحى اليهم . ولا طريق الى العلم
 بكونهم أنبياء الله ورسله الا ظهور المعجزات عليهم ، ولكل واحد منهم
 نوح آخر « خاص » من المعجزات على التعمين . وما أنزل الله على كل واحد
 من هؤلاء المذكورين كتاباً بتمامه مثل ما أنزل الى موسى . فلما لم يكن
 عدم انزال الكتاب على هؤلاء دفعة واحدة قادحاً في نبوتهم ، بل كفى
 في اثبات نبوتهم ظهور نوع واحد من أنواع المعجزات عليهم ، علمنا أن
 هذه الشبهة زائلة وأن اصرار اليهود على طلب هذه المعجزة باطل . . ثم
 اذا حصل الدليل وتم ، فالطالبة بدليل آخر تكون طلباً للزيادة واظهاراً

(١) وهناك حكم جلية أخرى لنزول القرآن مفزاً ، تجدها في كتب علوم القرآن .

للتعنت والالجاج ، والله سبحانه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد . فلا اعتراض عليه لأحد بأنه لم أعطى هذا الرسول هذه المعجزة وذلك الرسول الآخر معجزاً آخر . وهذا الجواب المذكور ههنا هو الجواب المذكور في قوله تعالى (وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعاً « الى قوله » قل سبحانه ربي هل كنت إلا بشراً رسولاً) بمعنى أنك ادعيت الرسالة ، والرسول لا بد له من معجزة تدل على صدقه وذلك قد حصل . وأما أن تأتي بكل ما يطلب منك ، فذاك ليس من شرط الرسالة . فهذا جواب معتمد عن الشبهة التي أوردها اليهود وهو المقصود الاصلي من الآية . (١)

ثانياً - منهجه مع المشركين والملاحدة وأضرابهم :

إذا كان الخصم غير مؤمن بأحد من الرسل . فيجب على الداعية - في تقديرنا - أن يقيم أولاً الدليل على امكان وقوع الوحي عقلاً . وينتقل بعدها الى المرحلة الثانية في اقامة الحجة القاطعة ، فيثبت حدوث الوحي لسيدنا محمد ﷺ ، بذكر الحوادث الدالة عليه والاحوال التي كانت تعرض للرسول إبان نزول الوحي على مرأى من الصحابة رضوان الله عليهم . ويزيد بالمرحلة الثالثة براهينه فضلاً وقوة في اقامة الحجة الحاسمة فيذكر المعجزات بنوعها : الحسية والعقلية . وسنتشرح ذلك كله إن شاء الله تعالى .

وهذا المنهج - برأينا - كفيل بحسم مادة النزاع ، وقطع دابر الشك عند من رزق فكراً صحيحاً وقلباً حياً شغوفاً بالحق (إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد) (٢) وقد سلك القرآن هذه المسالك ، وجلى الحقيقة فيها بالبرهان الساطع .

(١) مفاتيح النيب ج ٣ ص ٣٤٣ المطبعة الخيرية سنة ١٣٠٨ هـ . وانظر سورة الاسراء : ٩٠ - ٩٣ . (٢) سورة ق : ٣٧ .

إمكان الوحي عقلاً :

ونوجه فيه الخطاب للملاحظة ولن لا يؤمن بدين سماوي ، فنقول :
 ان التخلص من ربة المادة باطلاق سراح الفكر من سجنها الضيق الحرج ،
 هو الخطوة الأولى للوصول الى معرفة الوحي . فان الايمان بالوحي يتوقف
 الى حد بعيد على الايمان بعالم الغيب . وكثير من الناس ينكرون ما لا يخضع
 لادراك الحواس ، ويشدون الوثاق على عقولهم وأفئدتهم بسلاسل الحسيات
 وأصفادها ، ثم يزعمون أنهم يعولون في ذلك على العلم ونتائجه !!!
 ويتوهمون هذا في عصر بلغت فيه المكتشفات العلمية الحديثة التي لا تضبطها
 الحواس مباشرة ؛ عدداً كبيراً . لقد قطع العلم شوطاً بعيداً في الدلالة على
 وجود مغيبات كثيرة غير مُحسَّنة من موجودات ونواميس كونية ، عرفنا
 بعضها ولم نعرف معظمها . وكثيراً ما يجد علماء الكونيات أنفسهم أمام
 مشكلات موصدة مستعصية على الكشف فتتركهم حيارى لا يدرون من
 أمرها شيئاً ذا بال .

فمن الموجودات التي لا تراها الأبصار (١) تلك الأنواع الكثيرة
 من الأشعة غير المرئية ؛ كأشعة (اكس) التي تخترق الجسد الآدمي أثناء
 تصويره ، لتساعد الطبيب على تشخيص مرضه ، وتستعمل في علاج حالات
 مرضية أيضاً . والانسان يولدها على الرغم من عدم رؤيتها بالعين . ثم
 الاشعة فوق البنفسجية والاشعة تحت الحمراء . وإن التيار الكهربائي نفسه
 لا يُرى في السلك الناقل ، إنما نرى آثاره من برودة في التلاجة وحرارة

(١) ولا يغيب عنك ان الناس قبل تطور العلم قد عرفوا وجود ما لا يرى بآثاره :
 كالهواء والقل والروح .

في المكواة ونور في المصباح .. الخ . ثم الأمواج « الكهربية » الموجودة في الفضاء ، تحمل الاصوات من بلد لآخر فتلقطها أجهزة المذياع (الراديو) وأجهزة اللاسلكي كما تحمل الاصوات والصور فتلقطها أجهزة الرائي (التلفزيون) ان هذه الموجودات (الأشعة غير المرئية بأنواعها - والأمواج الكهربية) قد تعرف عليها الانسان في العصر الحديث من آثارها . فهل كانت معروفة قبل أن يعرفها الانسان ؟ وهل يكون الانسان القديم مصيباً لو انكر وجودها لأنه لم يبصرها بأمر عينه ، على الرغم من توفرها في ارجاء الكون من غابر الأزمان ؟ وهل يسوغ للانسان المعاصر أن يجحد وجود كل ما لم ير ؟ أو أن يجحد كل ما لم يتعرف عليه بآثاره ؟ وهل وصل العلم ذروته وأحاط أهله بكل موجود علماً ؟ ألم يبلغك أن العلم توصل الى معرفة اليسير من شئون الكون وعجز عن ادراك الكثير .. هذا ما قرره رجاله المختصون .

ان الانسان الذي عرف تلك الحقائق في الكون وانتفع منها ينبغي أن يكون أكثر تفهماً وتقبلاً لحادثة الوحي ، وأقوى ايماناً برسالات الرسل وبالملائكة الذين يبلغونهم رسالات ربهم . وهم مخلوقات نورانية . فالعلم جعله يوقن بوجود ما لا يرى من أشعة وجدها الانسان في الطبيعة ثم جعل يصنعها ويستخدمها ، ومن أمواج « كهربية » انتفع منها في تقريب البعيد بالإنجاة أو المشاهدة أو بأكملها معاً . بواسطة - أجهزة - صغيرة شائعة الانتشار فيستمتع بها ما يبثه اليه المذيع من آلاف الاميال من قصص وحوادث وأخبار .. وهذا الرائي الزود بالبطارية أعان المرء في كل بقعة على أن يرى ويسمع من يتحدث اليه من شاسع الابعاد .

فاذا بلغ الانسان ذلك ، فإن الله خالق الانسان الذي منحه العقل والقوة والبيان ، وفاطر الاكوان المتصرف فيها بما يشاء وله القوة المسيطرة

جميعاً والعلم المحيط وييده ملكوت كل شيء قادر - بكل يقين - على ان يوصل العلم والحق بوسيلة لا تُرى بالأعين الى بعض خلقه وهم الرسل . ومن رأى ان هذا مستحيلاً او عسيراً على الخالق - تعالى عما يصفون - فقد أهدر عقله واضاع رشده ، إذ لم يقدر البون الشاسع بين ضعف المخلوق وجهله وبين قوة الخالق وسعة علمه . ومن عجز عن إدراك هذا الفرق فقد عجز عن الحفاظ على إنسانيته .

اثبات القرآن امكان الوحي

ونحن نرى أن القرآن قد أورد في امكان الوحي استدلالاً بغير المنظور قال تعالى : (فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون . إنه لاقول رسول كريم . وما هو بقول شاعر قليلًا ما تؤمنون . ولا بقول كاهن قليلًا ما تذكرون تنزيل من رب العالمين) (١) .

و « لا » مزيدة للتأكيد في قول أكثر المفسرين ، مثلها في قوله تعالى (لئلا يعلم أهل الكتاب) والمعنى : أقسم بالمشاهدات والمفنيات أو أقسم بالأشياء كلها ما ترون وما لا ترون - على حد تعبير القرطبي - واليه يرجع قول قتادة : هو عام في جميع مخلوقاته عز وجل . وهو يشمل ما قاله عطاء : ما تبصرون من آثار القدرة الالهية وما لا تبصرون من أسرارها - وما قاله غيره : أقسم بالأنس والجن والملائكة .

وإنما اذ نعول على ما قاله أساطين التفسير بأن الله تعالى أن يقسم بما يشاء من مخلوقاته ، أرى أنه تعالى لم يقسم بشيء دون غيره الا لحكمة يحتاج اليها المقام . فلا بد من مناسبة بين المقسم به والمقسم عليه . ولا

(١) سورة الحاقة : ٣٨ - ٤٣ وانظر روح المعاني ج ٢٩ ص ٥٢ - ٥٣ والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج ١٨ ص ٢٧٤ .

اعلم احداً نوه بذلك ، والمناسبة هنا - في تقديري - أن المقسم به يشير في النفس استدلالاً على إمكانية المقسم عليه وحقيقته . فان لله تعالى مخلوقات عظيمة لا ترى بالعين المجردة وقد عرف العرب بعضها ، وعرفنا العلم الحديث بكثير منها . فخالق ذلك العالم الغيبي الذي عرفنا نماذج من عظمته بالعقل أو السمع - اضافة إلى ما نراه من آثار عظمته ومقدرته في عالم الشهادة - هو سبحانه مقدر أن يدلي بأمره ونهيه إلى ملكك عزيز عليه ومقرب لديه ، وبأمره أن يقرؤه في صدر من اصطفاه لرسالته . إن ثبوت وجود اشياء لا ترى يستلزم إمكان حصول الوحي بواسطة لا ترى . وبذلك تبطل حجج المشركين والملاحدة الماديين الذي اداهم عدم الاعتراف بغير المحسوسات إلى انكار الوحي .

أما قوله تعالى : (إنه لقول رسول كريم) . فقد ذهب أكثر المفسرين إلى أن المراد ان القرآن قول النبي المرسل محمد ﷺ يبلغه عن ربه الذي أرسله فان الرسول لا يقول عن نفسه ، بل يبلغ ما أنزله عليه ربه بملك الوحي . وذهب ابن السائب ومقاتل وابن قتبية إلى أن المراد أن القرآن قول جبريل عليه السلام يبلغه عن ربه .

وسواء أكان المراد القول الأول أم القول الثاني ، فان وساطة جبريل - على كلا المذهبين - واسطة العقد في البعثة الحمديدية ، كما كانت كذلك في بعثة كل نبي . ووصف القرآن بأنه قول رسول كريم يقتضي أن يكون القرآن رسالة يبلغها الرسول الكريم عن ربه تبارك وتعالى ..

بيان القرآن أصناف الوحي

ذهب العلماء إلى تكثير أقسام الوحي . فعدها السيوطي وغيره خمس
كيفيةٍ وبلغ بها بعضهم ثمانين مراتب ، كما ذكر القسطلاني في المواهب
الدنية (١) . ورأيت القرآن الكريم يحصرها في ثلاثة أصناف ، فما العمل ؟
وما منزلة تقسيم العلماء من تصنيف القرآن ؟

لا ريب أن الأفضل أن نعود إلى القرآن نفسه ، فانه وإن حصرها
في أصناف ثلاثة ؛ فانها تشمل جميع صور الوحي التي أسماها العلماء
كيفيةٍ أو مراتب . فعزمت على سرد أصناف الوحي حسب الدلالة القرآنية
ولإحكام بيانها بالأحاديث النبوية :

قال تعالى : (وما كان لِيُشِيرَ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحِيًّا أَوْ مِنْ
وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يَرْسَلْ رَسُولًا فَيُوحِي بَأْذَنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيُّ حَكِيمٌ) (٢) .

الصنف الأول : أَنْ يُلْقِيَ اللَّهُ الْمَعْنَى فِي قَلْبِ النَّبِيِّ مُبَاشَرَةً . ويكون
ذلك في اليقظة أو المنام . وأشار إليه قوله تعالى (إِلَّا وَحِيًّا) .

أولاً - إلقاء الله معنى في النبي يقظة (٣) ويتم ذلك من غير
واسطة ملك ، مع خلق علم ضروري عند النبي بأن هذا المعنى قد قدّفه
الله قطعاً . فهو نور ينبج في القلب فلا يندفع ولا يحتمل الشك أو التأويل.

(١) انظر الاثنان ج ١ ص ٤٤ ، وشرح المواهب للزرقاني ج ١ ص ٢٦٨
الطبعة الاميرية . (٢) سورة الشورى : ٥١ .

(٣) روح المعاني ج ٢٧ ص ٥٠ . م / ٢٣

ومن هذا القبيل ما أشار اليه تعالى بقوله : (إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ) (١) .

نقل الامام الفخر الرازي عن أبي علي الفارسي أن لفظَ (أراك) مأخوذ من (رأيت) التي يراد بها الاعتقاد (٢) . ثم قال الرازي : (ان قوله « بما أراك الله » ، معناه بما أعلمك الله سمي ذلك العلم بالرؤية . لان العلم اليقيني المبرأ عن جهات الرب يكون جارياً مجرى الرؤية في القوة والظهور . وكان عمر يقول : لا يقولن أحداً قضيتُ بما أراني الله تعالى فان الله تعالى لم يجعل ذلك إلا لنبيه . وأما الواحد منا فراهيه يكون ظناً ولا يكون علماً) (٣) .

(١) سورة النساء : ١٠٥ .

(٢) قال أبو علي الفارسي : (قوله « بما أراك الله » ، معناه إما أن يكون منقولاً بالهمزة من رأيت التي يراد بها رؤية البصر ، أو من رأيت التي تتعدى الى المفعولين ، أو من رأيت التي يراد بها الاعتقاد . والاول باطل لان الحكم في الحادثة لا يرى بالبصر . والثاني أيضاً باطل ، لانه يلزم أن يتعدى إلى ثلاثة لا الى المفعولين بسبب التمديد ، ومعلوم أن هذا اللفظ لم يتعد الا الى مفعولين ، أحدهما : الكاف التي هي للخطاب ، والآخر المفعول المقدر ؛ وتقديره : بما أراكه الله . ولما بطل القسمان بقي الثالث ، وهو أن يكون المراد منه رأيت بمعنى الاعتقاد) .

(٣) وعقب الرازي على ذلك بقوله : (اذا عرفت هذا فنقول : قال المحققون هذه الآية تدل على أنه عليه الصلاة والسلام ما كان يحكم الا بالوحي والنص) . ثم فرع على هذا مسألتين : أولاً - ان الاجتهاد لم يكن جائزاً له عليه الصلاة والسلام . ثانياً - أن القياس جائز له ولأمته ، لان النص قد كلف به . فالعمل بالقياس عمل بالنص .

أقول : والمعمد لدى المحققين في علم الاصول هو قول الاحناف : اذا عرضت له عليه السلام حادثة لم يبين الوحي الظاهر حكمها من قبل فان الرسول مأمور أن ينتظر الوحي =

وقال الألوسي رحمه الله : (« بما أراك الله » أي بما عرفك وأوحى به إليك) .

وقال صاحب المنار : (« بما أراك الله » : أعلمك علماً يقينياً كالرؤية في القوة والظهور وما ذلك إلا الوحي الذي يفهم منه مراد الله فهماً قطعياً) .

وسرد أبو حيان الاندلسي أقوالاً في تفسير هذه الآية . فقال : (بما أراك الله) بما أعلمك من الوحي . وقيل بالنظر الصحيح فانه محروس في اجتهاده معصوم في الأقوال والافعال . وقيل : بما ألقاه في قلبك من أنوار المعرفة وصفاء الباطن . (واستدل له بقول عمر) وقال الماتريدي : (.. فيه دليل جواز اجتهاده ، واجتهاده كالنص لان الله تعالى أخبر أنه يريه ذلك ؛ أو لا يريه غير الصواب) (١) .

وذهب بعض علماء أصول الفقه إلى الاستدلال بهذه الآية على جواز اجتهاد الرسول ﷺ . قال في فواتح الرحموت (والمعنى لتحكم

= قدر ما يرجو نزوله . ثم اذا خاف فوت الحادثة يعمل بالاجتهاد . علماً بأن الله تعالى لا يقره على خطأ بل يصوبه في الحال . بدليل قوله تعالى : (عفا الله عنك لم أذنت لهم) « التوبة : ٤٣ » فاستمراره عليه الصلاة والسلام على اجتهاده وعدم تنبيهه الى خطأ دليل على اصابة الاجتهاد وسداده . ولذلك لا تجوز مخالفة اجتهاده . وهذا سر تسمية علماء أصول الفقه هذا الاجتهاد النبوي : الوحي الباطن . وهو عندهم أحد قسمي الوحي ، والقسم الآخر : الوحي الظاهر .

(انظر مفاتيح الغيب ج ١١ ص ٣٣ وروح المعاني : ج ٥ ص ١٢٧ ، وتسهيل الوصول الى علم الاصول محمد عبد الرحمن الخلاوي ص ١٤٠ طبع مصطفى البابي الحلبي بمصر ، وأصول الفقه — محمد الخضري ص ٤٠٧ — ٤٠٨ طبعة رابعة — المكتبة التجارية الكبرى بمصر) .

بما جعله لك الله رآياً) ونسبه الى الامام ابي يوسف . (١)

ونحن نرجح ما ذهب اليه المحققون من المفسرين كالرازي وابي حيان والألوسي رحمهم الله فان دلالة اللغة تؤيد رأيهم . وقد أوضحها الامام اللغوي الحجة ابو علي الفارسي . فغنى الآية - بناء عليها - (لتحكم بين الناس بما اعلمك او عرفك الله تعالى بوحى منه) .

ثانياً - لقاء الله معنى في قلب الرسول مناما ، كما حكى القرآن على لسان ابراهيم (يا بُيَّيْ اِنِّي اُرَى فِي الْمَنَامِ اَنِّي اُذْبَحُكَ . فانظر ماذا ترى) . (٢) وحصل لسيدنا رسول الله ﷺ أول عهده بالوحي ، ثم حصل في مناسبات سجل القرآن بعضها ، كما في قوله تعالى (لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين لا تخافون فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحاً قريباً) . (٣)

وانما كانت الرؤيا وحياً وجزءاً من النبوة باعتبار ما يقتضيه بها من التيقن بأنها من عند الله تعالى . وإثبات الوحي الى النبي بالرؤيا أول أمره تمهيد للوحي الصريح اليه يقظة . وفي الصحيح عن عبيد بن عمير (رؤيا الانبياء وحي ، وقرأ : يا بني اِنِّي اُرَى فِي الْمَنَامِ اَنِّي اُذْبَحُكَ) (٤) .

الصف الثاني : وأشار اليه قوله تعالى (أو من وراء حجاب) وقد

(١) فوائد الرحموت شرح مسلم الثبوت - عبد العلي محمد بن نظام الدين الانصاري

ج ٢ ص ٣٦٨ .

(٢) سورة الصافات : ١٠٢ . (٣) سورة الفتح : ٢٧ .

(٤) انظر شرح المواهب اللدنية للزرقاني ج ١ ص ٢٢٥ طبع المطبعة الازهرية

سنة ١٣٢٥ هـ .

حصل لسيدنا موسى عليه السلام اذ كلم الله موسى بلا واسطة فلم يره موسى . قال تعالى : وكلم الله موسى تكليماً (١) .

الصف الثالث : أن يرسل الله ملك الوحي جبريل عليه السلام الى النبي عليه السلام ، فيوحي اليه ما أمره أن يوحيه ، ويحصل له علم ضروري بأنه ملك الوحي يبلغه عن الله تعالى . وقد أشار اليه بقوله (أو يُرسلَ رسولاً فيوحيَ بأذنه ما يشاء) وقد حصل هذا لسيدنا محمد ﷺ ولجميع الرسل من قبله . قال تعالى (قل من كان عدواً لجبريل فإنه نزله على قلبك بأذن الله مصدقاً لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين) (٢) .

الوحي ليلة المعراج :

ومنتهى مراتب الخطاب الالهي إلقاء الله الكلام على النبي من غير واسطة ملك ، كما تلقى نبينا محمد عليه الصلاة والسلام كلام الله ليلة المعراج وهو يراه . ولكن ألا يتنافى هذا مع قوله تعالى (وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً) ؟

عدو الى معنى الوحي في اللغة والشرع واذكر ان من معاني الوحي « الكلام الخفي » كما ورد في اللسان أو « الكلام على سبيل الرمز والتعريض » كما ذكر ابن الأثير . فالمراد أن الله تعالى يكلمه كلاماً ليس مؤلفاً من أحرف صوتية ، إنما هو كلام خفي يليق بذاته تعالى يفهمه الرسول ﷺ . والآية لا تنفي أن يكون الرسول قد رأى ربه ليلة المعراج . فإنه تعالى خصص قوله « أو من وراء حجاب » بقوله « إلا وحياً » فدلّت الآية على وجود وحي من وراء حجاب دون رؤية الرسول لله تبارك وتعالى ، وعلى احتمال وجود وحي مع رؤية الرسول لله سبحانه .

وقد اختلف العلماء في رؤية الرسول ربه تعالى ليلة المعراج . والراجح عند اكثر العلماء أنه ﷺ رأى ربه ليلة المعراج كما قال النووي (١) وعليه يكون الوحي اليه تلك الليلة من الصنف الأول «إلا وحياً» . أما على القول المرجوح يكون الوحي اليه ليلة المعراج من الصنف الثاني «أو من وراء حجاب» .

قال العلامة البيضاوي في تفسير الآية («وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً» كلاماً خفياً يدرك بسرعة ، لأنه ليس في ذاته مركباً من حروف مقطعة يتوقف على متموجات متعاقبة ، أو هو ما يعم المشافهة به ، كما في حديث المعراج ... ولكن عطف قوله «أو من وراء حجاب» عليه يخصه بالأول . فالآية دالة على جواز الرؤية لا على امتناعها) (٢) .

اتصال جبريل بالرسول الكريم :

لعلك تسأل : بأي أصناف الوحي نزل القرآن على رسول الله ﷺ ؟ إن نزول القرآن ينحصر في الصنف الثالث من الوحي ، والراجح لدى العلماء أن القرآن أنزله الله بواسطة ملك الوحي على محمد ﷺ في البقعة فحسب (٣) . قال تعالى : (نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين) (٤) وقال : (قل نزله روح القدس من ربك بالحق) (٥) .

(١) شرح المواهب اللدنية ج ١ ص ٢٧٠ المطبعة الاميرية .

(٢) انوار التنزيل وأسرار التأويل - للبيضاوي ص ٥٠٦ مكتبة الجمهورية المصرية .

(٣) شرح المواهب اللدنية ج ١ ص ٢٧٢ الطبعة الاميرية ، وانظر رسالة العقد المنتظم

في أقسام الوحي المعظم ص ١٢ - للعلامة العارف بالله الرحوم السيد علوي عباس المالكي المكي . طبع عيسى البابي الحلبي .

(٤) سورة الشعراء : ١٩٣ . (٥) سورة النحل : ١٦٤ .

وأطلق عليه اسم روح القدس والروح الأمين ، لأنه كان ينزل بما يحيي موات القلوب . فهو بمثابة الروح . ويرى الرازي أن إضافة (روح) إلى (القدس) في الآية لأنه مجبول على الطهارة والنزاهة من العيوب . وروحانيته أتم وأكمل من سائر الملائكة . فخصّ بهذه الإضافة دونهم . ويرى الراغب الإصفهاني : أنه خصّ بذلك لاختصاصه بالنزول بالقدس من الله . أي بالنزول بما يطهر به نفوسنا من القرآن والحكمة والفيض الإلهي . وهذا عندنا أرجح لتعلقه بأمر ظاهر في مهمته . فان مدار تلقيه بـ (الروح) مستند إلى مهمته . والتأويل بالاستناد إليها أنسب منه مستنداً إلى صفة قائمة في الملك « كالطهارة . . » فانها صفة مشتركة بين جميع الملائكة وان تفاوتت حظوظهم منها .

وكان اتصال جبريل برسول الله ﷺ بأساليب متعددة :

أولاً - ظهر له جبريل بصورته الملكية الحقيقية . وكان ذلك مرتين فحسب كما في صحيح مسلم وجامع الترمذي عن عائشة رضي الله عنها (١) . ثانياً - ان الوحي كان يأتيه أحياناً من الملك صوتاً مجرداً قوياً مجلجلاً أشبه قوة بصلصلة الجرس ، يقرع سمعه فلا يبق فيه مجال لغيره . وعبر الرسول ﷺ عن هذا ، لما سأله الحارث بن هشام كيف يأتيك الوحي ! فقال عليه السلام : (أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشده عليّ فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال) (٢) .

ثالثاً - أن يشخص الملك أمام الرسول بهيئة رجل عادي .

(١) انظر فتح الباري ج ١ ص ١٨ وشرح المواهب اللدنية للزرقاني ج ١

ص ٢٣٧ المطبعة الأزهرية بمصر سنة ١٣٢٥ هـ .

(٢) سيمر بك الحديث تاماً عما قليل .

ولمّا يظهر الملك بصورة بشرية تأنيساً لمن يخاطبه من الأنبياء . وقد أخبر الرسول عن هذا في جوابه للحارث :

(وأحياناً يتمثل ليَ الملكُ رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول) (١).
وقد جاء مرة بصورة رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر - كما سيمر معنا - وقد روى النسائي بسند صحيح من حديث ابن عمر رضي الله عنها أن جبريل كان يأتي رسول الله ﷺ في صورة دحية الكلبي . وكان دحية يضرب به المثل في حسن الصورة (٢) .

رابعا - وأحياناً يلقي الملك في فؤاد الرسول وعقله معنى خاصاً من غير أن يراه الرسول أو يسمعه . قال ﷺ : (إن رُوحَ القدس نَفَثَ في روعي أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها ، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب . ولا يحملن أحدكم استبطاء الرزق أن يطلبه بمعصية الله ، فإن الله تعالى لا يُنَالُ ما عنده إلا بطاعته) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القناعة والحاكم وصححه من حديث ابن مسعود من طرق (٣) .

(١) سيمر بك الحديث تماماً عما قليل .

(٢) انظر ترجمة دحية في الإصابة لابن حجر .

(٣) معنى (نفث في روعي) (بضم الراء) ألقي في قلبي أو عقلي . (أجملوا في الطلب) اطلبوا الرزق من الطرق الحلال من غير تهافت وتكالب على الحرام .

انظر فتح الباري ج ١ ص ١٥ وما بعدها . وانظر شرح المواهب اللدنية ج ١ ص ٢٢٥ وما بعدها وروح المعاني ج ٢٧ ص ٥٠ وما بعدها .

الوحي كما صرّت لرسولنا محمد ﷺ

بعد أن تحدثنا عن منهج القرآن في اثبات الوحي وامكانه ، ثم عن أصنافه في القرآن ، نعرض لحصول الوحي لسيدنا محمد ﷺ ، فنذكر حادثة الوحي كما وقعت له . ثم نتحدث عن مشهد رسول الله وهو يُوحى إليه وعن معاناته شدة أثناء تنزيل الوحي . لتكون هذه الأمور شواهد حق تشهد بتنزل وحي الله على سيدنا محمد ﷺ وتوضح معالاه .

ان الوحي الذي حصل لرسولنا محمد ﷺ ، كما أنبأ عنه أصحابه وشهدوا آثاره لدى تنزله عليه ، ليدل على أن الرسول ﷺ مخلوق ضعيف كسائر البشر يتلقى من علو ما لا وسيلة عنده لاجتلابه ولا حيلة لدفعه (وإنك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم) (١) . فهو مأمور طائع لا يملك من أمر الوحي شيئاً . بل للوحي عليه سيطرة وهيمنة يرى الناظر آثارها عليه إبان تنزيل الوحي .

وإليك طائفة من الأحاديث تكشف لك عن وقوع الوحي حقيقة لسيدنا محمد ﷺ وتصف مظاهره :

روى البخاري في أول صحيحه عن عائشة ؓ أم المؤمنين رضي الله عنها انها قالت : « أول ما بُدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح » (٢) .

(١) سورة النمل : ٦ .

(٢) (الرؤيا الصالحة في النوم) الرؤيا الصادقة . (جاءت مثل فلق الصبح) : ظهرت مطابقتها للواقع كظهور ضياء الصبح لناظره .

ثم عجب اليه الخلاء وكان يخلو بغار حراء ، فيتحنث^(١) فيه - وهو التعمد^٢ الليالي ذوات العدد - قبل أن ينزع^(٣) الى أهله ويتزود لذلك ، ثم يرجع الى خديجة فيتزود لمثلها . حتى جاءه الحق^(٤) وهو في غار حراء ، فجاءه الملك فقال : اقرأ .

قال : ما أنا بقارئ قال : فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد^(٥) ثم أرسلني فقال : اقرأ .

قلت : ما أنا بقارئ فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال : اقرأ .

فقلت : ما أنا بقارئ . فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني فقال : (اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الاكرم) .

فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده فدخل على خديجة بنت خويلد رضي الله عنها .

فقال : زملوني زملوني

فزملوه حتى ذهب عنه الروع .^(٥)

(١) (يتحنث) يتعبد . وفي الاصل يتحنث فلان : يفعل فعلاً يخرج به عن الحنث وهو الاثم - كما في النهاية لابن الاثير .

(٢) (يتعمد) : يرجع .

(٣) (جاءه الحق) الامر الحق وهو مجيء الملك بالوحي . وسمي حقاً لانه من الله تعالى .

(٤) (غطني) ضمني وعصريني . وأصل الغط حبس النفس . ومنه غطه في الماء . (حتى بلغ مني الجهد) حتى بلغ الغط مني غاية وسعي .

(٥) (زملوه) : لغوه . (الروع) : الفزع .

فقال لخديجة وأخبرها الخبر : لقد خشيتُ على نفسي (١) .

فقات خديجة : كلا والله ما يخزيك الله أبداً ، إنك لتصل الرحم وتحمل الكلَّ وتكسب المعدوم وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق . (٢)

فانطلقت به خديجة حتى أتت ورقة بن نوفل بن أسد بن عبدالمزى ابن عم خديجة .

وكان امرأ تنصّر (٣) في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبراني فيكتب من الانجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب ، وكان شيخاً كبيراً قد عمي .

فقات له خديجة : يا ابن عم اسمع من ابن أخيك

فقال له ورقة : يا ابن أخي ماذا ترى ؟

فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى .

فقال له ورقة : هذا الناموس (٤) الذي نزل الله على موسى .

يا ليتني فيها جذعاً (٥) ، ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك :

(١) (لقد خشيت على نفسي) أي خشيت المرض أو الموت لشدة ما أصابني من الرعب .

(٢) (الكل) : العاجز أو الذي لا يستقل بأمره (تكسب المعدوم) تعطي الفقير المعدم ما لا يجده عند غيرك .

(٣) (تنصّر) صار نصرانياً . فان ورقة لما كره عبادة الاوثان خرج الى الشام يسأل عن الدين فاعتنق النصرانية ، وتعلم اللغة العبرية .

(٤) (هذا الناموس) وهو في الاصل صاحب السر . وأراد به ملك الوحي جبريل عليه السلام الذي يوصل الوحي سراً إلى الانبياء .

(٥) (ياليتني فيها جذعاً) ياليتني أعود في أيام دعوتك شاباً .

فقال رسول الله ﷺ : أَوْ مَخْرَجِيْ هَمْ ؟ ؟

قال : نعم لم يأت رجل قط بمثل ما جئتَ به إلا عودي . .
وإن يدركني يومك أنصرك نصرأ مؤزرأ (١) .

ثم لم ينشب ورقة أن توفي وفتر الوحي (٢) .

وروى البخاري عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها ان الحارث ابن هشام رضي الله عنه سأل رسول الله ﷺ . فقال : يا رسول الله كيف يأتيك الوحي ؟ فقال رسول الله ﷺ : (أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشده عليّ فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال . وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول ، قالت عائشة : (ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وان جبينه ليتفصد عرقاً) (٣) .

وروى البخاري أيضاً عن جابر بن عبد الله الأنصاري أنه قال وهو يحدث عن فترة الوحي ، فقال في حديثه : (بينا أنا أمشي اذ سمعت صوتاً من السماء فرفعت بصري فاذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي

(١) (نصرأ مؤزرأ) نصرأ قوياً .

(٢) (لم ينشب) لم يلبث أو لم يتعاق ورقة بشيء من الامور حتى مات (فتر الوحي) : تأخر مدة من الزمان . والحكمة من ذلك أن يذهب عن النبي صلى الله عليه وسلم ما أصابه من الفزع ويحصل له التشوف والتلهف الى عوده .

(٣) رواه البخاري في باب كيف كان بدء الوحي الى رسول الله ورواه مسلم في صحيحه ومالك في الموطأ . ومعني (صلصلة الجرس) الصلصلة في الاصل : صوت وقوع الحديد بعضه على بعضه . ثم أطلق على كل صوت له طنين . (فيفصم عني) يقطع عني وينجلي ما كان يشافي . (يتفصد عرقاً) من الفصد وهو : قطع العرق لاسالة الدم . شبه به جبينه لاطهار كثرة العرق المتقاطر منه .

بين السماء والأرض . فرعبتُ منه ، فرجمتُ فقلت زملوني فأُنزل الله تعالى : يا أيها المدثر قمْ فأُنذرْ إلى قوله والرجزَ فاهجرْ . فحمي الوحي وتتابع (١) .

مشهد رسول الله ﷺ وهو يوحى إليه

ولقد شهد أصحاب الرسول ﷺ ما يعتريه من أعراض وما تبدو عليه من مظاهر جسمية حين ينزل عليه الوحي .

روى البخاري عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنها في قوله تعالى : (لا تمحرك به لسانك لتعجل به) قال : كان رسول الله ﷺ يمالج من التنزيل شدة وكان مما يحرك شفتيه (٢) فقال ابن عباس فأنا أحركها لكم كما كان رسول الله ﷺ يحركها .

وقال سعيد : أنا أحركها كما رأيت ابن عباس يحركها فحرك شفتيه

(١) صحيح البخاري : باب كيف كان بدء الوحي . والآيات النازلة هنا قوله تعالى : (يا أيها المدثر قم فأُنذر وربك فكبر وثيابك فطهر والرجز فاهجر) ومعنى المدثر : المغطى بثيابه ويراد به النبي نفسه . (قم فأُنذر) حذر من العذاب من لم يؤمن بك . (وربك فكبر) عظم ربك . (وثيابك فطهر) كناية عن تطهير النفس من الشوائب . (والرجز فاهجر) الرجز : العذاب . أمره بترك كل ما يسبب العذاب من الآثام ورأسها عبادة الأوثان .

وقوله : (فحمي الوحي وتتابع) أي جاء كثيراً . وفيه مطابقة لتعبيره عن تأخره بالفتور . (في حديث عائشة الاول) .

— انظر في مفردات الاحاديث : فتح الباري ج ١ ص ١٥ وما بعدها —
 طبعة الحشاش وانظر النهاية في غريب الحديث والاثار . لابن الاثير .

(٢) يعني أنه كان يحرك شفتيه مع لسانه . وانظر سورة القيامة : ١٦ - ١٩ .

فأنزل الله تعالى : (لا تمحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه) قال : جمعه لك في صدرك وتقرأه . فإذا قرأناه فاتبع قرآنه . قال : فاستمع له وأنصت . ثم ان علينا بيانه . ثم ان علينا أن نقرأه . فكان رسول الله ﷺ بعد ذلك إذا أتاه جبريل استمع ، فإذا انطلق جبريل قرأه النبي ﷺ كما قرأه (١) .

وهذا رجل يستفتي رسول الله في حكم التطيب للمحرم بمعة ، فلا يملك النبي له جواباً حتى جاءه الوحي فاحمر وجهه وخاض في غطيط . روى البخاري (٢) أن يعلى قال لعمر بن الخطاب رضي الله عنها : أرني النبي ﷺ حين يوحى اليه . قال : فيما النبي ﷺ بالجمرة ومعه نفر من أصحابه جاءه رجل فقال : يا رسول الله كيف ترى في رجل أحرم بمعة وهو متضمخ بطيب . فسكت النبي ﷺ ساعة فجاءه الوحي فأشار عمر رضي الله عنه إلى يعلى . فجاء يعلى وعلى رسول الله ﷺ ثوب قد أظلم به ، فأدخل رأسه ، فإذا رسول الله ﷺ حمر وجهه وهو يغط ثم سري عنه . فقال : أين الذي سأل عن المعة . فأنى رجل . فقال اغسل الطيب الذي بك ثلاث مرات ، وانزع عنك الجبة واصنع في عمرتك كما تصنع في حجتك (٣) .

وهام أولاء أصحاب الرسول ﷺ يشهدون محاورته رجلاً لا يعرفونه

(١) باب كيف كان بدء الوحي برسول الله صلى الله عليه وسلم من صحيح البخاري .

(٢) كتاب الحج . باب غسل الخلق من الثياب . ورواه أيضاً مسلم والنسائي ،

انظر جامع الاصول : حديث ٨٨١٠ .

(٣) قوله : (يغط) والغطيط صوت النفس المتردد من النائم أو المغنى وقوله :

(سري عنه) زال عنه ما اعتراه تدريجاً .

فليس من أهل المدينة ، ولا يرون عليه أثراً من السفر كإغبار الثوب أو الشعر . فلا يبدو أنه غريب ليسألوه عن قومه وموطنه .

روى مسلم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ ذات يوم ، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر ، لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد ، حتى جلس إلى النبي ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه .

وقال : يا محمد أخبرني عن الاسلام ؟

فقال رسول الله ﷺ : الاسلام أن تشهد أن لا إله الا الله وأن محمداً رسول الله ، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً .

قال : صدقت

فمجبنا له يسأله ويصدقه ! !

قال : فأخبرني عن الايمان ؟

قال : ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره .

قال : صدقت . قال : فأخبرني عن الاحسان ؟

قال : ان تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك

قال : فأخبرني عن الساءة ؟

قال : ما المسئول عنها بأعلم من السائل ..

قال : فأخبرني عن أماراتها ؟

قال : ان تلد الأمة ربتها ، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاة الشاء يتطاولون في البنيان .

ثم انطلق . فلبث ملياً

ثم قال : يا عمر أتدري من السائل ؟

قلت : الله ورسوله أعلم .

قال : فانه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم (١)

معاناة الرسول مدة أثناء تنزل الوحي :

قال الله تعالى (انا سنلقي عليك قولاً ثقیلاً) (٢)

ذهب الحسن وقتادة إلى أن المراد أن العمل به ثقیل . وقيل ثقیل وقت نزوله من عظمته . واستدل ابن كثير للقول الثاني بأحاديث كثيرة ، سنورد بعضها قريباً . وذكر الرازي في المراد عشرة أقوال اختار منها : كونه عظيم القدر جليل الخطر .

(١) قوله (فأسند ركبته إلى ركبته) أي جلس أمام الرسول وركبته أمام ركبته (ووضع كفيه على فخذه) ان الرجل جلس جلسة التأدب المستفهم ، فوضع كفيه على فخذه . نفسه كما هو مألوف في طلاب العلم .

(أخبرني عن أماراتها) عن علاماتها الدالة على قرب وقوعها . (أن تلد الأمة ربتها) : في المراد منه أنوال كثيرة ويبدو لنا انه انقلاب المفاهيم والقيم حتى تتناول الفتاة على والدتها والحادمة ونحوها على سيدتها . . . وهكذا . (وأنت ترى الحفاة العراة العالة رعاة الشاء يتطاولون في البنيان) فالعالة : هم الفقراء . والرعاة : هم المرعاة . والمعنى : أن أهل البادية ومن على شاكلتهم من الاجلاف والهمج - ويغلب عليهم الفقر عادة - سيطر لهم الدنيا فيتنافسون على مراتبها ويترقون في البنيان متباهين .

(٢) سورة الزمل : ٥ .

وقد أحسن ابن جرير الطبري بالجمع بين القولين الاولين اذ قال :
(وأولى الاقوال بالصواب في ذلك أن يقال : ان الله وصفه بأنه قول
ثقيل ، فهو كما وصفه به ثقيل - محمله ثقيل العمل بمحدوده وفرائضه) (١)

منذ الجولة الاولى للوحي قالى الرسول ﷺ شدة وبذل في تحمله
غاية ما في الوسع من جهد . بل انه في هذه الجولة عانى منه هلعاً ارتج
له فؤاده حتى خشى على نفسه .

لقد ورد في حديث عائشة رضي الله عنها (. . . حتى جاءه الحق
وهو في غار حراء . فجاءه الملك فقال : اقرأ ، قال ما أنا بقارىء . قال
فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال : اقرأ . قلت : ما أنا
بقارىء . فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال : اقرأ .
فقلت : ما أنا بقارىء . فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني فقال (اقرأ باسم
ربك الذي خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الاكرم) فرجع
بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده . . فزملوه حتى ذهب عنه الروع فقال
لخديجة وأخبرها الخبر : لقد خشيت على نفسي . . (٢)

وما أكثره هولاً وأفرعه منظراً أن يسمع الانسان صوتاً من جهة
السماء فينظر فيها شخصاً جالساً على كرسي معلق في الفضاء بين السماء
والارض (٣) .

(١) تفسير ابن كثير ج ٩ ص ٢٩ مطبعة المنار سنة ١٣٤٧ هـ . ومفاتيح الغيب
ج ٨ ص ٢٥١-٢٥٣ وجامع البيان عن تأويل آي القرآن - للطبري ج ٢٩ ص ١٢٧-١٢٨
وانظر البحر المحيط ج ٨ ص ٣٦٢ .

(٢و٣) انظر الحديثين السابقين ص ١٨٥ وما بعدها .

وبصورة عامة فإن الرسول ﷺ كان يعالج من التنزيل شدة - كما قال ابن عباس - (١) وأبلغ أنواعه شدة وتأثيراً بحديثه إليه بصوت صادر عن الملك أشبه بصلصلة الجرس (أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشده على فيفصم عني وقد وعيتُ عنه ما قال) .

فيفهم من هذا الحديث أن الوحي كله شديد الواقع على رسول ﷺ وأن تنزله بهذه الصفة أشد من غيرها . ولكن ما سبب هذه الشدة ؟ لا ريب أن الفهم من كلام مثل صلصلة الجرس أعسر من فهم كلام الرجل في خطابه المهود . . والسبب المؤذي للشدة والارهاق ، أن المتخاطب يتطلب تناسلاً وتلائماً بين المتكلم والسامع . ولا يحصل هذا إلا بأحد أمرين :

إما أن يتصف النبي بوصف ملك الوحي باستثارة الروحانية فيه وتقويتها وتغليبها على الاوصاف الجسدية ، كما في حالة الاستماع لصوت الملك مباشرة حتى يقرب عند الرسول من صلصلة الجرس .

وإما أن يتصف المتكلم (ملك الوحي) بوصف النبي فتغلب عليه الاوصاف البشرية . (وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول) .

ولا جرم أن الحال الاول كان أشق على الرسول ﷺ ، وإذا كان الوحي كله شديداً عليه فإنه يستجمع قلبه فيكون أوعى لما سمع . وعلى كل فإن النبي ﷺ ينال - بحمله هذه المشقة - زيادة الزلفى من الله ورفع الدرجات (٢) .

(٢) ولا شك أن البشر أضعف من أن يشاهد الملك على حقيقته إلا أن يقويه الله على ذلك بمدد خاص . وهذا ما حصل لسيدنا رسول الله . ومع ذلك فقد غاني لعدم الالفة ومقايرة الطبيعة ما غاني . راجع أصناف الوحي .

(١) فتح الباري ج ١ ص ١٦ وانظر البرهان في علوم القرآن للزركشي ج ١ ص ٢٢٩ .

لقد لمس الصحابة بأنفسهم مظاهر هذه الشدة وآثارها على رسول الله ﷺ ، قالت عائشة (ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد وإن جبينه ليتفصد عرقاً) (١) . وأطل يعلى رضي الله عنه لما فاداه عمر رضي الله عنه على رسول الله ﷺ وهو يوحى إليه فرآه يحمر الوجه متتابع الانفاس في غطيظ أشبه بغفوة النائم (٢) .

وهذا رسول الله ﷺ تشهد عائشة ووالداها رضي الله عنهم وقد تنزل عليه الوحي في بيتها ، فأحر جسمه ، وتحدر العرق منه كحبات اللؤلؤ . قالت عائشة رضي الله عنها : (فوالله ما رام رسول الله ﷺ ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أنزل عليه ، فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء ، حتى إنه ليتحدر منه مثل الجمان من العرق ، وهو في يوم شاتٍ ؛ من ثقل القول الذي ينزل عليه ..) (٣) .

وإذا كان صوت الوحي قد طرق سمع رسول الله ﷺ قوياً كصلصلة الجرس يشغل أذنيه ويلاً أقطار نفسه ، فإنه قد طرق أسماع الصحابة حوله خافتاً غير مفهوم أشبه ما يكون بدوي النحل . فاختلف تشبيه صوته بين الفريقين نظراً لاختلافه قوة وخفوتاً بينها لتركز وجهته على الرسول دون الصحابة . فوصفه كل كما سمع فلا تعارض بين الوصفين . عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : (كان رسول الله ﷺ إذا أنزل عليه الوحي يُسمع عند وجهه كدوي النحل فأنزل عليه يوماً فكفنا

(١) راجع ص ١٨٨ . (٢) راجع ص ١٩٠ .

(٣) رواء البخاري في كتاب التفسير - سورة النور . ومعنى (رام) : فارق ، من (رام يرمي رماً) . لكن (رام يروم روما) معناها : طلب . (البرحاء) شدة الجحى . (الجمان) : اللؤلؤ - فتح الباري ج ٨ ص ٣٣٦ .

ساعة ثم سُريَّ عنه فقراً : (قد أفلح المؤمنون - إلى عشر آيات منها من أولها) وقال : من أقام هذه العشر آيات دخل الجنة : ثم استقبل القبلة ، ورفع يديه وقال : اللهم زدنا ولا تنقصنا ، وأكرمنا ولا تهنا وأعطنا ولا تحرمنا ، وآثرنا ولا تؤثر علينا ، اللهم أرضنا وارض عنا (١) .

وتوجه زيد بن ثابت رضي الله عنه وبرح الالم فحذه حتى خاف عليها من ثقل فخذ رسول الله المستندة إليها حين نزل عليه الوحي . فقد أخرج البخاري (عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال : أنزل الله على رسوله وفحذه على فخذي فثقلت عليّ حتى خيفتُ أن ترخصه فخذي) (٢) .

ويشهد الصحابة رسول الله ﷺ ممطياً ناقته ، فينزل عليه الوحي وهو على ظهرها فتثقل وتهوي إلى الأرض تبرك عليها ، حتى يلتصق باطن عنقها بالأرض لقوة واكتمال بروكها . (قالت عائشة رضي الله عنها :

(١) أخرجه أحمد والحاكم وصححه والترمذي والنسائي واللفظ للترمذي انظر فتح الباري : ١ : ١٥ وشرح المواهب للزرقاني ١ : ٢٢٩ وجامع الاصول ج ١٢ حديث ٨٨٠٧ .

(٢) صحيح البخاري في تفسير سورة النساء . وانظر شرح المواهب للزرقاني : ١ : ٢٢٩ . وقد ذكر أيضاً رواية الطبراني عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال : كنت اكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكان اذا نزل عليه أخذته برحاه [حمى] شديدة ، وعرق عرقاً شديداً مثل الجمان ، ثم سري عنه . وكنت أكتب وهو يلي علي فما أفرغ حتى تكاد رجلي تنكسر من ثقل الوحي حتى أقول : لا أمشي على رجلي أبداً . ولما نزلت عليه سورة المائدة كادت أن ينكسر عضد ناقته من ثقل السورة) ورواه أحمد والبيهقي في الشعب . أقول : يبدو أن هذه الرواية ضعيفة ، فقد أشار إليها الهيثمي في مجمع الزوائد ج ٧ ص ١٣ ونسبها لأحمد والطبراني ، وبين أن في سند الحديث شهر بن حوشب ، وهو ضعيف وقد وثق .

وإن كان ليوحى إليه وهو على ناقته فتضرب جرائنها من ثقل ما يوحى إليه (١) .

إن ظواهر الوحي كما تحدث عنها النبي ﷺ وكما عاينها أصحابه لأدلة قاطعة تنفي التوهم بأن الوحي شيء متكلف مصنوع أو أنه أمر تحضيري يستجمع له الفكر والروية . بل ثبتت هذه الظواهر يقيناً أن الوحي إلى محمد ﷺ أمر سوي لا اعتلال معه الزامي لا اختيار له فيه ، وأنه تلقين من الله العزيز الحكيم بقوة وقسوة ؛ وهيمنة وسيطرة ؛ وحكمة ورحمة .

(١) رواه أحمد والبيهقي في الدلائل . انظر شرح المواهب ١ : ٢٢٩ وتفسير ابن كثير ج ٤ ص ٤٣٥ وفتح الباري ج ١ ص ١٧ . وقال الراغب في مفرداته : الجران : باطن العنق . وكذا في النهاية لابن الأثير .

فصائص الوحي

ومن حنايا القرآن الحكيم وأحاديث النبي الكريم أستخلص أهم
خصائص الوحي المميزة :

١- إنه حدث مفاجيء :

انه حدث تلقائي فجائي طرأ على حياة من اصطفاه الله للرسالة أو
النبوة دون سابق توقع أو تطلع . فهذا محمد ﷺ في عزله عن العالم
فاجأه ملك الوحي في غار حراء وأخذ يعتصره بقوة حتى أجهد وأضناه .
فعل ذلك به ثلاثاً حتى ارتجف فؤاده وخاف على نفسه . فانطلق لتوه إلى
زوجه خديجة مرتاعاً ، فلما سكن ؛ أخبرها الخبر مستغرباً وجللاً . ثم
انطلق معها ليستفسر عنه ويتعرف عليه ...

وبينا كان ﷺ ماشياً طرق سمعه صوت من السماء فرفع بصره
إليه فشاهد جبريل جالساً على كرسي بين السماء والأرض . ففزع منه
ورجع إلى بيته يتزمل ثانية . لكن ملك الوحي لم يدعنه يركن إلى التزمل
والتدثر ، فها هو يستنهضه مرة إثر أخرى (يا أيها المدثر قم فأنذر
وربك فكبر ...) (١) (يا أيها المزمل قم الليل إلا قليلاً ...) هذا وغيره
من صور الوحي أفاد أن الرسول لم يستشرف الوحي ولم يتأهب له ، بل
لقد طرق الوحي حياة الرسول طروقاً مباغتاً لم يكن في حسبانته .
حتى كان يفاجئه ليلاً ونهاراً في سفر أو حضر راكباً أو جالساً .

(١) سورة المدثر أسبق نزولاً من المزمل . انظر ابن كثير ج ٤ ص ٤٤٠ .
وفتح الباري ج ٨ ص ٥١١ وروح المعاني ج ٢٩ ص ١١٥ .

٢- إنه حدث إلزامي :

ونستبين ذلك من ناحيتين :

أولاهما : الأعراض الجسدية : ولقد ينزل عليه الوحي فتعثره أعراض إلزامية كاحمرار الوجه وتتابع الأنفاس ، مع تحول الوعي عما حوله إلى ملك الوحي . وينجلي عنه الوحي في اليوم القارس البرد وإن المرق ليتقاطر غزيراً من جبينه ، وإن جسم رسول الله ﷺ ليثقل من شدة الوحي ؛ حتى تكاد فخذة ترض فخذ زبدونها ؛ وحتى تثقل ناقتة فتبرك على الأرض . وتزخر أذناه بأصوات حادة كصلصلة الجرس ، يجرد الصحابة لها دويّاً كدوي النحل .

وواضح لكل ذي لب أن هذه الأعراض إلزامية مفاجئة فليس في طوق أحد من البشر اقتعالها ، وأن مسيها - بلا مراء - ذات أخرى تغاير الذات الحمديدية .

ويزيد القضية جلاءً أن هذه الأعراض غير الإرادية ما كانت تعترى رسول الله قط إلا في الفترة الوجيزة التي يتلقى فيها القرآن . فاقتران هذه الأعراض المضوية بهذا الحدث الروحي برهان جلي على براءة ظاهرة الوحي من شوائب الذات الانسانية الصحيحة أو العملية .

ثانيها : الأحوال النفسية : لقد انتاب الخوف رسول الله ﷺ من ملك الوحي في جولانه الأولى حتى خشي على نفسه الهلاك . وكان الأمر مبهماً بالنسبة إليه حتى راح يستفسر عنه . ثم عرض له فأرعبه حتى لاذ منه بالفرار . والتجأ إلى التدثر والتزمل ليسكن فؤاده ويدفع عن نفسه مشاهدة الملك وميض الوحي فلم يجده ذلك شيئاً . فاذا بلغ الوحي

أشده وقرع صليله مسامع الرسول اتجه وعيه كلية إلى ملك الوحي حتى يقضي مقالته .

فمحمد ﷺ أراد أن يتملص طواعية من ملك الوحي ، لكن دعوته استولت عليه أخيراً . ومقاومته تلك (١) تدل على التعارض بين وجهته التي اتخذها بدافع من سجيته الشخصية وبين حتمية النبوة التي طوقت إرادته وتسلطت على ذاته . وفي هذه القرائن دلائل قوية للنظرة الموضوعية في نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

٣ - الوحي مستقل عن ذات النبي وإرادته :

يظهر لك من الخصيصتين السابقتين أن الوحي خارج عن ذات رسول الله ﷺ ، فهو تلقائي فجائي إلزامي . والأعراض الجسدية والأحوال النفسية تفيد استقلاله عن إرادة النبي ﷺ وعجزه عن دفعه عن نفسه . وتقيد القرائن أيضاً عجزه عن استحضاره ، فإن الوحي قد انقطع بعد أن جاء الملك في غار حراء أول مرة . فلما عرف النبي جليلة الأمر أقض مضجعه فتور الوحي فقد خاف أن يكون حُرْم نعمة النبوة . فلما شاهد الملك على كرسي بين السماء والأرض فزع إلى أهله يتدثر ويتزمل ... وفي فترة الوحي هذه حِكَم إلهية جليلة ، منها : أنه ﷺ لما فجأه ملك الوحي حاله لقاءه ونفر منه طبعه البشري لمخالفته المألوف الانساني . ولم يتمكن بالتالي من التأمل في تلك الحال ، فجاءت فترة الوحي تعطي رسول الله فسحة لانعام النظر واطمئناناً إلى تلقي الوحي وإلفة للملك عليه السلام ، فيذهب عنه الروع ويحصل له التشوف إلى عودة الوحي . فالله تبارك

(١) وقد نسب الاستاذ الكبير مالك بن نبي هذه المقاومة إلى أنبياء آخرين أيضاً . انظر الظاهرة القرآنية ص ٩٦ - ٩٧ - طبعة ثانية - دار العروبة بالقاهرة .

وتعالى يُعِدُّ الرسول ويقويه ويمحوطه بمعانيته الخاصة ليتحمل الوحي لكنه لا يسلخه عن طباعه البشرية .

ومن الحكم الالهية أيضاً : أن هذه الفترة قد حملت الرسول على التعجب والتساؤل والبحث ، وانتشر الخبر بين طائفة يزرع عندها محمد بن عبد الله ، فخلّف انقطاع الوحي يقيناً بأن هذه الظاهرة خارجة عن ذات النبي ، فصار مع من حوله مثبّتين من صحة ظاهرة الوحي (١) .

وقد استبطأ رسول الله ﷺ جبريل عليه السلام فحُثّه على الاكثار من زيارته فنزل الجواب آية من القرآن تبين أنه مأمور من الله تعالى وأن الله لا ينسى رسوله .

روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ لجبريل : « ما يمنحك أن تزورنا أكثر مما تزورنا ، فنزلت الآية : (وما تنزل إلا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسياً) » (٢) .

وهناك آثار أخرى تفيد أن جبريل قد احتبس عن رسول الله ﷺ . ذكر بعضها ابن كثير (٣) ، وأنه - كما روى البخاري - طلب الوحي في بعض المسائل الملحة الهامة فمكث شهراً لا يأتيه فيها وحي (٤) ،

(١) راجع حديث البخاري عن بدء الوحي في أول صحيحه وفي كتاب التعبير منه . وأما مدة فترة الوحي ففيل كانت سنتين ونصف وقيل ثلاث سنين وقيل أياماً وقد رجحه ابن كثير . انظر فتح الباري ج ١ ص ٢١ و ج ١٢ ص ٢٩١ - ٢٩٢ .

(٢) سورة مريم : ٦٤ - والحديث في كتاب التفسير من صحيح البخاري .

(٣) تفسير ابن كثير ج ٣ ص ١٣٠ .

(٤) صحيح البخاري - كتاب التفسير - سورة النور . م / ٢٦

وروى محمد بن اسحاق أن قريشاً بعثت النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط إلى أجبار يهود بالمدينة ليسألهم عن محمد عليه الصلاة والسلام باعتبارهم أصحاب كتاب . فقالت لهما أجبار اليهود : سلوه عن ثلاث نأمركم بهن ، فإن أخبركم بهن فهو نبي مرسل وإن لم يفعل فالرجل متقول فرؤوا فيه رأيكم . سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ، ما كان أمرهم ؟ فإنه قد كان لهم حديث عجيب ، وسلوه عن رجل طوائف قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها ، ما كانت نبؤه ؟ وسلوه عن الروح ما هي ؟ فإن أخبركم بذلك فاتبعوه فإنه نبي ، وإن لم يفعل فهو رجل متقول ، فاصنعوا في أمره ما بدا لكم . فجاءوا رسول الله ﷺ ... فقال لهم : « أخبركم بما سألتهم عنه غداً » ولم يستثن ، فأنصرفوا عنه . فمكث رسول الله ﷺ - فيما يذكرون - خمس عشرة ليلة لا يُحدث الله إليه في ذلك وحياً ولا يأتيه جبريل ، حتى أرجف أهل مكة ، وقالوا : وعدنا محمد غداً ؛ واليوم خمس عشرة ليلة قد أصبحنا منها لا يخبرنا بشيء مما سألناه عنه ، وحتى أحن رسول الله ﷺ مكث الوحي عنه . وشق عليه ما يتكلم به أهل مكة . ثم جاءه جبريل من الله عز وجل بسورة أصحاب الكهف ، فيها معابته إياه على حزنه عليهم وخبر ما سأله من أمر الفتية والرجل الطوائف والروح (١) .

(١) وروى البخاري عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : بينا أنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في حرث وهو متكئ على عسيب « غصن نخيل » إذ مر اليهود فقال بعضهم لبعض : سلوه عن الروح ، فقال: ما رايكم إليه ؟ وقال بعضهم : لا يستقبلكم بشيء تكرهونه ! فقالوا: سلوه ، فسألوه عن الروح ، فأمسك النبي صلى الله عليه وسلم فلم يرد عليهم شيئاً ، فقلت أنه يوحى إليه ، فقممت مقامي ، فلما نزل الوحي قال : ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً . « الاسراء : ٨٥ » ، ويمكن =

ولقد كان رسول الله ﷺ يحرك شفثيه غريزياً أثناء تلقي الوحي حرصاً على الدقة في استحقاق القرآن ، فأناه الأمر بالاستسلام الكامل للوحي قلباً وفكراً وجارحة « لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه » (١) ، « ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يلقى إليك وحيه وقل رب زدني علماً » (٢) .

وهكذا يجد الباحث أن الوحي كان ينقطع عن رسول الله ﷺ على الرغم من شدة طلبه وحرارة لهفته إليه ، وأنه لجائي إلزامي بأمره بالتسليم التام . ولهذا دلالة بليغة على أن حدوث الوحي مستقل عن تدخل ذات النبي وإرادته ، وأنه لا سبيل له إلى دفعه أو استحضاره . وهذا مما يقوى اليقين بصدق صاحبه والاطمئنان إلى ربانية مصدره .

٤ - حصول الوحي وفق الاصطفاء الالهي :

اشترأت أعناق المشركين إلى مقام النبوة بعد أن سمعوا آيات الله الباهرات ؛ ورأوا ما أجراه على يد محمد ﷺ من معجزات قاهرات . تلك الحسد قلوبهم ، كيف تكون النبوة خاصة بمحمد وفيهم من الزعماء من تعظمهم قبائل العرب ؟!

= التوفيق بين الروايتين بأنه قد تعدد النزول والنازل واحد ، وأن يحمل سكوت النبي صلى الله عليه وسلم في المرة الثانية بأنه توقع مزيداً من البيان عن الروح . وعلى كل فإن فترة الوحي هنا خمس عشرة يوماً عن الإجابة عن السؤالين الأولين لم تزل قائمة دون معارض . وبيت القصيد هنا الاستشهاد على خروج الوحي عن ذات وإرادة محمد صلى الله عليه وسلم ، وهو موفور فيما ذكرنا وفي آثار أخرى لم نذكرها عزوفاً عن الاطالة - انظر صحيح البخاري - كتاب التفسير - سورة الاسراء - وسيرة ابن هشام ج ١ ص ٣٢٠ - ٣٢٢ تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد وفتح الباري ج ٨ ص ٢٧٩ .

(١) سورة القيامة : ١٦ . (٢) سورة طه : ١١٤ .

اندفع أكبر مجرمي مكة يطالبون أن ينزل الله عليهم الوحي كما أنزله على المرسلين ، فكشفوا عن عنادهم واستكبارهم عن الحق المبين . قال تعالى : (وإذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نُؤتي مثل ما أُوتِيَ رسل الله . الله أعلمُ حيث يجعلُ رسالته . سيصيب الذين أُجرموا صغارُ عند الله وعذاب شديد بما كانوا يمكرون) (١) بل بلغ بالقوم الحق واللجاج بالباطل أن ابتغى كل منهم حصول الوحي له . كما أخبر الله عنهم (بل يريد كل امرئ منهم أن يُؤتى صحفاً مُنشِرة) (٢) فكبح الله جماع غرورهم ولجاجهم ، إذ أشار إلى عظم أمر النبوة وأنها تكون لصاحب الأهلية واللياقة للتلقى عن الله جل جلاله . فلا قيمة للاعتبارات الاجتماعية والمالية والسياسية البشرية ... وإنما العبرة كل العبرة لنبل الخلق وشرف النفس وصفاء السريرة وطيب الطوية ... وهذا لا يلمه علم اليقين إلا الله رب العالمين (الله أعلمُ حيث يجعلُ رسالته) والنبوة رحمة إلهية للناس جميعاً . فلما قضت حكمة الله ظهورها في زمان ما ؛ شرّف سبحانه بها حسب مشيئته وحكمته مَنْ كان أهلاً لها (يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم) (٣) .

أما الذين اقترفوا بتجبرهم وتكبرهم جريمة الاعراض عن رسالة الله ، ودفعهم النل والحسد إلى تنفير الناس من رسالة الله ، فسلكوا ذلك الأسلوب من المكر والخداع والمراوغة ، فانهم لهذه الأوصاف الخسيسة ... ليسوا أهلاً للنبوة ، ولكنهم جديرون أن يُيجازوا على تجبرهم وتطاولهم وتعاليمهم بالضد ، بالذل والهوان والتحقير . ويعاقبوا على مكبرهم

(١) سورة الانعام : ١٢٤ . (٢) سورة المدثر : ٥٢ .

(٣) سورة آل عمران : ٧٤ .

وكفرهم بالعذاب الأليم (سيصيب الذين أجرموا أصغار عند الله وعذاب شديد بما كانوا يمكرون) (١).

وتقلب مجرمو مكة بين أنواع الكفر ، ومن ذلك زعمهم أن أمر الوحي والنبوة إنما يليق برجل كثير المال عظيم الجاه من مكة أو الطائف . وروي أنهم قصدوا الوليد بن المغيرة من مكة وعروة بن مسعود الثقفي من الطائف ، وروي أن الوليد بن المغيرة كان يقول : لو كان ما يقول محمد حقاً لنزل عليّ أو على أبي مسعود ، يعني عروة الثقفي . فكشف الله زيف زعمهم بقوله :

(وقالوا لو لا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم .
أهم يقسمون رحمة ربك ! ؟ نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا
ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً ورحمة ربك
خير مما يجمعون) (٢).

لقد ابتغوا أي زعيم كان من مكة أو الطائف كما يفيد ظاهر النص . وتعللوا بهذا العذر مراوغة منهم لدفع حجج النبوة القاطعة التي قامت عليهم . وجعلوا أن رتبة النبوة إنما يمنحها الله أزكى الخلق قلباً ونفساً وأشرفهم بيتاً وأصلاً ، والعظيم عنده تعالى هو عظيم النفس بالترفع عن الرذائل الأرضية والزخارف الدنيوية وبالتجلي بكالات الفضائل القدسية . وأثار الله التكبر على جهلهم والعجب الشديد من تحكمهم بالوحي بالقرآن العظيم لمن يريدون باستفهام انكارى قوي (أهم يقسمون رحمة ربك ! ؟) وقد أبطل الله شبهتهم فذكّرهم أنه تعالى قد فاوت بمشيئته وحكمته بين خلقه فيما أعطاهم

(١) مفاتيح الغيب ج ١٣ ص ١٧٥ - ١٧٧ . والكشاف ج ٢ ص ٥٠ وتفسير ابن كثير ج ٢ ص ١٧٢ - ١٧٣ وروح المعاني ج ٨ ص ١٧ - ٢٠ .

(٢) سورة الزخرف : ٣١ .

من منافع الدنيا ومناصبها وأرزاقها ، وكذا في العقول والمواهب والامكانيات . حتى صاروا يستعمل بعضهم بعضاً في مصالحهم فيتعايشوا ويتراقدوا ، فلم يقدر أحد من الخلائق على تبديل هذه الطريقة . ولا ريب أن النبوة وما يتعلق بها من هداية وإيمان وسعادة في الدارين أممي من منافع الدنيا وزخرفها (ورحمة ربك خير مما يجمعون) فالدنيا هينة على الله ، وقد جعل لمعيشتها طريقاً تعجز الخلائق عن تغييرها . وأمر الوحي والنبوة والرسالة عظيم عنده تبارك وتعالى ، إذ يجلي به للانسانية الحقائق الالهية من يهديهم الى الشرائع الربانية . فالوحي أجدر بأن يختار الله له داعياً من خيرة الأنفوس (الله يصطفى من الملائكة رسلاً ومن الناس ، ان الله مسمع بصير) (١) ، فكيف يجعل لأحد من خلقه أثراً في توجيه الوحي أو التحكم فيه ؟؟؟

ومن أكرمه الله بالجاه وسعة الرزق وغمره بألوان بره وجب عليه أن يكون أكثر انصياعاً لحكم الله واهتداءً بهدى رسل الله وأبعد عن التحكم والعناد والعصيان .

تلك آيات بينات ، أكدت ان الوحي أمر الهي محض ، لا أثر لسعي المرء في كسبه أو دفعه . وبالتالي فإن النبوة إلزامية غير كسبية ، فلا يناها الانسان بالجهد الفكري أو الترتي الروحي والأخلاقي . ولا عبرة في حصولها للقيم الدنيوية والاعتبارات المادية ، فإن الله جلت عظمته قد اختص بالنبوة من شاء وفي الوقت الذي شاء حسب مشيئته وحكمته وعلمه ورحمته (والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم) (٢) .

(١) سورة الحج : ٧٥ وانظر روح المعاني ج ١٧ ص ١٨٧ - ١٨٨ .

(٢) سورة البقرة : ١٠٥ . وانظر مفاتيح الغيب للرازي ج ٢٨ ص ٢٠٩ - ٢١٠ .

وروح المعاني ج ٢٥ ص ٧٢ - وتفسير ابن كثير ج ٤ ص ١٢٦ - ١٢٧ .

٥ - قوة يقين النبي بالوحي :

يجب أن نضيف إلى معارفنا عن الوحي رأي الذات الحمديّة نفسها فيه . ولا بد لنا في سبيل ذلك من عودة الذاكرة إلى أوصاف هذه الذات . فانها أخلاقية رفيعة ، تنعم بقدر عظيم من الفطنة ورجاحة العقل ، ذات منزهة عن الصغائر والسفاسف ، لا ترقى إليها الظنون وقد سبق الحديث عنها . ثم لننظر علام استقر رأي هذه الذات ؟؟؟ وهل تمت قناعتها اعتباطاً أم باستخدام كامل الطاقة الفكرية ؟؟؟

انطلق فكر محمد ﷺ في دراسة ظاهرة الوحي إلى غايتها تدريجياً ، غرّوى بذلك نزوع عقله الراجح ، ولبّى رغبته الملحة في الوصول إلى اليقين في هذه الظاهرة . لقد جاءه الملك في غار حراء فجأة يأمره بفعل ما لا يقدر عليه (اقرأ) ثم هو يفضّله ويرسله !! أمر فجائي إلزامي خارج عن ذاته ، بعيد كل البعد عن سوانح فكره . راح بحال مضطربة ... فناجى خديجة بالذي جرى ، وعبر عن عمق تأثره بقوله « لقد خشيت على نفسي ! » أصدر قوله هذا بداهة ، فجاء اقراراً عفواً دالاً على حقيقة أمره . حدث عجب لم يعرفه ولم تعرفه خديجة آثار في نفسه التساؤل . فانطلق معها إلى ورقة ... ثم فتر الوحي . . . ويلوح له الملك على كرسي بين السماء والأرض . . . حدث لم يخطر من قبل ياله ! ! يفزع إلى التدنّس والتزمل بعداً عنه فيوافيه على الرغم من إرادته ... أدّى كل ذلك على تنشئة يقينه بالوحي وغوه وتعاظمه . وكانت كل حالة أحوال الملك شاهد جديد له على حقيقة الوحي واستقلاله عن ذاته ؛ وشاهد على صدوره عن الذات الإلهية العلية . لقد استقر به مطاف التعجب والاستفسار إلى هذه القناعة الذاتية القاطعة ، وتتوالى عليها الأيام وأحداث الوحي فما تريدها إلا قوة ورسوخاً .

٦ - معارف الوحي فوق مطامح الذات الانسانية :

في بيئة الجهالة القائمة بعث الله محمداً عليه الصلاة والسلام . فجاء قومَه بمقائد وأحكام تنافي ما أقاموا عليه من وثنية وتقاليد عفنة ننته . وقاوم عقائد القوم بجمدة وصلابة حتى أزعجهم وأقلقهم . هذا نهج لا ينصرف إليه ذهن متزعم ، وإنما يجيء الوحي به إلى النبي ويأمره بالتزامه ، على الرغم مما يلقي من عنت القوم . عرف ورقة بن نوفل هذه الحقيقة فأعلم بها محمداً عليه الصلاة والسلام بقوله : « . . . إذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ ، فقال : أو مُخْرِجِيَّ هُم !! قال : نعم ! لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي . . » وهام زعماء الشرك قد مشوا إلى أبي طالب عم رسول الله فقالوا : « يا أبا طالب إن ابن أخيك قد سبَّ آلهتنا ، وعاب ديننا ، وسفه أحلامنا ، وضلل آباءنا ، فاما أن تكفه عنا وإما أن نتخلى بيننا وبينه . . » وإذ لم يكف عن دعوته عادوا إلى أبي طالب يتذرون ثانية حتى قالوا : « . . . وإنا والله لا نصبر على هذا من شتم آبائنا وتسفيه أحلامنا وعيب آلهتنا حتى تكفه عنا أو ننازله وإياك حتى يهلك أحد الفريقين ... » (١) .

فالوحي يلقي إلى النبي عقيدة متميزة ليناھض بها العقيدة الشعبية السائدة ويغير القيم والمفاهيم ويقلب الأوضاع . وهذا أمر لا تستحسنه الذات الانسانية ولا تسمى إليه إن تعلقت بزعامة أو حرصت على جاه .

قال الاستاذ مالك بن نبي : (ويتميز النبي الموحى إليه عن منافسه المحترف بمقاومته العنيفة ضد الألوهية القومية التي صارت لب العقيدة الشعبية ،

جميع الاتجاهات الخلقية للنبي الموحى إليه قائمة على أساس الفكرة المتسلطة اللازمة : فكرة إله واحد عالم ، يريد النبي أن يثبت فرائضه الخاصة في شعائر قومه (١) .

وسمي الوحي وتنازع نزوله بالقرآن . فتزاحمت في وعي الرسول الأمين حقائق إلهية ودينية وتاريخية وكونية واجتماعية لم يخط منها قبل شيئاً في لوحة إدراكه وذاكرته . فكانت خارجة عن إطار ذاته بل عن معلومات عصره أيضاً . اشتمل القرآن على عقيدة الوحدانية الصحيحة ودلائلها ؛ وعلى أركان العقيدة الاسلامية العظيمة ؛ ثم على أحكام الشريعة الفراء ؛ وعلى حقائق من التاريخ محصية ؛ تصحح ما ورد في الكتب السماوية الأخرى من زيف وتشويه ، وعلى أخبار غيبية مستقبله صدقتها وقائع الدهر ؛ وعلى وعود أنجزها الله لعباده ... وغير ذلك من أوجه إعجاز القرآن الكريم (٢) وكل ذلك أفكار منتظمة في أسلوب منطقي يسهل استيعابه . وإن دراسة هذه الأفكار وصلة بعضها ببعض ، ما تقدم في النزول منها وما تأخر ، لتبرهن على خروجها عن نطاق فعالية الذات المحمدية وعبقريتها . وإن هذه المعلومات والأفكار والأحكام خارجة أيضاً عن حدود الفكر الانساني عامة في العصر المحمدي ، بل يستحيل أن ينشئها أي فكر إنساني على كسر الدهور ومر العصور . ويكشف ذلك بدون أدنى ريب عن صدورهما عن قدرة إلهية خلاقة منظمة (٣) .

(١) الظاهرة القرآنية ص ٩٧ .

(٢) انظر أوجه إعجاز القرآن في الكتاب الثاني « بينات المعجزة الخالدة » .

(٣) فارن بالظاهرة القرآنية ص ٢١٣ .

لقد طرأت معارف الوحي على رسول الله ﷺ ، إذ لم تشغل
فكر رسول الله ﷺ من قبل في قليل أو كثير . وجاءت متجاوزة
نطاق أبحاث الذات الانسانية فصار مستحيلاً اعتبارها من المعارف
الشخصية في شيء . ووجب التسليم بأنها معارف تلقائية مطلقة لمواضيع
لا يتوصل الفكر وحده إلى شيء حقيقي فيها . فجعلت بذلك ثقة التي
بها مطلقة و يقينه برانيتها كاملاً . وقذفت في أفئدة العقلاء حوله يقيناً
قاطعاً بصحة الدعوة وإلهية الرسالة .

الفصل الثاني

كشف تخرصات المشركين والمستشرقين حول الوحي

أولاً : زعمهم أن الرسول تلقى دعوته من بعض الناس

- من بحيرى الراهب
- من بعض رجال الدين النصارى في الشام
- من ورقة بن نوفل
- من فقي أعجمي رومي رقيق

ثانياً : توهمهم أن القرآن من إنتاجه الذاتي :

- رد مزاعم جولد تسهر ودرمنغام
- رد مزاعم للمشركين .

من أين جاء محمد بهذا الدين؟؟ بحث ونقاش .. وتساؤل على ألسن المعاصرين والأقدمين . لقد أعلن محمد ﷺ الحرب الفكرية على عقيدة قومه منذ اللحظة الأولى لدعوته ، فحضهم على نبذ الاوثان وإلغراض عن الخرافات والتقليد الأعمى للأباء والكبراء . ودعاهم الى الايمان بالله وحده والاستعداد ليوم الحساب . ونادى بتغيير أوضاع الحياة الانسانية جذرياً ، وجاء بتعاليم كفيفة بتحقيق هذا الغرض في أعلى مستوى . فالشريعة الاسلامية عالجت المشكلات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والنفسية ، وأرست قواعد النظام والمثل الأخلاقية العالية . وعمدة هذه الشريعة كتاب الله تعالى القرآن الكريم ، يفصل بمجمله وبين تطبيقه حديث محمد ﷺ . والقرآن - هذا - ذو أسلوب عال رفيع تضمن : بالإضافة الى احكام الشريعة التي فوهنا عنها ؛ أخباراً عن الأمم الفائرة وعن رسلها عليهم السلام ، وأنباء بأخبار أخرى عن حوادث مستقبلية ستحصل بعد نزوله . كما اشتمل القرآن على معارف كونية علمية هامة ، كان الناس عنها في غفلة تامة ، اذ الكشف عنها خارج عن دائرة امكاناتهم وفوق مستواهم العقلي والعلمي آنسذ . فذكرها القرآن واضحة جلية . وجاء العلم الحديث يقيم على صحتها البراهين تلو البراهين .

والحديث النبوي نفسه يشتمل على أمور غيبية وتشريعية وخلقية .. لقد اتخذ الناس من محمد ومما جاء به مواقف شتى . وما انفك كثيرون يتساءلون : من أين جاء محمد بهذا العلم كله عقيدة وشريعة ؟ والعقل الانساني حين يتساءل عن مصدر هذا الدين ، لا بد أن يحيل الطرف في افتراضات أساسية ثلاث : إما أن يكون اقتبسها محمد من بعض بني جنسه ، وإما أن يكون وليد تفكيره العميق ونبوغه الشخصي ، وإما أن يتنزل عليه من العزيز الحكيم رب السموات والارضين .

وها أنت ذا تخوض معنا غمار البحث من جوانبه الثلاث :

أولاً : زعمهم أن الرسول تلقى دعوة من بعض الناس :

هل اتصل محمد بأحد من أهل العلم اتصالاً مديداً وثيقاً يتيح له فرصة الأخذ عنه . . ؟

لقد زعم بعض المستشرقين وأذئابهم أن محمداً تلقى من الراهب بحيرى ،
ويزعمون أنه تعلم من رهبان الشام أو من ورقة بن نوفل . ويزعمون كما
زعم الجاهليون قبل أنه أخذ من حداد رومي كان مقياً بمكة .

١ - طبيعة لقاء بحيرى :

فاذا تقبنا بطون التاريخ الوثيقة ؛ وجدنا ابن هشام صاحب السيرة
يفصل قصة بحيرى ، ونسوق تبيانها فيما يلي :

تكفل أبو طالب ابن أخيه محمداً بعد وفاة جده عبدالمطلب في الثامنة
من عمره - كما تعلم - وفي حادثة محمد تهاً أبو طالب للرحيل في ركب
الى الشام تاجراً . فاشتد ميل محمد الى صحبة عمه فتعلق به فاصطحبه معه .
فلما نزل الركب بصرى من أرض الشام وبها راهب ؛ يقال له بحيرى في
صومعة له . وكان اليه علم أهل النصرانية . فلما نزلوا قريباً من صومعته ،
رأى غمامة تظال محمداً من بين الركب . فأرسل اليهم فدعاهم لتناول طعامه
صغاراً وكباراً فأعلمه أحدهم دهشته لصنيعه هذا . وقد كانوا قبل يرون
به كثيراً فلا يعبأ بهم . فلما حضروا اليه نظر فيهم فلم ير بعيتة ، فقال :
يا معشر قريش لا يتخلفن أحد منكم عن طعامي . قالوا له : يا بحيرى
ما تخلف عنك أحد ينبغي له أن يأتيك إلا غلام ، وهو أحدث القوم
سناً فتخلف في رحلهم . فقال : لا تفعلوا ادعوه فليحضر هذا الطعام

معمكم . فقال أحدهم : إن كان للؤم بنا ان يتخلف ابن عبد الله بن عبدالمطلب من بيننا . ثم قام اليه فاحتضنه وأجلسه مع القوم .

فلما رآه بحيرى جمل يلحظه لحظاً شديداً ، وينظر إلى أشياء من جسده ، وقد كان يجدها عنده من صفته . وبعد الطعام سأله بحيرى بحق اللات والعزى أن يحبيه عن بعض أسئلته - وقد رأى العرب يتساءلون بحقها - فأعلن الرسول بفضه لها . فسأله بالله عن أشياء من أموره ، فأجابه محمد ﷺ ، فظهر على بحيرى علائم ان ذاك موافق لما عنده . ثم نظر إلى ظهره فرأى خاتم النبوة بين كتفيه ، فقال لعمه : ما هذا الغلام منك . فقال : ابني . فقال بحيرى : ما هو بابنك وما ينبغي لهذا الغلام أن يكون أبوه حياً . قال : فانه ابن أخي . قال : فما فعل أبوه ؟ قال : مات وأمه حبلى به . قال : صدقت ، فارجع بابن أخيك إلى بلده واحذر عليه يهود . فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ماعرفت ليغنه شراً . فانه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم ، فأسرع به إلى بلاده . فخرج به عمه أبو طالب سريماً حتى أقدمه مكة حين فرغ من تجارته بالشام .

وها أنت ذا ترى أن اللقاء بين محمد وبين بحيرى كان يسيراً وأن قوماً من العرب حاضرون . ومحمد حدث لم يبلغ مبلغ الرجال ، فقد استخلفه القوم على متاعهم لصغر سنه . فقد ذكر بعض رواة السيرة انه كان ابن تسع سنين وروى آخرون أنه كان في الثانية عشر من العمر . فأنى لمحمد في تلك السن أن يستوعب أمور النبوة العظام . . ؟ وأين الوقت أقل الوقت اللازم للتعلم والاستحفاظ ؟ بل ليس في القصة أي ذكر لأمور دينية . ولو تذاكرا هذه الأمور لتثبت بذلك مشركو قریش

قديماً قبل الحاقدين المتخلفين من متعصي الصليبية الطائشة ، أمثال درمنغام ورينيه وغيرهما (١) .

٢ - رحلتان إلى الشام يسيران :

وقد زعم هذان وغيرهما أن محمداً استفاد من رحلاته إلى الشام . وهو زعم كاذب فانه ليس لمحمد إلا الرحلة المذكورة آنفاً . ورحلته في الخامسة والعشرين من العمر إلى الشام حيث ذهب تاجراً بأموال خديجة بنت خويلد يصحبه غلامها ميسرة . وليس في هذه الرحلة لقاء رجال الدين أو غيرهم من أهل العلم . وقد زعم درمنغام أن محمداً مرةً مع القافلة بدين وهي بلدة في سيناء فأخذ عن رجالها العلم (٢) . بينما تعلم أن القوافل لم تكن تمر في طريقها إلى الشام بسيناء . ولم يجاوز الرسول في كتابته رحلته سوق مدينة بصرى ، لانجاز المهام التجارية بصحبة من كانوا معه . ولو تلقى عن أحد حينئذ لنقل ذلك إلينا نظراً لطبيعة سير القوافل وملازمة الاصحاب في القرية . ولو تعلم شيئاً - كما توهموا - لظهر أثره في كلامه وحياته آنياً في الخامسة والعشرين من عمره لا في الأربعين .. فان خمس عشرة سنة كفيلة باخماد جذوة حماسته ، حتى تطوي أمواج النسيان تلك المعلومات اليسيرة التي زعموا واهين أنه تلقاها عرضاً في طريقه .

وعلى الرغم من تفشي الوثنية والجهل والأمية في الجزيرة العربية ومعرفة المستشرقين وتسليمهم بهذه الحقيقة ، فانهم لا يمتنعون عن زعم

(١) نسب اليها تبني هذا الزعم وغيره السيد محمد رشيد رضا في كتابه الوحي المحمدي ص ٧١ وما بعدها طبعة خامسة سنة ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٥ م محمد علي صبيح وأولاده بمصر . (٢) الوحي المحمدي ص ٧٣ - ٧٤ .

انتشار النصرانية في عرب الجزيرة وأن محمداً أفاد من هذا ؟ ويستدلون لذلك بتنصر بعض فصحاء العرب ويعنون بذلك قس بن ساعدة الأيادي ، وأمية بن أبي الصلت . والتاريخ يحدثنا أن قساً قد مات قبل البعثة ، ولم يكن بينه وبين الرسول مخالطة أو مباحثة ، وأما أمية فلم يلق الرسول قبل البعثة ولا بعدها أيضاً .

٣ - ورقة يستطلع نبأ محمد ﷺ :

ومن مزاعم أميل درمنغام وبعض المستشرقين أن الرسول تلقى عن ورقة بن نوفل وهو من متقي العبرية المطلعين على النصرانية جيداً . وتحدثنا كتب الحديث الصحاح عن لقاء تم بين محمد ﷺ وبين ورقة بمد أن بلغ من الكبر عتياً فعمي وذلك حين تنزل على محمد ملك الوحي في غار حراء . وقد حملت محمداً زوجه خديجة على لقيا ورقة ، ليستفسر عن حقيقة هذا الذي دخل عليه الغار بتلك الطريقة المهيبة ، فقال له ورقة : هذا الناموس الذي نزل الله على موسى ، ليتني فيها جذعاً ، ليتني أكون حياً اذ يخرجك قومك ، فقال رسول الله ﷺ : أو مخرجي هم ، قال : نعم لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به الا عودي ، وإن يدركني يومك أنصرك نصرأ مؤزرأ ، ثم لم ينشب ورقة أن توفي وفتر الوحي^(١).

لقد استقصى المحدثون والمؤرخون كل ما عرف عن ورقة مما له سند صحيح وما ليس له سند صحيح ، فلم نعث في روايتهم على ما يشير أن ورقة كان داعية الى النصرانية . فهذا اللقاء انما تم في زمن متأخر بعد مجيء ملك الوحي المرة الأولى واستنارته عجب الرسول واستفساره .

(١) أخرجه البخاري وقد ذكرناه قبل بتمامه ض ١٨٥ - ١٨٨ .

وقد حضرت خديجة هذا اللقاء وشهدته . ولا ينب عن بالك أنها المرأة الشهيرة بفظنتها ورزاتها ورجاحة عقلها .

وها أنت ذا تجد أن ورقة يقف مستظلاً نبأ ما حصل لمحمد . ثم يعلن أن هذا مطابق لما عنده من صفات ملك الوحي الذي أنزله الله على موسى . وأن هذه الصفة هي صفة ملك الوحي يبين لا اختلاف فيها بين أصحاب الديانات السماوية يهوداً ونصارى .

لقد أعرب ورقة ببيانه ذاك عن يقينه التام الوطيد بنبوة محمد ﷺ واتباعه له .

فأين هو التعليم والتلقي .. ؟ وإنما كان ورقة مستظلاً مستفهماً كشأن الراهب بحيري تماماً . زد على ذلك أنه أنباء أن قومه سيكافؤنه على الهداية بالأذى والعداء ، حاله معهم كحال الرسل قبله مع أقوامهم . ويندفع ورقة على كبر سنه بالتطوع للتضحية والمناصرة رداً للكافرين . أرايت لو كان ورقة مصدر معارف محمد ، أكان يقف منه موقف التابع المؤيد المناصر .. ؟ !

وها هو ذا ورقة يموت (١) فمن أين لمحمد - بعده - تلك العلوم يتلو بعضها بعضاً أكثر من عشرين سنة .. ؟

٤ - الرقيق الرومي الجاهل :

واتهم المشركون رسول الله بالتلقي من فتى أعجمي رومي رقيق

(١) وأما الرواية التي نصت على أنه عاش حتى شاهد بلالا يعذب في الرمضاء ، فهي رواية شاذة لأن مقتضاها أنه عاش بعد البشة أكثر من ثلاث سنين . وهذا يخالف لرواية عائشة في الصحيحين ، لذلك اعتبرناها شاذة .

لبعضهم . وتضاربت الروايات كثيراً في تحديد اسمه (١) . وكان يعمل بمكة حداداً يصنع السيوف ، وقيل انه كان يباعاً عند الصفا . ويظن أنه قد عرف شيئاً من التوراة والانجيل من أهل بلاده . فردعهم الله بحجة قاصمة قال تعالى : (قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين . ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر ، لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين) (٢) .

لقد أنزل الله القرآن عربياً في أعلى درجات الفصاحة والبلاغة بعمان أكمل من معاني أي كتاب سماوي آخر . والعجيب مع هذا أن أعداء الرسول يميلون إلى نسبته إلى رجل أعجمي .. فكيف يتعلم من جاء بهذا الكتاب العربي الفصيح المعجز من رجل أعجمي ألكن ..؟

وهذا - فيما يبدو لنا - تحدٍ قوي بليغ بأسلوب القرآن البياني . وقد عجز العرب عن مثله عجزاً فاضحاً لا يُستر . والقرآن إلى جانب ذلك معجز باحتوائه تلك العلوم الكثيرة الفائقة الكمال ، التي لا نظير لها في كتاب غيره ، ولا يعلمها أحد من الناس .

فمن أين للبشرية ذلك العلم قبل بعثة محمد ﷺ ؟

وكيف يتعلم محمد جميع ذلك من غلام أعجمي سوقي جاهل ...؟
ألم يبلغك أن العلم في ظل النظامين الروماني والفارسي كان حكراً بيد طبقة خاصة لا تشم العامة رائحته . فأنى لذلك الرومي الشريد تلك

(١) وزعم بعضهم انه سلمان الفارسي . وهو خطأ لانه أسلم بالمدينة وهذه الآية نزلت بمكة قبل أن يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٢) سورة النحل : ١٠٢ - ١٠٣ انظر روح المعاني ج ١٤ ص ٢١٣ وابن كثير ج ٢ ص ٥٨٦ .

العلوم التي تبذل علوم الأولين والآخرين ؟ كان غلاماً حداداً أو بائناً منهمكاً في مهنته غارقاً في توافه الحياة ، لم يعرف مناهل العلم في قایل أو كثير ، عامي القلب والفكر ، أعجمي اللسان ، لا يعلم الكتاب إلا أماني ، فنسبوا اليه ما نسبوا زاعمين أن العلم يقتبس من الجهل . وكفاهم بهذا عاراً واقتضاحاً .. !! ويمكنك أن ترد كافة النقولات السابقة بأدلة النقض الخاصة بكل زعم كما ذكرنا ، وأن تدعم كل رد بذكر الأدلة العامة التي تثبت أن القرآن وحي من الله تعالى ؛ كاستدلال بأسلوب القرآن البياني المميز وبثلك العلوم القرآنية الجليلة ... من معالم العقيدة والشريعة والاخبار عن الغيب الماضي والمستقبل ، وما إلى ذلك من وجوه اعجاز القرآن الأخرى التي سنينها بعد ان شاء الله تعالى .

ولعلك تدرك من اتهام العرب الرسول بالتلقي عن رومي ؛ أنهم يعرفون تماماً انه ليس فيهم أحد يمكن أن ينسب اليه هذا العلم ، لا ورقة ابن نوفل ولا غيره . لقد فقدوا أساس هذا العلم في أنفسهم حتى كانت الجاهلية طابهم وصمتهم . فكيف يتصدرون فيه مجلس التعليم لغيرهم ، بل التعليم لمن وصمهم كتابه بالجهل مراراً ؟

فإن دفع الوهم أحداً إلى القول : يُحتمل أن يأخذ محمد من الرومي العلم ثم يصوغه بلسانه العربي الفصيح !

قلنا : أولاً - إن الذي جاء به القرآن ؛ من اعجاز بياني وعلوم وغيبات وتنبؤات صدقها الواقع ؛ فوق علم الخلائق ويتجاوز حدود معارفهم وأفكارهم .

ثانياً - ان الرومي جاهل ، كما أثبتنا ، ولو كان هذا الغلام - وهو عبد مملوك لهم - يصلح أن يكون مرجعاً علمياً - كما زعموا - فما الذي

منعهم - وهم أصحاب الغنى والفوذ - أن يأخذوا عنه ، أو عن نظرائه في بقعة أخرى ، ليصوغ أرباب البيان منهم ما تلقوه بأسلوب يعارض القرآن ، فيداوون صاحبهم من جنس دائه ويرتاحون من عنائه .. ؟

ثالثاً - وما منع ذلك الفـلام نفسه أن يستعين بفصحائهم ويقوم بتلك الدعوة ويمسك بزمام القيادة بذاته ؟ (١) .

ولو كان لمحمد اقتباس من الرومي أو غيره لروي لنا التاريخ نبأ صلته الوثيقة به أكثر من صلته بأبي بكر وعمر . لان طبيعة التلقي والمباحثة تتطلب ذلك ، ولأن الولاء واطهار المودة الدائمة في تلك الحال أساس لا بد منه لتفادي غيظ الملحق وحسده وحقدته ، لئلا يؤدي ذلك إلى كشف الأمر واقتضاحه . ولما كان مسلك رسول الله ﷺ منزهاً عن ذلك فقد ظهر صدقه وثبتت نبوته .

وعماد هذه المناقشة - عندي - مسألتان :

أولاهما - أن الرسول ﷺ لم يتلق عن أحد من العلماء قبل النبوة ولا بعدها . وأن الذين لقيهم لم يتصل بهم صلة تمكنه من التلقي الوفير المجدي . بل انه لم يسمع ممن لقيهم قبل النبوة شيئاً من هذه الأحاديث البتة . وأما الذين التقى بهم بعد النبوة وسمع منهم وسمعوا منه كوفد نصاري نجران وبعض اليهود كعبد الله بن سلام . فقد التقوا به في المدينة - بعد ثلاث عشرة سنة من حمله أعباء الدعوة - ولم يكن منهم إلا أن سألوه وأخذوا عنه وآمنوا به ، فكان عليه السلام معلماً لهم

(١) قارن بالنبا العظيم ص ٥٥ - ٥٦ دكتور محمد عبد الله دراز . م السعادة

وواعظاً ومنذراً ومبشراً . أضف إلى ذلك أن كل لقاء لم يكن سرّاً مكتوماً بل كان علناً مشهوداً .

ثانيتها - أن تقرر هل الذي جاء به محمد ﷺ نظير ما كان عندهم أم لا ؟ لاشك أن البون بين مافي الكتاب المقدس وبين القرآن شاسع . وأن الفرق بين ظاهر ، وسنين ذلك فيما بعد باذن الله (١) .

لقد رأيت مما سبق أن المستشرقين الذين يخادعون الناس بدعوى الموضوعية والحياد في البحث لم يجاوزوا كلام المشركين قديماً قيد أنملة . بل لا كوه بألسنتهم بمأجة فاحشة وأعادوه مكرراً يتافسوت البيغوات في بلايتها .

فان محاولتهم طعن القرآن بتلك الخرافات الركيكة دليل على احساسهم بقصورهم وعجزهم عن النيل منه . لذلك زعموا أن مصدر العلم هو الجهل . فقد راموا اجتماع اليوم والامس واستواء السها والشمس .

فدعهم يزعمون الصبح ليلاً ★ أيعمى الناظرون عن الضياء ؟

ثانياً : نوههم أن القرآن من انتاج الزاني

ذهب المستشرقون وملاحدة العصر إلى رأي جديد - في نظرهم - فهم يرون أن محمداً صادق عاش حياة مستقيمة شريفة عفيفة . زهد في الدنيا واستعلى على مطامعها وشهواتها . ورأى الناس في فساد، ورأى نفسه قد علم ما لم يعلموا ، وأدرك ما قصرت نفوسهم عن ادراكه، فخيّل اليه أنه مرسل اليهم من الله تعالى لاصلاحهم قال المستشرق اليهودي المجري (جولد تسيهر) :

(١) في الكتاب الثاني « بينات المعجزة الخالدة » .

(ففي مكة كان « أي محمد » يشعر أنه في يتم برسالته سلسلة رسل التوراة، وأن لهذا عليه مثل ؛ أولئك الرسل ؛ أن يقوم بإنذار أمثاله في الانسانية وانقاذهم من الضلال) .

ثم قال : (ففي العصر المكي جاءت المواعظ التي قدم فيها محمد الصور التي أوحىها اليه حميته الملتبة في شكل وهمي خيالي حاد تلقائي ذاتي ... بل يُظهر لمجوع معارضيه ومناقضيه العقيدة السائدة في نفسه ؛ عن قوة الله خالق العالم وربّه وسلطانة غير المحدود ؛ وعن اقتراب يوم الحساب الذي يتمثله ويره في الرؤى الوحشية فينتزعه من راحته انتزاعاً) .

ثم يعمم حكمه على الرسل جميعاً فيزعم أن (الرسالة التي يأتون بها بدافع ادراكهم المباشر ؛ وكذلك المعارف الدينية التي يوقظونها) (١) .

وإلى مثل هذه المزاعم ذهب درمنغام ، فرأى ان محمداً كان مستاء من أوضاع قومه وأصنامهم وخرافاتهم ، وأنه اطلع على النصرانية واليهودية، وعرف أن الله يبعث للاقوام كلما ضلوا رسولاً ينقذهم ، ثم قال : (ووجد في وحدة غار حراء مسرة تزداد كل يوم عمقاً ، وجعل يقضي الاسابيع ومعه قليل من الزاد ، وروحه تزداد بالصوم والسير والادمان على قلبه فكرته صقلاً وحدة ، ونبي الليل والنهار والحلم واليقظة . . وجعل يقضي الساعات الطوال جاثياً في الغار أو مستلقياً في الشمس أو سائراً بخطوات واسعة في طرق الصحراء الحجرية . وكأنه يسمع الأصوات تخرج من خلال أحجارها تناديه مؤمنة برسالته ، وقضى ستة أشهر في هذه الحال حتى خشي على نفسه عاقبة أمره . . وفيما هو يوماً نائم في الغار جاءه ملك

(١) انظر العقيدة والشرعة لجولد تسهر معرب ص ١٩ و ٢١ و ٧٧ طبعة ثانية دار

فقال اقرأ .. (١) .

نبدأ المناقشة بتمحيص الاقوال الواردة ، لنعرف هل هي صحيحة
نقلاً وعقلاً ؟ أم هي باطلة نقلاً مرفوضة عقلاً ؟

تمال معي نثقب بطون كتب الحديث ؛ بل السيرة والتاريخ أيضاً ؛
لترى هل ورد فيها شيء من تلك الحوادث التي زعمها هذا الرجل .

صحة نفسية وعصبية وافرة مدى العمر :

ستجد أن الرسول قد خلا بنفسه في غار حراء يتعبد كما ورد في
الأحاديث الثابتة في الصحيحين ، لكنك بعد أن تجوب بنظرك آفاق
المراجع لترى هل نسى محمد الليل والنهار والحلم واليقظة وقضى الساعات
الطوال جاثياً في الغار أو مستلقياً في الشمس وأنه بقي ستة أشهر كذلك .
لو فتشت عن مثل هذا لارتد اليك طرفك خائباً يائساً ، ولقدفت أمواج
فؤادك ذلك الغناء الذي قاءته عقلية الرجل الفرنسي (درمنغام) أو غيره
دون أن يأبه ما إذا كان لادعائه بعض الصلة بالحقيقة أم لا ..! لقد استفرغ
جهدك ليجبك للناس أسطورة توهمهم ان محمداً قد خارت - في الغار -
قواه العقلية والعصبية والنفسية ، وسيطرت عليه الهواجس والخيالات
والاوهام نحواً من ستة أشهر - حسب زعمه - فأدخل ذلك في روعه
أنه غدا رسولاً من الله . ولكن الذي يقع فريسة تلك الحال المرضية
المزعومة ، لا يعقل أن يصدر عنه الحديث عن الالهيات والنبوات في
أسمى صورها ولا التشريعات الناجعة لأعنى مشاكل الحياة . ولا ذلك
الذكر الحكيم بأسلوبه الأخاذ البليغ المعجز .. فأين يذهبون ؟

(١) الوحي المحمدي رشيد رضا ص ٨١ طبعة خامسة - مطبعة صبيح وأولاده .

لذلك فما عليك إلا أن تضرب عن مزاعمهم صفحاً . فهي زائفة باطلة نقلاً . وارن^١ بفؤادك وعقلك إلى أصح ما ورد بهذا الصدد وهو ما رواه البخاري ومسلم وقد ذكرنا لفظ البخاري في مطلع هذا الباب .
وعليك أن تنبه دائماً إلى أن المستشرقين يشوهون الأقوال والحوادث أو يمتثلقونها ، ثم يقدمون مزاعمهم تلك على أنها وثائق علمية لا جدال فيها ؛ مع أنها مفتراة لاصحة لها ، فلا يتقبلها أحد إلا الجهلة والسفهاء (١) .

الجنون والعبقرية لا يجتمعان :

ومضى المستشرقون يُقلِّبون الرأي ، فزعموا أن محمداً رجل عبقرى ازدادت أفكاره حدة وصقلاً بعمرته .

فإذا كان الحديث عن العقيدة والتشريع صادراً عن نبوغه ، فلماذا لم يحدث الناس عن شيء من ذلك طيلة الأربعين سنة السالفة من عمره...؟ ولماذا لم ينقل لنا التاريخ عنه أنه قد أبدى بعض أفكاره الإصلاحية لقومه قبل .. ؟

والحقيقة أن محمداً لم يستشرف النبوة ، ولم يتطلع إليها ، ولم يطمح ذات يوم فيها . فهل حديثه بهذا الأمر الجلل الخطير مرة واحدة دون تهديد دليل على صدوره عن فكره اللامع ، أم هو دليل على أن شيئاً لم يكن له عهد به ، قد جاءه وأمر بتبليغه ، وأنه ليس إلا وحياً أوحاه الله إليه !! ؟

لقد حار المستشرقون في نبوة محمد ﷺ حيرة الجاهليين ، أينسبون القرآن والوحي إلى غيره فيزعمون بأنه تلقفه من هنا وهناك

(١) وقد كشفت ذلك في فصول من رسالة الماجستير (الاحرف السبعة في القرآن ..) .

- كما رأيت مزعمهم قبل - أم يردوه الى ذات محمد وشخصه فيزعمون أن ما جاء به نتاج الفكر العميق والمشاعر المرفهة . فهو شاعر أو كاهن (فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون . انه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر قليلاً ما تؤمنون ولا بقول كاهن قليلاً ما تذكرون . تنزيل من رب العالمين) (١) .

وكما زعم (برمنغام) ان محمداً قد قلب افكاره حتى زادها حدة وصقلاً ، زعم (تسهر) أن رسالات الرسل انما هي حصيلة ادراكهم المباشر ومعارفهم الدينية التي حفظوها حين أعملها الناس وغفلوا عنها .

ما الرسول - في نظرهم - إلا متعلم مفكر . فأى فرق بينهم وبين الجاهليين في هذه المسألة ؟ ويصورون الرسول الى جانب كونه متعلماً مفكراً إنه رجل الرؤى والأوهام والخيالات التي ملكت عليه نفسه فصورت له يوم الحساب وانتزعت من راحته انتزاعاً وصورت له قدرة الله وحكمته حتى توهم بأنه يتلقى خطاب ملك الوحي فيبلغه بأنه رسول الله . . فهذا هو الوحي النفسي . .

لو أعملت ذهنك بتجرد أتحكم على رجل تتراءى له الأخيصة وتدخل نفسه الأوهام أنه انسان عاقل . ؟ أم تحكم بأن في عقله لوثة ان لم تقل إنه مجنون . . ؟

كذلك قال المستشرقون كقول المشركين قبلهم . . تشابهت قلوبهم المريضة ونفوسهم المتجبرة . فزعموا ؛ تخلصاً من الحقيقة ؛ اجتماع عمق الفكر وقوة الذهن مع الجنون والخيال في امرئ واحد (أنى لهم الذكرى وقد جاءهم رسول مبين ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون . . ؟) (٢)

(١) سورة الحاقة : ٣٨ - ٤٢ . (٢) سورة النخان : ١٤ .

ولو نظرت في الشريعة الاسلامية وما فيها من حكم ومواعظ وأحكام
تشريعية سامية وأخلاق رفيعة لأثار فيك ذلك تساؤلاً : هل يصدر كل
ذلك التعقل والحكمة عن الجنون واختلال المشاعر . . ؟ ومتى كان الجنون
منبع الحكمة ؟ والفساد مصدر الخير ؟

ثم انظر في سيرة سيد الخلق محمد ﷺ . هل تراه كان مبتلى
بالفظة والبلاهة فيتراعى له ما يتراعى . . ؟ أم تراه بنى مجتمعاً قوياً على
دعائم وطيدة ، وقاد معارك النصر والظفر ، وأسس دولة على أسس منيعة
منحتها قوة للتوسع بعده من جبال الصين شرقاً الى حدود فرنسا غرباً ؟
ان محمداً وكافة الرسل قبله ، قد اشتهروا بالتعقل والنباهة والفظنة قبل
النبوّة وبعدها . يعترف لهم بهذا أتباعهم وأعداؤهم على السواء .

وهنا نتيقن أن مثله في نباهته ويقظته وذكائه لا تحتلط عليه
الامور ولا تغلبه الأوهام والمواجس .

مشكلة دعوى المستشرقين في الوحي النفسي دعوى المشركين :

ولعلك يلج بك العقل فيأبى التسليم بأن دعوى المستشرقين في الوحي
النفسي مشكلة اتهام المشركين الرسول بالجنون .

فإليك ما زعمته قريش على لسان عتبة بن ربيعة مرة وعلى لسان
جماعة منهم مرة أخرى . ها هو سيد من قريش : عتبة بن ربيعة . يتوسط بين
رسول الله وبينهم لاصلاح ذات البين . فيعرض عليه أموراً لعله يقبل بعضها ،
فيقول : يا ابن أخي إن كنت انما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالاً
جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً ، وإن كنت انما تريد به
شرفاً سوّدناك علينا حتى لا تقطع أمراً دونك ، وإن كنت تريد به ملكاً
ملكناك علينا ، وإن كان هذا الذي يأتيك رئياً تراه ولا تستطيع رده عن

نفسك طلبنا لك الطب وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه ، فانه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه . . فقال رسول الله : (أو قد فرغت يا أبا الوليد ؟) قال : نعم ، قال (فاستمع مني) قال : أفعل . فقرأ عليه رسول الله ﷺ آيات من أول سورة فصلت . . (١)

وهكذا ترى أن المشركين يزعمون أن بعض الجن يتراءى له فيوهمه أنه رسول . وأن المستشرقين لم يبعدوا النجعة عن قولهم . والظاهر أنهم قد ولدوا رأيهم من رأيهم ولم يختلفوا عنهم بشيء ، فهؤلاء عـبروا حسب مفاهيمهم (الوحي النفسي والرؤى والخيالات) وأولئك عبروا وفق مفاهيمهم أيضاً (الجن والشياطين) وكانوا يسمون التابع من الجن (رئياً) . وقد ألزمهم الله الحجة بقوله :

(وما تنزلت به الشياطين . وما ينبغي لهم وما يستطيعون . انهم عن السمع لمعزولون . . هل أنبئكم على من تنزل الشياطين ؟ تنزل على كل أفاك أثيم) (٢) .

إنه ليمتنع ويستحيل على الشياطين أن تأتي بمثله . فانه لا ينبغي لهم، وانهم لا يبتغونه ولا يتطلبونه لان سجاياهم الفساد وإضلال العباد . وفي هذا القرآن أمر بالمعروف والنهي عن المنكر والشر ، وهو هدى وإيمان ونور وشفاء لما في الصدور . وانهم ممنوعون محجوبون عن الاستماع

(١) انظر سيرة ابن هشام ج ١ ص ٣١٣ - ٣١٥ تحقيق محي الدين عبدالحمد طبع المكتبة التجارية الكبرى - مصر . وانظر في ذلك ما رواه الطبري عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٦٢ - ٦٣ .

(٢) سورة الشعراء ٢١٠ - ٢٢٢ .

لما يوحيه الله الى عباده المرسلين . (١) ومحمد معروف خلقاً وفضيلة ، وأدباً وصدقاً واحساناً . والشياطين تغاير صفاتهم صفاته فكيف يالفونه . والجنس انما يالفه الجنس .. ؟

ولو كان هذا الذي يقوله محمد صادراً عنهم لاحتوى مديحهم والثناء عليهم واعلاء شأنهم . بينما لو أجلت الطرف في آيات القرآن لوجدت فيها غضباً عليهم ولعنأ كبيراً ؛ وتجيلاً وتكديفاً لهم وكشفاً عن ضعفهم ، وأنهم ليس لهم على الذين آمنوا سلطان . (٢)

تبين لك مما ذكرنا أن المستشرقين أطلقوا مزاعمهم تكراراً مملولاً سخيفاً لثرهات الجاهلية - أحياناً - واغترفوا بعضها من غير تثبت ولاروية ، وغيره حسب أهوائهم في أحياء أخرى ، فجاءت مزاعمهم سمجة معجوجة يابها العقل . وقد رأيت ما نقضها من أساسها .

لقد ذأب المستشرقون على تنميق الكلام وتزييقه ودعوى التزام قواعد البحث العلمي . . ثم تراهم أمام المسائل الاسلامية - والاساسية منها خاصة - يزعمون ويزعمون .. يفترون ويختلقون . . لعل ذاك الركام الوفير الهائل من الاضاليل والمفتريات يشوش الاذهان ، ويعرقل زحف الدعوة الظافر في الشعوب فيطمس معالم الحقيقة ويطفىء شعلة الهداية ، أو يخمد جذوة حماس المؤمنين بالله المناهضين لاحقاق الحق وازهاق الباطل ، ولا تلبث بشيء من التفكير والأناة في مطالعة الحقائق من مصادرها ،

(١) تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٣٤٩ وما بعدها .

(٢) قال تعالى : (وإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم . انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون . انما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون) سورة النحل : ٩٨ - ١٠٠ .

أن تستين وجه الحقيقة الناصع فتطوح بتلك الآراء المفرضة الهدامة ،
فتصبح أثراً بعد عين .

(بل تقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ولكم الويل
مما تصفون) (١) .

(١) سورة الانبياء : ١٨ .

الباب الثالث

معالم نبوة محمد صلى الله عليه وسلم في القرآن

الفصل الأول : دلائل نبوة محمد صلى الله عليه وسلم في القرآن .

الفصل الثاني : معالم نبوية في شخص محمد صلى الله عليه وسلم

الفصل الثالث : مجيء محمد صلى الله عليه وسلم على السنن الالهية
في بعثة الرسل .

الفصل الرابع : تبشير الكتب السماوية ببعثة سيدنا
محمد صلى الله عليه وسلم .

الفصل الأول

دلائل نبوة محمد صلّى الله عليه وسلم في القرآن

- بين دلائل النبوة ومعجزاتها .
- الدلائل الحسية .
- الدلائل العقلية .

بين دلائل النبوة ومعجزاتها

المعجزة في تعريف علماء الكلام « أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي مع عدم المعارضة »^(١) لكن بعض علامات النبوة لا تنضوي تحت لواء هذا التعريف ، فما الفرق بين المعجزة وبين دلائل النبوة عامة ؟

تطلق « دلائل النبوة وعلامات النبوة » ويراد منها : كل دليل يثبت نبوة محمد ﷺ ويبرهن على صدقه دون تقيده بشروط معينة . فيشمل حتى السات الخاصة في جسده عليه الصلاة والسلام كخاتم النبوة ، ويشمل تبشير الكتب السماوية ببعثه . لكن تعريف المعجزة يُخطرك أن من شرائطها « اقترانها بالتحدي » إذ يتحدى النبي الناس ، فيعجزون عن الاتيان بمثلها . فيثبت ذلك في أفئدتهم اليقين بأن الله أجراها على يده تصديقاً لنبوته وتأيداً لدعوته . فكل معجزة علامة على نبوة صاحبها حتماً . ولكن ليس كل علامة أو دليل على النبوة أمراً معجزاً « خارقاً للعادة » مقروناً بالتحدي . فالمعجزة أخص من الدليل والعلامة ،^(٢) ولهذا التفريق عمد مشاهير الحديث إلى الترجمة للكتب والأبواب المتصلة بالنبوة بعنوان « علامات النبوة » كما فعل البخاري في صحيحه ؛ أو « دلائل النبوة » كما فعل البيهقي وغيره . والظاهر أنهم قد قبسوا ذلك من نور الكتاب المبين ، فإنه لم يورد لفظ المعجزات إطلاقاً ، وإنما سُمي دلائل النبوة : آيات وبراهين وبَيِّنَات .

وستجد في الكتاب الثاني « بينات المعجزة الخالدة » حديثاً وافياً عن المعجزة وأهم خصائصها والفرق بينها وبين الكرامة وبينها وبين السحر

(١) الاربعين في أصول الدين للفخر الرازي ص ٣٨٨ .

(٢) فتح الباري لابن حجر ج ٦ ص ٣٧٥ .

والمخترعات العلمية . غير أن الفصول التالية في هذا الباب ستطلعك على معالم نبوة محمد ﷺ كما استخلصتها من القرآن الحكيم . بينما يقدم لك هذا الفصل صورة كلية لدلائل نبوة محمد ﷺ وأقسامها . ويبدو أن الامام فخر الدين الرازي قد سماها معجزات تجوزاً . إذ لا يخفى على مثله أن المعجزة أخص من الدليل والعلامة . وقد صنفها صنفين : حسية وعقلية ، وقسم كلاً إلى أقسام (١) . ومنسیر على تقسيمه ونستضيء بالقرآن المنير .

أقسام دلائل النبوة

ان البراهين والمعجزات الدالة على نبوة سيدنا محمد ﷺ كثيرة متنوعة تجل عن العد لكثرة أفرادها وأنواعها من الاقوال والافعال والادوار التي لم تسبق لغيره من المرسلين . فلم يحظ أحد منهم من كثرة الدلائل والمعجزات بمثل ما بلغه نبينا محمد ﷺ . وهذا دليل على مزيد التشريف والتكريم وشدة الاعتناء بشأنه والاحتفال بأمر نبوته . فانه خاتم النبيين وسيد المرسلين ودينه أكمل الاديان وخاتمها وأعمها وأشملها فناسب ذلك ترادف الآيات ووفرة المعجزات الباهرات . قال بعض العلماء : أعطى رسول الله ﷺ ثلاث آلاف معجزة . يعني غير القرآن فان فيه ستين أو سبعين ألفاً من المعجزات تقريباً (٢) .

وتنقسم دلائل نبوته ﷺ إلى صنفين : حسية وعقلية نبهتها

فيما يلي :

(١) الاربعين في أصول الدين ص ٣٠٩ - ٣١٦ .

(٢) لوائح الأنوار البية ج ٢ ص ٢٧٨ - ٢٧٩ .

الدلائل الحسية

هي ما يجابه الحس ويثير في النفس برهاناً ملازماً ، وقد عدها الامام فخر الدين الرازي معجزات له ﷺ وقسمها إلى ثلاثة أقسام (١) :

١ - أمور خارجة عن ذاته ﷺ : كمعجزة الاسراء وانشقاق القمر وقد ذكرهما القرآن المجيد (٢) ، وتسليم الحجر عليه ، وحنين الجذع اليه ، ونبع الماء من بين أصابعه حتى ارتوى منه خلق كثير وإشباع الجمع الفقير بتكثير الطعام القليل ... معجزات كثيرة ثبتت بأحاديث صحيحة .

٢ - أمور كائنة في ذاته ﷺ : كخاتم النبوة بين كتفيه عليه السلام . وهو غدة حمراء مثل بيضة الحمامة . وقد التمسها سلمان الفارسي قبل إسلامه فوجده كما سمع به من بعض الرهبان في جملة علامات نبوة سيدنا محمد المأثورة لدى أهل الكتاب (٣) ولا يخفى عليك أن القرآن قد بين أن أهل الكتاب يجدون رسول الله ﷺ موصوفاً في كتبهم . وأنهم يعرفونه نبياً كما يعرفون أبناءهم . وتفصيل ذلك في الفصل الرابع الآتي .

٣ - صفاته وأخلاقه ﷺ التي فاقت في السمو والعظمة أخلاق جميع البشر المتقدمين والمتأخرين إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها . ويكفيه شرفاً أن الله تبارك وتعالى قد أشاد ببذل خصاله عليه أفضل الصلوات وأتم التسليمات (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عتم حريص

(١) الاربعين في أصول الدين ص ٣٠٩ - ٣١٠ .

(٢) في مطلع سورة الاسراء وسورة القمر .

(٣) انظر رواية ذلك في السمائل الحمديّة للترمذي .

عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم) (١) وقال يخاطب رسوله (وإنك لعلی خلق عظیم) (٢) وعرضت من قبل بعض خصاله ﷺ عرضاً مبيناً ظهر لك من ثنائه أن أخلاقه من دلائل تثبت نبوته عليه الصلاة والسلام . (٣)

ومما بلغت النظر أن معجزات الرسل السابقين كانت كلها مقتصرة على النوع الحي ، وقد ذكرها القرآن الكريم . كاتقلاب العصا أفعى لسيدنا موسى عليه السلام وتفجر الينابيع من الصخر الأصم حين ضربه موسى بعصاه ، وكأحياء الميت فترة يسيرة لسيدنا عيسى عليه السلام . . . الخ وهذا يشير الى ضعف بني اسرائيل ومن قبلهم من الأقوام فكراً ، وأن البشرية إنما بلغت رشدتها زمن البعثة المحمدية .

ولمَّا تلاحظ أنه ليس ثمة انفصام تام بين الحي والعقلي من المعجزات فالحسية منها تعتمد على العقل والادراك ، وإن كان اعتمادها على الحس أكثر وأظهر . والعقلية منها تعتمد على الحواس أيضاً وإن كان اعتمادها على العقل أوفى وأغلب .

الدلائل العقلية

فإنها تواجه العقل بكل ما فيه من قوى الادراك والاستبصار . ويتلقاها كل انسان حسب قوة فهمه وعمق ادراكه . وقد جعل الرازي (٤) لها ستة أقسام . ونحن نسير على تقسيمه لكن في ضوء القرآن والاستدلال به :

الاول - أنه ﷺ إنما ظهر من قبيلة ليسوا من أهل العلم ومن

(١) سورة التوبة : ١٢٨ . (٢) سورة القلم : ٥ .

(٣) راجع الفصل الثالث من الباب الاول .

(٤) الاربعين في أصول الدين ص ٣١٠ - ٣١٦ .

بلدة لم يكن فيها أحد من العلماء بل كانت الجهالة غالبة عليهم . ولم يتفق له الاتصال بعالم أو حكيم . فاذا نبت في هذه البيئة ثم بلغ في معرفة الله وصفاته وأفعاله وأسمائه وأحكامه هذا المبلغ العظيم الذي عجز جميع الأذكياء من العقلاء عن القرب منه ، فإن ذلك يحمل كل ذي عقل سليم وطبع قويم على الإقرار بأن هذا العلم الفذ لا يتيسر لأحد من البشر إلا بتعليم الهي خاص . قال تعالى (تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا ، فاصبر إن العاقبة للمتقين) . (١)

الثاني - احتمل رسول الله ﷺ في أداء الرسالة المتاعب الجمة والمشاق الجسيمة فلم يبد في عزمه فتور ولا في إصراره قصور . فلما قهر أعداءه وبنى الدولة القوية المنيعه ونفذ أمره في الأنفس والأموال ، لم يتغير عن منهجه الأول من زهد في الدنيا وعدل في الناس ، وظل حتى لقي ربه مترفعاً عن الأهواء والأغراض الشخصية . وقدمنا تفصيل ذلك في الفصل الثالث من الباب الأول . (٢)

الثالث - أصاب الجذب الناس فتمطلت الزراعة وهلك المواشي فجأروا اليه بالشكوى ليسأل الله لهم . فدعا الله وليس في السماء شيء من السحاب . فهطلت الأمطار بعد حين مدراراً . وظلت متواصلة أياماً حتى خافوا منها الضر والأذى . فجأؤه فدعا الله تعالى (اللهم حوالينا ولا علينا اللهم على الجبال وبطون الأودية) فأمسكت السماء واندفع البلاء . ومزق كسرى كتاب رسول الله فدعا عليه بتمزيق ملكه فمزق الله ملكه . ودعا على عتبة ابن أبي لهب (اللهم سلط عليه كلباً من كلابك) فافترسه الاسد ، ودعا لابن عمه عبد الله بن عباس (اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل) فدعا حبر المفسرين الخ ...

أقول : "ولأنَّ يجب الله لبشر دعاءه على ذلك النمط وبذلك الوفرة .
للدليل على أنه قال أكرم حظوة ينالها بشر من الله تعالى ، وهذا يدل على
صدقه في نبوته . والعلم بهذا مستقر لدى أهل الكتاب من قبل . لذلك
لما أنكر وفد نصارى نجران عليه القول بيسرية عيسى ، دعاهم إلى الباهلة
كما وردت في القرآن الكريم (فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ
الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم
ثم ننبئكم فجعل الله على الكاذبين) (١) .

فكان موقفهم فيما رواه ابن اسحاق في القصة بطولها : أنهم خلوا
بأميرهم وصاحب مشورتهم : العاقب ، واسمـه عبد المسيح ، فقالوا :
يا عبد المسيح ماذا ترى ؟ فقال : والله يا معشر النصارى لقد عرقتم أن
محمداً لني مرسل .. ولقد علمتم أنه ما لاعتن قوم نبياً قط فبقي كبيرهم
ولا نبت صغيرهم . وإنه للاستئصال منكم إن فعلتم ، فإن كنتم أئيمت إلا
إلف دينكم والاقامة على ما أتمت عليه من القول في صاحبكم فوادعوا الرجل
وانصرفوا إلى بلادكم . فأتوا النبي ﷺ فقالوا : يا أبا القاسم قد رأينا
أن لا نلاعنك ونتركك على دينك وزجع على ديننا . ولكن ابعت معنا
رجلاً من أصحابك ترضاه لنا يحكم بيننا في أشياء اختلفنا فيها في أموالنا
فانكم عندنا رضى . ثم ذكر أنه عليه الصلاة والسلام اختار للحكم بينهم
أبا عبيدة بن الجراح رضي الله عنه .

وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال : جاء العاقب والسيد صاحبنا
نجران إلى رسول الله ﷺ يريدان أن يلاعناه ، قال : فقال أحدهما لصاحبه :
لا تفعل فوالله لئن كان نبياً فلاعنناه لا نفلح نحن ولا عقبنا من بعدنا .

قالا : إنا نعطيك ما سألتنا وابتعث معنا رجلاً أميناً ولا تبعث معنا الا أميناً . فقال : (لابعثن معكم رجلاً أميناً حق أمين) فاستشرف لها أصحاب رسول الله ﷺ فقال : (قم أبا عبيدة بن الجراح) فلما قام قال رسول الله ﷺ : (هذا أمين هذه الامة) . (١)

وبعد ، فما كان يمنعهم عن مبايعته لولا معرفتهم بصدقه . ففي موقفهم أوضح دليل على نبوته ﷺ .

الرابع - بشر الله ببعثته في التوراة والانجيل (٢) وقد نص القرآن على هذه البشارة في قوله تعالى (الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر . .) (٣)

وسنعرض ذلك مفصلاً في الفصل الرابع ان شاء الله تعالى .

الخامس - إخباره عن الغيوب الماضية والمستقبلية ، مع أنه أمي لا يقرأ ولا يكتب ولم يتلق من أحد من الناس علماً . وأستمهك في عرض المغيبات المذكورة في القرآن الكريم إلى موطنها من بحث اعجاز القرآن (٤) وأكتفي هنا بسرد مغيبات أخبر بها الرسول ﷺ في حديثه إلى أصحابه ؛ ووقوعها على وجه الدقة كما أخبر عليه السلام . فلا يشك العاقل في أن امرأاً يدعي النبوة لا يقدم على اخبار أتباعه بما سيقع في قابل الايام ما لم يكن مثبتاً فان لم يكن على يقين من تحقق نبئه لم يجرؤ

(١) رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه ، وانظر تفسير ابن كثير ج ١ ص ٣٦٨ - ٣٦٩ . (٢) لا ريب أنه دليل قهلي وان كان يفهم بالعقل . (٣) سورة الاعراف : ١٥٧ .

(٤) في الكتاب الثاني « بينات المعجزة الخالدة » . م / ٣١

على التفوه به لثلا يظهر التفاوت بين خبره وبين الواقع ، مما ينفر قلوب الناس ويصرفهم عنه وعن دعوته . ولا يقدر أحد من الناس على التنبؤ بما هو كائن - فذلك مختص بعلم الله عز وجل - فظهور شيء منه على لسان النبي يؤكد صلته بربه ويثبت نبوته وقد بلغت أخباره ﷺ عن المستقبل من الكثرة مبلغاً عظيماً . .

فمن أخباره ﷺ . ما روى ثوبان رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ قال : (إن الله زوى لي الأرض . فرأيت مشارقها ومغاربها . وان أمتي سيلخ ملكها ما زوي لي منها . .) الحديث (١) . وقد بلغت الفتوحات الاسلامية مشارق الارض ومغاربها . وقال ﷺ لعمار بن ياسر (تقتلك الفئة الباغية) قتل مع علي رضي الله عنه يوم صفين . وأخبر بفتح فارس ومصر واتفاق كنوز كسرى وقيصر في سبيل الله تعالى وحصل كما أخبر (٢) وأخبر عن انتهاء اعمال السلب وقطع السيل وغزو القبائل بعضها بعضاً وحلول الاسلام والأمن في ربوع الجزيرة العربية .

روى البخاري عن عدوي بن حاتم قال : (بينا أنا عند النبي ﷺ اذ أتاه رجل ، فشكى اليه الفاقة . ثم أتاه آخر فشكى اليه قطع السبيل ، فقال : يا عدوي هل رأيت الحيرة ؟ قلت : لم أرها وقد أنبت عنها . قال : فان طالت بك حياة لترين الظعينة ترحل من الحيرة (٣) حتى تطوف بالكعبة ، لا تخاف أحداً إلا الله . قلت فيما بيني وبين نفسي : فأين

(١) رواه مسلم وأبو داود والترمذي - جامع الاصول حديث ٨٨٣٩ .

(٢) انظر الاحاديث من رواية البخاري ومسلم والترمذي في جامع الاصول ٨٨٣٤-٨٨٣٩ .

(٣) « الظعينة » : المرأة في الهودج « الحيرة » : في العراق ، وكانت بلد ملوك العرب

الخاصين لحكم الفرس .

«دُعَارُ طيء» الذين قد سَمُّوا في البلاد (١)؟! ولئن طال بك حياة لتفتحن كنوز كسرى . قلت : كسرى بن هُرْمَزٍ؟! قال : كسرى بن هرمز . ولئن طال بك حياة لترين الرجل يخرجُ ملاء كفه من ذهب أو فضة يطلب مَنْ يقبله منه فلا يجدُ أحداً يقبله منه . وليلقين الله أحدكم يوم يلقاه وليس بينه وبينه ترَجُّمانٌ يُترجم له ، فيقولنَّ : ألم أبعث اليك رسولاً فيلتعنك ؟ فيقول : بلى فيقول : ألم أعطك مالاً وأفضلُ عليك ؟ فيقول : بلى . فينظرُ عن يمينه فلا يرى إلا جهنم وينظر عن شماله فلا يرى إلا جهنم . قال عدي : سمعت النبي ﷺ يقول : اتقوا النار ولو بشق تمرة ، فمن لم يجد شق تمرة فبكلمة طيبة . قال عدي : فرأيت الظئنة ترتحلُ من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف إلا الله !! وكنت فيمن افتتح كنوز كسرى بن هُرْمَزٍ!! ولئن طال بك حياة لترون ما قال النبي أبو القاسم ﷺ . يخرج «الرجل» ملاء كفه « ذهباً أو فضة» فلا يجد من يقبله منه » (٢) .

وقد جزم الامام البيهقي المحدث بتحقيق خبر الرسول ﷺ عن غنى الناس وزوال الفقر من المجتمع الاسلامي في خلافة عمر بن عبد العزيز . فقد أخرج البيهقي في الدلائل عن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب أنه قال :

(١) «الدار» جمع داعر ، وهو الشاطر الخبيث المفسد . والمراد : قطاع الطرق . « طيء » : قبيلة عربية مشهورة ، ومنها : عدي بن حاتم المذكور في الحديث . وبلادها ما بين العراق والحجاز وكان رجالها يقطعون الطريق على من مر عليهم بغير جوار . لذلك تعجب عدي كيف ستمر المرأة يقاعهم غير خائفة .

«سعروا في البلاد» : أوقدوا نار الفتنة أو ملأوا الأرض شرّاً وفساداً . (انظر فتح الباري ج ٦ ص ٣٩٨ - ٣٩٩) .

(٢) رواه البخاري - باب علامات النبوة . وانظر جامع الاصول : ٨٨٣٧ .

« إنما ولي عمر بن عبد العزيز ثلاثين شهراً ألا والله ما مات حتى جعل الرجل يأتينا بالمال العظيم ، فيقول : اجعلوا هذا حيث ترون في الفقراء ، فما يبرح حتى يرجع بماله يتذكر من يضعه فيه فلا يجده . قد أغنى عمر الناس » .

قال البيهقي : « فيه تصديق ما روينا في حديث عدي بن حاتم^(١) . ويؤكد سداد مذهب البيهقي أيضاً ما ورد في سيرة عمر بن عبد العزيز^(٢) أن يحيى بن سعيد قال : « بعثني عمر عبد العزيز على صدقات إفريقية فافتضيتها . وطلبت فقراء نعطيها لهم فلم نجد بها فقيراً ولم نجد من يأخذها مني . فقد أغنى عمر بن عبد العزيز الناس ، فاشتريت بها رقاباً فأعتقتهم وولأتهم للمسلمين » .

ومن أراد معرفة المزيد من معجزات سيدنا رسول الله ﷺ فليقرأ في جامع الأصول من أحاديث الرسول الكتاب الاول في النبوة . فقد ذكر قدراً عظيماً رائعاً من المعجزات لا يتسع المقام لعرضها .

السادس - انه ﷺ لم يشرع قبل اظهار دعوى الرسالة والنبوة في البحث عن العلوم الالهية ومسائل النبوة . ولو عني بها يسيراً لجسمه المدو وتذرع بأنه أفنى عمره في التدبر والامعان لاستخلاص تلك العلوم . ولكنهم لم يتفوهوا بمثل هذا مما يبرهن على تيقنهم من انصرافه عنها ، فهم واثقون أنه أمي لا يقرأ ولا يكتب .

(١) فتح الباري ج ٦ ص ٣٩٩ .

(٢) سيرة عمر بن عبد العزيز على ما رواه الامام مالك بن أنس وأصحابه - تأليف أبي محمد عبد الله بن عبد الحكم التوفى سنة ٢١٤ هـ - الطبعة الثانية - نشر مكتبة وهبة بالقااهرة .

وبدعي لديك ولدي كل ذي لب أن من انقضى من عمره أربعون سنة وهو أمي ولم يخض في شيء من تلك المطالب العلمية ، ثم خاض فيها دفعة واحدة وأتى بكلام عجز الأولون والآخرون عن معارضته ، حتى انقضى أربعة عشر قرناً على تنزله دون أن يتمكن أحد من معارضته ؛ لهو أبلغ دليل على أن كتابه فوق مستوى القدرة البشرية ، ولا سبيل إلى تعير عجز البشرية إلا الاقرار بهذه الحقيقة الناصعة . (قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراككم به . فقد لبث فيكم عمراً من قبله أفلا تعقلون !!) (١) .

فصريح العقل يشهد بأن هذا القرآن كلام الله العلي العليم أوحاه إلى رسوله محمد ﷺ اثباتاً لنبوته وبياناً لدين الاسلام (٢) .

ثبوت معجزاته ﷺ نقلاً :

وإذا كان القرآن قد نقل إلينا متواتراً فإن بعض معجزات محمد ﷺ - غير القرآن - قد وصلتنا عن طريق التواتر مما يورث اليقين بوقوعها منه عليه السلام .

وصنف آخر من معجزاته ﷺ وهو ما نقل بطريق أحادي (٣) فإن الروايات الأحادية إذا كثرت تفيدنا علماً يقيناً بوقوع خارق للعادة معجز

(١) سورة يونس : ١٦ .

(٢) وسنفصل هذا في الكتاب الثاني للرسالة « بينات المعجزة الخالدة » ، وسيصدر قريباً بإذن الله .

(٣) اعجاز القرآن ص ٨ لأبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني المتوفى سنة ٤٠٣ هـ .

للشعر ؛ منه ﷺ . فان تلك الروايات ؛ وان كانت أحادية في أفرادها ؛
فان قدراً كبيراً منها يحصل به التواتر المعنوي على ظهور المعجز من محمد
ﷺ . وهكذا تتضافر دلالات معجزاته على امتداد الأعصر في إقامة
قاطع الأدلة على صدقه ونبوته ﷺ .

الفصل الثاني

معالم نبوية في شخص محمد صلى الله عليه وسلم

- عصمة محمد صلى الله عليه وسلم .
- أمية محمد صلى الله عليه وسلم .
- الرسول متلقٍ مأمور .
- الرسول يרא من علم الغيب إلا بالوحي .
- حماية إلهية خاصة للرسول الأمين .

لقد برهنا على صدق محمد ﷺ في نبوته بأخلاقه وشواهد تلقيه الوحي وبعض معجزاته . وسنعرض علائم أخرى تدل على نبوته ، بعضها حفي بشخصه الكريم ﷺ وبعضها كان في رسالته ، وكان البعض الآخر في رسالات اخوانه المرسلين قبله عليهم الصلاة والسلام .

معالم نبوية في شخص محمد ﷺ

لقد عصم الله محمداً ﷺ ، كما عصم كافة الانبياء قبله عن الخطايا والدنايا . وحفظ عليه الوحي ليبلغه كاملاً من غير نقصان أو تغيير . وقد عاش عليه السلام أمياً لا يقرأ ولا يكتب ، ولم يتلق عن عالم شيئاً . وأظهرت الآيات أن الرسول متلقٍ مأمور ، وقد لقي عتاباً وتوجيهاً في بعض تصرفاته . وكان عليه السلام يبرؤ من علم الغيب ، وقد تكفل الله له بالحماية من الناس ، وصانه مراراً من هلاك محقق .

عصمة صلى الله عليه وسلم

أولاً - عصمته عن المعاصي :

إن محمداً رسول الله ﷺ ككل نبي قبله معصوم من اقتراف الذنوب والوقوع في معصية الله تعالى . فقد طهرهم الله جميعاً وألزمهم كلمة التقوى فكانوا أحق بها وأهلها فمنهم وحفظهم من ارتكاب الذنوب والفساسف . وتلك حكمة بالغة من رب العالمين ليكون الرسول قدوة حسنة يتأسى به الناس . وهذه العصمة من دلائل اخلاصه لله تعالى وصحة نبوته .

« قال الحافظ زين العراقي : النبي ﷺ معصوم من تعمد الذنب بعد النبوة بالاجماع . . وانما اختلفوا في جواز وقوع الصغيرة سهوا ، فمنعه الاستاذ أبو اسحاق الاسفرايني والقاضي عياض ، واختاره تقي الدين السبكي ، قال : وهو الذي ندين الله به . وأجازه كثير من المتكلمين . لقا عياض : أجمع المسلمون على عصمة الانبياء من الفواحش والكبائر الموبقات . قال عياض : وذهب بعضهم إلى عصمتهم من واقعة المكروه قصداً ، (١) .

فمحمد ﷺ - ككل نبي - يتصف بالطاعة التامة لله جل شأنه وبالصدق والأمانة . ويستحيل عليه كما يستحيل على غيره ، في زمام النبوة ركوب المعصية كبيرة كانت أم صغيرة . وقد أورد الامام فخر الدين الرازي في الاستدلال على عصمة الرسل عامة أربع عشرة حجة قرآنية وأخرى حديثية . ومما يدل على عصمته ﷺ خاصة قوله تعالى : (لقد لكم كان في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً) (٢) .

وقوله : (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم) (٣) .

فلو جاز أن يصدر العصيان أو الفسق عن سيدنا محمد ﷺ ، لكانا

(١) لوائح الانوار البهية ج ٢ ص ٢٩٢ وانظر فيها قول السعد التفتازاني : بجواز وقوعهم عمداً في صفات الذنوب عند الجمهور ، وسهواً بالاتفاق الا ما يدل على الحسة كسرقة لقمة . . لكن شرطوا أن ينهوا عنه فينتهوا منه - وذهب الفخر الرازي إلى عصمتهم زمن النبوة عن الكبائر والصغائر بالعمد ، أما على سبيل السهو فيجوز (الاربعين ص ٣٣٠) .

(٢) سورة الأحزاب : ٢١ . (٣) سورة آل عمران : ٣١ .

في إحدى حالتين : إما أن نكون مأمورين بالاعتداء به وذلك باطل لان الأمر بالفسق والمعصية لا يجوز على الحكيم تبارك وتعالى . وإما أن لا نكون مأمورين بالاعتداء به وهو أيضاً باطل بدلالة الآيتين الكريمتين . ولما كان صدور الفسق والمعصيان عنه يفضي الى أحد هذين السبيلين الباطلين كان صدور ذلك عنه محالاً . (١)

وقد عصم الله الانبياء عامة - وفيهم محمد ﷺ - من المعصية والكذب والخيانة ففي كل من الصدق والكذب ، والامانة والخيانة ضدان لا يجتمعان فالصدق والامانة كل منهما واجب عقلاً وشرعاً في حقهم عليهم الصلاة والسلام (٢) .

وقد بين الله عصمته للرسول ﷺ عن الخيانة بقوله (وما كان لني أن يغلّ ومن يغلّ يأت بما غلّ يوم القيامة ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون) . (٣)

فنزّه الله ساحة نبيه محمد ﷺ عن الغلول على أبلغ وجه ، اذ كشف عن تنافيه مع النبوة . فالنبي مؤتمن في كل شأن ، فكيف يأخذ شيئاً من المغنم خفية وهو المؤتمن على أمر الوحي على عظمته وجلاله ، وهو العالم بعقاب الله تعالى المتحقق من وقوعه بمن يتجاوز أمره وشرعه ؟ !

إن محمداً ﷺ وجميع اخوانه النبيين منزهون عن كل تقيصة تؤدي إلى ازالة الحشمة واسقاط المروءة وتلحق بفاعلها الازراء والخسة ،

(١) الاربعين في أصول الدين ص ٣٣١ وما حولها . وانظر عن العصمة عامة كتاب الرازي : عصمة الانبياء .

(٢) لوائح الانوار البية ج ٢ ص ٢٩٤ .

(٣) سورة آل عمران : ١٦١ وانظر روح المعاني ج ٤ ص ٩٦ - ٩٧ .

كسرفة لقمة وتطفيف بحبة ، لقيام الاجماع على عصمتهم من كل ما يؤدي إلى الازراء والدناءة . فان الله تعالى يقول : (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) ويقول : (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) ومن المعلوم عموم ذلك . وليس فعل النبي شيئاً مزريراً يوجب حب الله لفاعله ولا تأسي العباد وافتداهم به في ذلك (١) .

والرسل قاطبة بشر تعترهم كل أعراض البشر ، فيجوز عليهم عقلاً وشرعاً النوم والاكل والشرب والنكاح والجموع والمطش والنعاس ، والحر والبرد ، والرضا والغضب في الحق ، والحزن والسرور ، والتشكي والمرض ، والموت والاستشهاد في سبيل الله عز وجل . ويجوز عليهم كافة المباحات وكل ما لم يثبت وجوبه أو استحالاته عليهم (٢) .

أما قبل النبوة فقد اختلفوا فأوجب بعضهم العصمة عن الكبائر والصغائر . وأجاز بعضهم وقوع الصغائر منهم سوى المنفرات . والحق - كما يقول السعد - منع ما يوجب النفور منهم كعهر الأمهات والفجور والصغائر الدالة على الخسة (٣) .

ومن جهة الواقع فان كتب السيرة قد حفظت لنا أنصع وجه عن سيرة الرسول الأعظم ﷺ قبل البعثة . فقد نشأ على كراهة الاوثان . روى ابن هشام انه لما صحبه عمه أبو طالب في السفر الى الشام وهو صبي ، لقيه بحيرى وقال له : يا غلام أسألك بحق اللات والعزى الا ما أخبرتي عما أسألك عنه . فقال ﷺ : لا تسألني باللات والعزى فوالله

(١) لوائح الانوار البية ج ٢ ص ٢٩١ .

(٢) لوائح الانوار البية ج ٢ ص ٢٩٦ - ٢٩٧ .

(٣) لوائح الانوار البية ج ٢ ص ٢٩٢ .

ما أبغضت شيئاً قط بفضها . ولا شك أن سؤال بحيرى اختبار لنبوة محمد ﷺ القادمة .

وقد عُرف ﷺ بترفعه عن القبائح والمفاسد حتى قال عنه أبو طالب (لم أسمع قط يقول كذباً ، ولا يميل الى العبث والمزاح أو يأتي رذيلة أو قبيحة) ويكفيك أنه قد تميز في البيئة الجاهلية حتى حاز لقب الصادق الأمين ، وأن امانات المشركين كانت تودع عنده حتى الهجرة .

وروى الحافظ الذهبي في تاريخ الاسلام ان رسول الله ﷺ قال : (ما هممت بشيء مما بهم به أهل الجاهلية الا مرتين عصمني الله فيها : قلت ليلة لفتى من قريش : أبصر لي غنمي ، حتى أسمر هذه الليلة بمكة كما تسمر الفتيان . قال : نعم ، قال : فدخلت حتى جئت أول دار من دور مكة فسمعت غناء وعزفاً وصوت دفوف ومزامير ، فقلت : ما هذا ؟ فقالوا : فلان تزوج فلانة ، فجلست لذلك ، فضرب الله على أذني فنمت ، فما أيقظني إلا مَسُّ الشمس ، فرجعت الى صاحبي . ثم فعلت ليلة أخرى مثل ذلك فنمت . فوالله ما هممت بعدها بشيء حتى أكرمني الله بنبوته) (١) .

فتلك رعاية الهية عظيمة ووقاية ربانية جليلة خاصة . وهي أمانة إعدادهم ﷺ واصطفائهم .

وقد شهدت له خديجة حين نزل عليه الوحي أول ما نزل . فقالت (كلا والله ما يخزيك الله أبداً ، انك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق) رواه البخاري (٢) .

فهذه أخلاق من أعلم الله لرسالته لتطمئن اليه القلوب ويتأمن به العباد .

(١) ورواه الطبري وابن راهويه في مسنده والبيهقي في دلائله ، انظر شرح الشفاء ج ١ ص ٢٩٩ - ٣٠٠ . (٢) مر الحديث بكامله ص ١٨٥ - ١٨٨ .

فلا ريب أن طبيعة الانسان وما ركب فيه من غرائز تجعل وقوع المعصية منه على الرغم من احترازه أمراً طبيعياً . لا يشذ عن ذلك الا الذين عصمهم الله . فمن وجدناه معصوماً عن المعاصي كان أكثر عصمة عن الكذب في دعوى النبوة .

ومن عصم عن المعاصي على النحو الذي بينا كان في عصمته دليل على أنه محل رعاية الهية خاصة . ولم تجر سنة الله في عصمة امرئ على ذلك النحو إلا للأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام . وبذلك العصمة حظى سيدهم وخاتمهم محمد ﷺ .

ثانياً - عصمته في تبليغ الوحي :

ومن أم أنواع عصمة رسول الله ﷺ ، أن الله حفظه من شياطين الأنس والجن أن يمنعه من تبليغ ما أمر الله به ، أو يحملوه على تغييره أو كتمانهم أو الافتراء فيه .

قال تعالى (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً . ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم وأحاط بما لديهم وأحصى كل شيء عدداً) . (١)

فقد أطلع الله تعالى الرسول الذي ارتضاه على بعض الغيوب المتعلقة برسائله و « سلكه » أحاطه عند اطلاعه من جميع جوانبه بحرس من الملائكة يحفظون عليه الوحي أن يذهب منه شيء أو يختلط به ما ليس منه . وبهذا الاطلاع الغيبي يعلم الرسول ويصدق تصديقاً جازماً ثابتاً أن الذي أوتيته من الوحي هو عين ما أمر الله الملائكة بأدائه اليه بواسطة المختص بالتبليغ منهم وهو جبريل عليه السلام .

(١) سورة الجن : ٢٦ - ٢٨ .

والحال أن الله تعالى قد أحاط علماً بجميع أحوال أولئك الملائكة المكلفين بالبلاغ والرصد ، وأن الذي حصل بلاغه الى رسوله هو عين الوحي الالهي وأن هؤلاء الرصد كانوا ايضاً أمناء على الوحي الالهي في صيانتهم وأدائه كاملاً (١) .

وبما أن الله قد اصطفى رسوله فأدبه وأحسن تأديبه فيستحيل أن يتكلف الرسول أقوالاً من عنده فينسبها إلى الله افتراء ، فذلك مما لا تنصاع نفسه الفاضلة اليه ، ومع هذا فإن الله تعالى قد تكفل - قطعاً لدابر التوهم والاحتمال - بحفظ وحيه وشرعه أن يتورط الرسول إلى الافتراء فيه ، فلو بدر ذلك منه فرضاً لأخذه الله بعقابه أخذ عزيز مقتدر فأهلكه قال تعالى : (ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين . فما منكم من أحد عنه حاجزين) (٢) .

والعقل لا يتصور من رجل دأب على الصدق منذ نعومة أظفاره ونشأ عليه وشب فيه حتى لُقب بالصادق الأمين ، أن يدع الكذب على الناس ثم يفترى على الله ما لم ينزل به سلطاناً . وهذا ما أدركه هرقل بيده ، فانه سأل أبا سفيان أيام شركه عن رسول الله ﷺ - كما في الصحيحين (قال هرقل : فهل كنتم تتهمونونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ قلت : لا ... فقال : وسألتك هل كنتم تتهمونونه بالكذب قبل أن يقول

(١) روح المعاني ج ٢٩ ص ٩٦ - ٩٧ . وانظر النبوات ص ٢٢١ - ٢٢٢ .

(٢) سورة الحاقة : ٤٤ - ٤٧ والوتين : نياط القلب ، فاذا انقطع مات صاحبه (روح المعاني ج ٢٩ ص ٤٥ وانظر لوائح الانوار البية فيما قل عن ابن تيميه ج ٢ ص ٢٩٤ - ٢٩٥) .

ما قال ، فذكرتَ أن لا فقد أعرف انه لم يكن ليذرَ الكذب على الناس .
ويكذب على الله (١) .

(وقال شيخ الاسلام ابن تيمية رَوَّحَ الله روحه : الناس متفقون
على أن الانبياء معصومون فيما يبلغونه عن الله تعالى . فلا يستقر في ذلك
خطأ بانفاق المسلمين) . (٢)

(١) مر الحديث بكامله ص ١٥٥ - ١٥٨ .

(٢) لوائح الأنوار البهية ج ٢ ص ٢٩١ .

أُمِّيَّةُ مُحَمَّدٍ ﷺ

بعد أن عاش محمد ﷺ بين ظهري قومه أربعين سنة رجلاً عادياً أُمِّيًّا ؛ جاءهم بخوارق مادية معجزة ، وتلا عليهم القرآن معجزة عقلية علمية ، فبهز القوم ببلاغته العالوية وبأخباره عن الغيب الماضي والمستقبل وبتشريعه السامي الشامل .. فهوى بهم في وادٍ سحق عجزاً عن معارضته !!

ومع ذلك فقد أقر محمد أنه عبد متلقٍ مأمور ، ولم ينسب القرآن لنفسه ، فلا يعتبر هذا من جانبه ادعاء يحتاج إلى دليل ، إنما هو اقرار عفوي بريء .

وان هذه الدلالة الظاهرة الهامة ليست محور البحث ، فسبيل الهداية مُنارة مُعلَّمة بأدلة فصلنا بعضها ومنفصل بعضها الآخر ان شاء الله تعالى . ألا ترى أن في شخص محمد ﷺ شاهداً يقيم الحجة على عجزه وقصوره المادي والعلمي عن ابتكار وإنتاج ما جرى له من معجزات ..؟

انه أُمِّيٌّ لا يقرأ ولا يكتب ، فأظهر ما يكون عجزه عن القرآن . والعرب كلهم أميون ، ومحمد على شاكلتهم لم يتصل بعلم ولم يتلق من عالم . وقد خَصَّ رسول الله ﷺ هذه القضية بالذكر فقال : (إِنَّا أُمَّةٌ أُمِّيَّةٌ لَا نَكْتُبُ وَلَا نَحْسِبُ) (١) . فالأُمِّيَّةُ طابعُ العربِ العام وقد اختار الله رسوله منهم ، فهو على وصفهم قال تعالى : (هو الذي بعثَ في الأميين رسولاً

(١) أخرجه الشيخان وغيرهما عن ابن عمر رضي الله عنهما . م / ٣٣

منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين (١) .

وقد ثبت في كتب السنة والسيرة أنه ﷺ لم يتعلم من استاذ ولم يطالع كتاباً ، فلم يكن في بلده مكة أحد من العلماء ، ولم يغب عنها رسول الله غيبة طويلة تمكنه من تلقي قدر يذكر من العلوم . وقد جلى بيان ذلك القاضي عبد الجبار رحمه الله إذ قال : (ونحن وإن لم نكن في زمانه ﷺ ، فقد علمنا أنه ما قرأ هذه الكتب ولا اكتتبها ولا اختلف إلى أهلها ولا اختلفوا إليه .. ولا تلقى ذلك عن أحد من الناس ، لانه ما من أحد يطلب فناً من الفنون إلا وله في ذلك تارات وطبقات ، فأول ذلك أن يكون طالباً أو سائلاً عن عند هذا الادب وهذا الفن من العلم والأدب ، ثم يختلف إلى أهله ويصحبهم فيكون تارة مبتدئاً ، ثم متوسطاً ثم ماهراً متقدماً . وكل هذه الأحوال معروفة معلومة لأهل زمانه ، لا يجوز أن يذهب عليهم ، ولا يجوز أن يخفى ولا يكتم عن أحد كائناً من كان (٢) .

وعلى الرغم من عدم ذلك كله في أي مرتبة من المراتب ، فقد تدفق العلم الالهي على لسانه غزيراً مدراراً وتفجرت له ينابيع الحكمة الربانية ، إذ اشتمل القرآن الذي أوحاه الله إليه على علوم شريفة وفيرة وحكم عالية منيفة ، وسما في الفصاحة والبلاغة رتبة ارتفعت كثيراً عن طوق البشر . فظهور هذه العلوم النفيسة عليه ، مع أنه "أمي" لم يتلق من عالم ، ولم يطالع في كتاب شيئاً مما جاء به من الامور العظيمة الجليلة

(١) سورة الجمعة : ٢ . (٢) تثبيت دلائل النبوة - القاضي عبد الجبار

المتوفى سنة ٤١٥ هـ ص ٨٧ طبع دار العربية - بيروت .

المعجزة للبشر ؛ يثبت بدليل قطعي لا يحتمل مرء أن القرآن أمر خارجي منفصل عن ذات محمد ﷺ ، فلا يكون إلا علوياً أنزله العليم الذي قدر فهدى ، قال تعالى : (وما كنتَ تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون) (١) .

وهذا ما حدا بالفخر الرازي أن يمدد الامية معجزة من معجزاته العقلية ﷺ . فقال رحمه الله .

(انه عليه السلام كان قبل اظهار دعوى الرسالة والنبوة ما كان يشرع في هذه المسائل ، وما كان يبحث عنها ، وما جرى على لسانه قط حديث النبوة والرسالة . والذي يدل على صحة قولنا أنه لو اتفق له شروع في هذه المطالب والمباحث قبل اظهار ادعاء الرسالة والنبوة لقات الكفار له : إنك أفنيت عمرك في التدبر والتأمل وتحصيل هذه الكلمات حتى قدرت الآن على اظهارها . ولما لم يذكر هذا الكلام أحد من الاعداء مع شدة حرصهم على الطعن فيه وفي نبوته ، علمنا أنه عليه السلام ما كان شارعاً قبل اظهار النبوة في شيء من هذه العلوم . ومعلوم أن من انقضى من عمره أربعون سنة ولم يخض في شيء من هذه المطالب العلمية . ثم انه خاض فيها دفعة واحدة وأنى بكلام عجز الأولون والآخرون عن معارضته ... فصريح العقل يشهد بأن هذا لا يكون الا على سبيل الوحي والتنزيل .) (٢)

لفت الله أنظار عباده الى هذه الصفة الحميدة المعجزة التي تبرهن على نبوة محمد ﷺ وعلى سماوية الكتاب الكريم ، فقال تعالى : (الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة

(١) سورة النكبات : ٤٨ .

(٢) الاربعين في أصول الدين - ص ٣١١ - ٣١٢ .

والانجيل بأمرهم بالمعروف وبنهاهم عن المنكر. ومُحَلَّ لهم الطيبات ومُحَرَّم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والاغلال التي كانت عليهم ، فالذين آمنوا به وعزَّروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون .
 قل : يا أيها الناس إني رسول الله اليكم جميعاً الذي له ملك السموات والارض لا اله الا هو مُبْجِي وَمُعِيتُ فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون . (١)

ويتبين لك أن أمة محمد عليه الصلاة والسلام معجزة تثبت نبوته وإلهية قرآنه مما يلي :

أولاً - أن القرآن الذي ورد على لسانه متفوقاً بأسلوبه وبيانه ومشمئلاً على علوم كثيرة وأخبار غيبية ؛ وعلى حقائق علمية لا يمكن لأبرز علماء ذلك الزمن أن يستجمعها فضلاً عن أمي عاش في عزلة عن العلم والعلماء ! فالاعجاز ههنا أقوى وأبلغ ؛ والحجة أظهر وألزم . فلو كانت

(١) سورة الاعراف : ١٥٧ - ١٥٨ والمراد بقوله تعالى (الرسول) الرجل الذي أرسله الله لتبليغ شريعته (والنبي) الذي أنبأ الخلق عن الله تعالى و (الأمي) الذي لا يقرأ ولا يكتب (الذي يجدونه مكتوباً عندهم) باسمه وصفاته الشريفة بحيث لا يشكون أنه هو فقد بشر الله ببعثته في التوراة والانجيل . وسنعرض لذلك في الفصل الرابع باذن الله .
 (ويضع عنهم إصرهم والاغلال التي كانت عليهم) يخفف عنهم ما كفوه من التكاليف الشاقة كقطع موضع النجاسة من الثوب أو البدن . . . الخ والاصر في اللغة : الثقل . والاغلال : جمع غل ، وهو القيد الحديدي الذي يجمع يد الاسير الى عنقه (عزوره) عظموه ووقروه . (اتبعوا النور الذي أنزل معه) وهو القرآن . وعبر عنه بالنور لظهوره في نفسه باعجازه ، ولإظهاره للأحكام وصدق دعوى النبوة . فهو أشبه شيء بالنور الظاهر بنفسه والمظهر لغيره . (الذي يؤمن بالله وكلماته) يؤمن بالله وبما أنزل عليه وعلى سائر الرسل قبله من كتب ووحى (انظر روح المعاني ج ٩ ص ٦٩ - ٧٣ وتفسير الرازي ج ١٥ ص ٢٢ وما بعدها) .

يقرأ ويكتب لالتمس المشركون والمكابرون في ذلك وسيلة تبرر زعمهم بأنه طالع تلك العلوم من كتب الاولين . وقدم الله ههنا خصيصاً حجة بينة قاهرة فقال تعالى (وما كنتَ تتلو من قبله من كتابٍ ولا تحطه يمينك اذا لارتابَ المبطلون .) (١)

ان محمداً ﷺ ظل في المرحلة الاولى من حياته راعياً بالأجر أو تاجراً بالأجر مشغولاً برزقه ثم بشأن نفسه وزوجه وأولاده فلم يتطلع الى مجالسة العلماء أو مدارس العلوم . واستمر على ذلك أربعين سنة ، ثم طلع على العرب بين عشية وضحاها بما لم يأنسه في أيامه الخوالي ولم يخض في بحثه مع أحد في قليل أو كثير .

وجاء الخطاب الالهي يذكر النبي بتلك الحقيقة ويعلمها على الملأ حجة دامغة : فلو كنتَ - يا محمد - ممن يعلم التلاوة والخط أو ممن يعتادهما ، لارتاب مشركو مكة ولتشبهوا بالوم زاعمين انك التقطته من كتب الاوائل . غير أن الحالة التي أقمت عليها في سالف حياتك لم تدع لارتياهم وجهاً ولم تفسح له مجالاً . فالمعجزة جليلة لا ريب فيها : كفاك بالعلم في الأمي معجزة في الجاهلية والتأديب في اليتيم

على أن مثل هذا الكتاب الطويل - بما احتواه من علوم جديدة وتصحيح لما شوه في بطون الكتب المنسوبة إلى المرسلين وإظهار لما أخفوه وأغفلوه - يستحيل تحصيله بمجرد الكتابة والقراءة . بل لا بد لتعلمه وتلقيه من زمن طويل ودراسة جدية في بيئة علمية ، وهذا مسلك ظاهر بنفسه لا

(١) سورة العنكبوت : ٤٨ انظر تفسيرها في روح المعاني ج ٢١ ص ٤ وتفسير الرازي ج ٢٥ ص ٧٦ وفي القرآن آيات نوهت بأميته صلى الله عليه وسلم منها آل عمران : ٤٤ - ويوسف : ٣ - ويوسف : ١٠٢ والقصص : ٤٤ - وهود : ٤٩ .

يمكن خفائه ولا يجدى ستره عن الناس شيئاً . فأنى له تلك العلوم إلا أن تكون تنزيلاً من حكيم حميد ؟ .

(قل لو شاء الله ما تلوثنه عليكم ولا أدراكم به فقد لبثت فيكم عُمراً من قبله أفلا تعقلون ..؟) (١) .

ثانياً - انك بعد هذه الحقيقة النيرة تسمع مزاعم ملاحدة هذا الزمن فتعجب ، وعجب زعمهم « ان محمداً استوحى من عقله ونلخص فيه زبدة المعارف والعلوم السائدة في عصره » ، وانك لتجد شياطين الانس والجن تهجس في خواطر ضماط القلوب بزخرف ذلك القول غروراً . فهل نسي هؤلاء أن محمداً أُمِّي وأن العرب أمة أمية لا تعرف من أخبار الماضين إلا تنقلاً يسيرة .. وأنه ليس عند أهل الكتاب إلا قراطيس يخفون بعضها ويشوهون ويحرفون بعضاً آخر ...

أيّوهم هؤلاء المرضى في عقولهم وضماطهم أنهم طلعوا على الناس بكشف هام أو رأي جديد . . تباً لهم ! انهم مقلدة يكررون ترهات المعاندين الأقدمين من غير بحث أو وعي ؛ تكرار عجباوات لا تعقل ..

ونضيف إلى الأدلة السابقة فنسأل : هل كل ما في القرآن مما يعرف بالعقل أو بالنقل مأخوذ عن الكتب السماوية السابقة وهي مشوهة ؟ هناك الحقائق الالهية التي تاهت في معرفتها العقول ، وحارت في سبرغورها الأسباب . وكان أهل الكتاب قد أعطوا صورة مشوهة ممجوجة عنها .

لذلك تجد الرد الالهي على وهم الواهمين قوياً مفحماً . فقد عرض

الله في سورة الانعام الحقائق التي تدل على ذاته العلية (إن الله فائق الحب والنوى.. فائق الاصباح وجمل الليل سكناً والشمس والقمر حُسباناً ذلك تقدير العزيز العليم .. وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع .. وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء ..) (١).

وأعقب ذلك بعرض معارف إلهية فريدة ليست عند أحد من أهل الحجاز والشام . وفيها رد على أهل الكتاب بإبطال التثليث الذي زعموه قال تعالى : (بديع السموات والأرض أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم . ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء فاعبدوه وهو على شيء وكيل . لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير) (١).

فدل على أن هذه الحقائق والمعارف لا تتأتى على لسان رجل أمي إلا من الله جل شأنه فأشار إلى ذلك بقوله (قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمي فعليها وما أنا عليكم بحفيظ) . وبعد مثول الحقيقة أمام العقل والبصيرة وظهورها شاخة شماء عالية ؛ ذكر وهمهم ليظهر ضآلته وحقارة شأنه بجانب ما أورد من أدلة قاهرة أولاً . فقال (وكذلك نُصِرَفُ الآيات وليقولوا درست ولنبينه لقوم يعلمون . اتبع ما أوحى إليك من ربك لا إله إلا هو وأعرض عن المشركين) . (١)

إن هذه الحقائق وتلك العلوم لا تؤخذ عن بشر قط . خاصة إذا أضفت إليها أخبار الغيب الماضي وما فصل منه من تاريخ الأمم ومواقفهم من الرسل على جهة التصحيح لما تشوه لدى أهل الكتاب . ثم أخبار الغيب المستقبل فيما أخبر الله عن حوادث مستقع فحصلت كما أخبر

سبحانه بالضبط والدقة . فأني لامرئ أن يقول ما لا يملك وقوعه وتحقيقه . .
(تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك
من قبل هذا فاصبر إن العاقبة للمتقين) . (١)

أضف الى ذلك أن القرآن حوى حقائق كونية علمية يستحيل على
علماء ذلك الزمن ان يعرفوها بمقولهم ووسائلهم العلمية البدائية . فأني
لرجل أمي في جزيرة الامية ان يتوصل اليها ؟
(قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والارض إنه كان غفورا
رحيما) . (٢)

لذلك عدّ الامام فخرالدين الرازي ذلك كله معجزة عقلية أخرى
لسيدنا رسول الله ﷺ . فذكر انقطاعه عن العلم والعلماء ووصف أحوال
قبيلته وبلده ثم قال (فاذا خرج من مثل هذه البلدة ومن مثل هذه
القبيلة انسان من غير ان يكون مارس شيئا من العلوم ولا تلمذ لأحد
من العلماء البتة ، ثم بلغ في معرفة ذات الله وصفاته وأفعاله وأسمائه
وأحكامه هذا المبلغ العظيم الذي عجز جميع الاذكياء من العقلاء عن القرب
منه بل أقر الكل بأنه لا يمكن أن يزداد في تقرير الدلائل على ما ورد في
القرآن . . ثم ذكر قصص الاولين وتواريخ المتقدمين بحيث لم يتمكن أحد
من الاعداء أن يقول : إنه أخطأ في شيء منها - بل بلغ كلامه في البعد
عن الرب والشك إلى أن قال عند مجادلهم إياه : « قل تعالوا ندع أبناءنا
وأبناءكم » إلى قوله : « فنجعل لعنة الله على الكاذبين » وقال : « تلك من
أبناء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك » .

(١) سورة هود : ٤٩ . (٢) سورة الفرقان : ٦ وقد تعرضنا لهذه
الامور تفصيلا في الكتاب الثاني « بينات المعجزة الخالدة » .

ولم يقدر أحد أن يقول إنه طالع كتاباً أو تأخذ لأستاذ ..
 وكانت هذه الأحوال الظاهرة معلومة للأصدقاء والأعداء على ما قال تعالى :
 « أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون » وقال : « وما كنت تتلو من قبله
 من كتاب ولا تحطه يمينك إذا لارتاب المبطون » وقال : « فقد
 لبث فيكم عمراً من قبله أفلا تعقلون » .

وكل من له عقل سليم وطبع مستقيم يعلم أن هذه الأحوال لا تيسر
 إلا بالتعليم الإلهي والهداية الربانية (١) .

(١) الأربعين في أصول الدين ص ٣١٠ - ٣١١ . وأما الآية (قل تعالوا
 ندع أبناءنا وأبنائكم) فهي من معجزاته العقلية أيضاً الدالة على أنه مجاب الدعوة .

الرسول متلق مأمور

إذا درست آثار ظاهرة الوحي على محمد ﷺ ورأيت أنها قد أجهدت نفسه وجسمه ؛ حتى تقاطر العرق من جبينه في اليوم الشديد البرد ، واستأثرت بلبه واهتمامه حتى أسلمته إلى غطيط شهبه الحاضرون ، ويشغل عبء الوحي عليه حتى تكاد غفذه ترضخ فخذ صاحبه التي تحتها ، أو تبرك ناقته أن كان ينطحها ضاربة الأرض بجيرانها . فإذا انجلي عنه ماغشيه تدفقت منه ينابيع المعارف الربانية والمواعظ والحكم والتشريعات السديدة بأسلوب فذ يعجز عنه البشر فرادى وجماعات . كل ذلك يثبت بمالاجدال فيه ، أن ظاهرة الوحي أمر سوي لا اعتلال معه ، الزامي لا اختيار فيه .

وإذا استوعبت في خاطرك لهجة القرآن في خطاب محمد ﷺ أدركت أنه متلق مأمور لا يملك جلب الوحي ولا دفعه في قليل أو كثير . بل إن القرآن يتنزل عليه في السفر أو الحضر راكباً أو قاعداً دون أن يعوزه إلى تروي التأمل وصمات التفكير . فانه كان يُلقي نفسه فجأة أمام تلقين ملزم سريع فيخشى أن يفوته منه شيء يستعصي عليه تداركه وتذكاره . لذلك عمد في مطلع عهده بالوحي إلى ملاحقة جبريل أثناء اللقاء الوحي عليه لفظاً لفظاً . فجاء الأمر الإلهي بترك ذلك وتفويض أمر الحفظ إلى الله ، فهو ضامن قراره كاملاً في الصدر وقراءته باللسان .

قال تعالى : (لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه . فإذا قرأناه فاتبع قرآنه . ثم إن علينا بيانه) (١) .

وقال : (فتمالى الله الملك الحق ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يلقى إليك وحيه وقل رب زدني علماً) (١) .

وإنك لتجد في آيات القرآن الكريم - من خلال الفاظ النزول بالقرآن وتنزيله - معاني وافرة ، تدلك على أن الاحساس النفسي العميق لمحمد ﷺ إنما كان حساً يقيناً بأنه ملقن مأمور بهذا الخطاب ، لا وسيلة عنده لتفاديه أو استحضاره .

قال تعالى : (إنا أنزلناه في ليلة القدر) (إنا سنلقي عليك قولاً ثقیلاً) (٢) (إنا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلاً) (٣) (وانه لتنزيل رب العالمين . نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين ..) (٤) .

ويمانى الرسول في ابلاغ القوم كتاب ربهم آلاماً مريرة من مضايقاتهم وعنتهم ، فيجيء الخطاب الالهي يشحذ همته ويدعم صموده (المص كتاب أنزل اليك فلا يكن في صدرك حرج منه ، لتندر به وذكري للمؤمنين) (٥) .

لقد منح الله عبده محمداً نعمة الرسالة من غير سابق تطلع اليها أو طموح فيها ، فألقى اليه كتابه وشرعه رحمة منه وفضلاً (وما كنت ترجو أن يلقى اليك الكتاب إلا رحمة من ربك ...) (٦) (قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والأرض إنه كان غفوراً رحيماً) (٧) .

(١) سورة طه : ١١٤ وارجع الى الحديث في الفصل الاول من الباب الثاني ص ١٨٩ - ١٩٠ .

(٢) سورة الزمل : ٥ . (٣) سورة الدهر : ٢٣ .

(٤) سورة الشعراء : ١٩٢ - ١٩٤ .

(٥) سورة الاعراف : ١ - ٢ . (٦) سورة القصص : ٨٦ .

(٧) سورة الفرقان : ٦ .

وقد منح الله تعالى كتابه للرسول ﷺ ، وهو القادر على استلاله منه دون أن يُبقي له في صدره أثرًا أب شاء تبارك وتعالى . فالرسول خاضع طائع لا يملك لنفسه في شأن الوحي شيئاً (ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك ثم لا تجدن لك به علينا وكيلاً إلا رحمة من ربك إن فضله كان عليك كبيراً) (١) .

أنزل الله هذا الكتاب بحكمته البالغة وتكفل بحفظه من التحريف والتشويه مدى الدهر . فأنى لواحد من البشر أن يزعم أن أفكاره وأقواله ستبقى بمنأى عن التشويه والتحريف ، فمثل هذا التكفل لا يتحقق إلا أن يصدر من جانب الله العزيز الحكيم .

قال تعالى (وانه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) . (٢) وقال (انا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) . (٣)

فالرسول نفسه مبلغ مأمور ، فكتاب الله مصون محفوظ .. بينما لا تجد لأحاديث الرسول تعهد منه خاص بحفظها وأنه لن يكون فيها دخیل . . لكن الله كرم الأمة برجال أفاضل ميزوا فيما بعد صحيحها من مغلوطنها وأصيلها من الدخیل عليها ، حتى سلم للأمة الإسلامية حديث نبيها كما سلم لها كتاب ربها تبارك وتعالى .

فلهجة الخطاب القرآني تشعرك بأنها تنزل من علو من ذي قوة وسطوة وعظمة وحكمة من عليم احاط علمه التام الدقيق بكل ما في الوجود جليلاً كان أم ضئيلاً .

(١) سورة الاسراء : ٨٦ - ٨٧ . (٢) سورة فصلت : ٤١ - ٤٢ .

(٣) سورة الحجر : ٩ .

قال تعالى (وَاِنَّكَ لَتَلْقَى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ) (١)

هنا ذات عظيمة تلقي خطابها من شاهر العلماء والعظمة بوطأة شديدة وهيمنة عريضة ، تلقيه الى ذات انسانية ضعيفة تركز الى التذلل والانكسار والطاعة والعبادة لتلك الذات العظيمة الآمرة الناهية .

فهل بوسع انسان أن يتقمص تلك الذات المهمة الجليلة فينطق باسمها في نفس الوقت الذي يضفي فيه على نفسه أوصاف التذلل والضعف والافتقار ؟

وهل يقع هذا مستمراً في كتاب واسع كالقرآن من غير اختلال في ذلك ولا تنافر . . . ؟

لاشك أن هذه أحوال نفسية في غاية التناقض والتضاد، فيستحيل اجتماعها في نفس انسانية سوية كانت أو شاذة . وهذا مما يدرك بالملاحظة والبداهة من الاوضاع النفسية للناس . فالانسان لا يستطيع أن يقف من نفسه موقف تلك الذات المهمة العظيمة من نفس محمد ﷺ باليوم والتوجيه علناً جهاراً على مسمع من الاجيال المتعاقبة .

قالت عائشة رضي الله عنها : أنزلت (عيسى وتولى) في ابن أم مكتوم الاعمي . أتى الى رسول الله ﷺ فجعل يقول : أرشدني . قالت : وعند رسول الله ﷺ رجل من عظماء المشركين . قالت : فجعل النبي ﷺ يعرض عنه ويقبل على الآخر ويقول (أتري بما أقول بأساً؟) فيقول : لا . ففي هذا أنزلت عيسى وتولى . (٢)

(١) سورة النمل : ٦ .

(٢) رواه الترمذي وأبو يعلى وابن جرير الطبري - تفسير ابن كثير ج ٤

لقد طمع الرسول في ايمان هذا الرجل من كبراء المشركين فأغرق في محادثته ووعظه ، وساءه أن يقطع عليه هذا الصحابي حديثه فأعرض عن إجابته ، فأزل الله هذه الآيات الى محمد ﷺ بوجهه ان لا يخص أحداً بالاقبال عليه دون غيره ، بل يساوي بين الشريف والضعيف والغنى والفقر والرجل والمرأة والسيد والمسود والصغار والكبار ، قال تعالى : (عبس وتولى ان جاءه الاغمى . وما يدريك لعله يزكى أو يذكر فتنفعه الذكرى أما من استغنى فأنت له تصدى وما عليك ألا يزكى . وأما من جاءك يسعى وهو يخشى ، فأنت عنه تلهي . كلا انها تذكرة . فمن شاء ذكره في صحف مكرمة مرفوعة مطهرة . بأيدي سفرة كرام بررة) . (١)

أقول : ان الرجل المحترم في قومه لحريص غاية الحرص على ستر خطاياه ، يخفيها لئلا تشيع وتكون مادة لمحدث الناس ، فتسقط مكانته وينقص قدره في أعينهم مما يذهب بالاحترام كله . وهذا ينبئك بأثر هذا الخطاب لا يتأتى الا من الله العزيز الحكيم .

وهذا العتب والتوجيه له أمثال في كتاب الله تعالى . منها : ما نزل في بشر بن أبيرق . وقد روى قصته قتادة بن النعمان رضي الله عنه وزبدتها : أن يشرراً كان مناقفاً ، وكان من بيت أهل حاجة في الجاهلية والاسلام ،

(١) « يزكى » : تحصل له طهارة نفسه (استغنى) كانت غنياً (فأنت له تصدى) تتعرض له رغبة في هدايته (وما عليك الا يزكى) لست مؤاخذاً في اهماله تطهير نفسه (انت عنه تلهي) تتشاغل عن الاغمى (كلا انها تذكرة) إن الوصية بالمساواة بين الناس في الوعظ وابلغ العلم تذكرة يعمل بها ويبتدى بضيائها (فمن شاء ذكره) ذكر الله تعالى في أموره جميعها فضبطها على ما يرضيه سبحانه . (تفسير ابن كثير : ٤ : ٤٧٠ - ٤٧١) .

وأن رفاعة بن زيد عم قتادة قد مُتِّبَتْ له مشربة (١) في الليل وسُرِق منها طعام ودرعان وسيفان وما يصلحها . فلما أصبح أتاني عمي رفاعة فقال : يا ابن أخي تعلم أنه قد عُدي علينا في ليلتنا هذه فمُتِّبَتْ مشربتنا، فذهب بطعامنا وسلاحنا . فتحسسنا في الدار وسألناه ف قيل لنا قد رأينا بني أميِّرق قد استوقدوا في هذه الليلة ولا نرى فيما نرى الا على بعض طعامكم ، فقال بنو أميِّرق ونحن نسأل في الدار : والله ما نرى صاحبكم إلا لبيد بن سهل ؛ رجلاً منا له صلاح واسلام . فلما سمع ذلك اختلط سيفه (٢) ثم أتى بني أميِّرق . وقال : أنا أسرق ! فوالله ليخالطنكم هذا السيف أو لتبتين هذه السرقة . قالوا اليك عنا ايها الرجل . فوالله ما أنت بصاحبها . فسألنا في الدار حتى لم نشك أنهم أصحابها . فأتيت رسول الله ﷺ ، فقلت : يا رسول الله ان أهل بيت منا أهل جفاء (٤) عمدوا الى عمي رفاعة فنقبوا مشربة له وأخذوا سلاحه وطعامه فليردوا علينا سلاحنا . وأما الطعام فلا حاجة لنا فيه . فقال رسول الله ﷺ : سأنظر في ذلك . فلما سمع بنو أميِّرق أتوا رجلاً منهم يقال له : أسير بن عروة ، فكلّموه في ذلك . واجتمع اليه ناس من أهل الدار ؛ فأتوا رسول الله ﷺ . فقالوا : يا رسول الله ان قتادة بن النعمان وعمه عمدا الى أهل بيت منا أهل اسلام وصلاح يرمونهم بالسرقة من غير بينة ولا ثبّت (٥) . قال قتادة : فأتيت رسول الله ﷺ فكلّمته . فقال : عمدت الى أهل بيت

(١) المشربة : الغرفة أو العلية .

(٢) تحسسنا في الدار : « تحسس الخبر » تطلبه وتبحثه . « الدار » المحلة التي تنزلها القبيلة أو البطن منها .

(٣) اختلط سيفه : سله من غمده . (٤) الجفاء : غلظ الطبع .

(٥) الثبّت : [بفتحين] : الحجة والبرهان والينة .

ذكر منهم اسلام وصلاح ترميمهم بالسرقة من غير بينة ولا ثبت : فرجعت ، ولوددت أني خرجت من بعض مالي ولم أكلهم رسول الله ﷺ في ذلك فأتاني عمي رفاعه ، فقال : يا ابن أخي ما صنعت ؟ فأخبرته بما قال لي رسول الله ﷺ . فقال : الله تعالى المستعان . فلم نلبث أن نزل القرآن : (إنا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيماً . وامتغفر الله إن الله كان غفوراً رحيماً . ولا تجادل عن الذين يختاتون أنفسهم إن الله لا يحب من كان خواناً أثيماً . يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم اذ يُبَيِّنُونَ ما لا يرضى من القول وكان الله بما يعملون محيطاً ، ها أنتم هؤلاء جادلتم عنهم في الحياة الدنيا ، فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة ؟ أم من يكون عليهم وكيلاً . ١) .

فلما نزل أني رسول الله ﷺ بالسلاح فرده الى رفاعه ، فلما أتيت عمي بالسلاح وكان شيخاً قد عسا في الجاهلية (٢) ، وكنت أرى اسلامه مدخولاً ، قال : يا ابن أخي هو في سبيل الله . فمرفت أن اسلامه كان صحيحاً (٣) .

(١) سورة النساء : ١٠٥ - ١١٠ وانظر بقية الآيات المتصلة بالقصة في سورة النساء : ١١١ - ١١٣ .

(٢) عسا في الجاهلية : كبر وأسن فيها من « عسا العود » يس واشتد وصلب .

[٣] وتمة الحادثة : [ثم لحق بامر بالمركين فنزل على سلافة بنت سعد فأنزل الله تعالى [ومن يشاقق الرسول [الآية . ثم ان حسان بن ثابت رضي الله عنه هجا سلافة فأخذت رحله فوضعت على رأسها ، ثم خرجت فرمت به في الابطح . ثم قالت : أهديت الي شعر حسان ، ما كنت تأتيني بخير [اه ملخصاً » =

أخرجه الطبري في تفسيره والترمذي في السنن عند تفسيره الآية ،
وقال : هذا حديث غريب لا نعلم أحدا أسنده غير محمد بن سلمة الحراني
ورواه بن اسحاق مرسلًا ورواه ابن المنذر وأبو الشيخ الاصبهاني في
تفسيريهما . ورواه الحاكم في مستدركه وقال : وهذا حديث صحيح على
شرط مسلم ولم يخرجاه (١) .

وليس بخاف على عاقل أن المرء الذي يجب أن يطاعَ ويحرص على
كسب احترام الملأ وثقتهم ، ليضفي على نفسه هالةً من الوفاق والعبقريّة
توحي بأن آراءه صائبة لا تخطئ ووصاياه سديدة لا تخيب . لذا فأن
رجلا عاديا - حاز بعض ما لمحمد في أنفس قومه - ليجتنب بمحذر بالغ
عتاب نفسه أو لومها علنا جهارا ؛ مخافة أن تنحط مكانته ويفقد تأثيره
في القوم . وبملاحظة هذه الحقيقة ؛ التي لا تتخلف بحال ؛ يحكم العقل
السليم بأن محمداً ﷺ كان يتلقى القرآن من علو من قوي مهيمن
عليم حكيم .

= و « الأبطح » أبطح مكة أو بطحاء مكة : مسيل واديا . وأول شعر حسان فيها - كما
في ديوانه - قوله :

وما سارق الدرعين إن كنت ذا كراً بذئ كرم من الرجال أوداعه
فقد أنزلته بنت سعد فأصبحت ينزعها جلد أسرتها وتنازعه

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري ج ٩ ص ١٧٧ - ١٨٣ ..
وتفسير ابن كثير ج ١ ص ٥٥٠ - ٥٥١ وروح المعاني ج ٥ ص ١٢٥ - ١٢٧ .

الرسول يبرأ من علم الغيب إلا بالوحي

وهذا رسول الله ﷺ يبادر قومه الى تعظيمه واحاطته بهالة من العلم الفريد والعرفان النادر الذي لا يكون للبشر ، فيكشف لهم الحقيقة جلية غير عابئة بأحد أن تسول له نفسه اساءة الظن أو الاستخفاف ب مقام النبي الكريم ﷺ . فقد نشطت جواريات صبيحة عرس الربيع بنت معوذ الانصارية بالضرب بالدف وجعان يذكرن آباءهن من شهداء بدر حتى قالت جارية منهن : وفينا نبي يعلم ما في غد . فقال ﷺ : (لا تقولي هذا . وقولي ما كنت تقولين) (١) .

وتنزل الامر الالهي مشعرا بعلياء وعظمة الذات الالهية الآمرة المتصرفة وبضعف ذات محمد وكونه متلقيا مأمورا أن يزبح عن الاعين كل غشاوة تحيل للناظرين أن في شخصه قدرة الهية أو صفة ربانية . قال تعالى : (قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله . ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء . إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون) . (٢)

هنا تحديد لشخصية محمد الانسانية وتحديد لمهمته النبوية فهو متلق مأمور بالتبليغ وبالصبر على ما ينتابه في سبيل دعوته ، لا يطلع على شيء من الغيب إلا أن يعلمه الله جل شأنه ، ولا يملك لنفسه جلب النفع ولا النجاة من الضر إلا أن يشاء الله رب العالمين . وما ذاك إلا لأنه بشر عادي اختاره الله لرسالته ، فما عليه الا اتباع الوحي الالهي والتقيد به بدقة تامة . (قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم

الغيبَ ولا أقولُ لكم إني ملكتُ إن أتبعُ إلا ما يوحى إليَّ . قلْ هلْ يستوي الأعمى والبصيرُ ؟ أفلا تتفكرون !) (١)

ويقرر الرسول ﷺ أنه بشر وأنه - فيما لا علاقة له بالشرع ولم يوحَ إليه بشأنه خاصة - يأخذ بظواهر الأمور فيحكم بوفقها ، ولا يعوّل في ذلك على علم غيبي . فقد روى الشيخان رضي الله عنها عن أم سلمة زوج النبي ﷺ أن رسول الله ﷺ سمع خصومة بباب حجرته فخرج اليهم فقال : (إنما انا بشر وانه يأتيني الخصم فلعل بمضكم أن يكون أبلغ من بعض فأحسب أنه صادق فأقضي له بذلك . فمن قضيتُ له بحق مسلم فالما هي قطعة من النار فليأخذها أو ليتركها) . (٢)

وفي رواية أبي داود عن طريق الثوري : (فأقضي له على نحو — مما أسمع) .

ورواه الامام أحمد قريباً من لفظهما من طريق أسامة بن زيد وفي أوله : (جاء رجلان من الأنصار يختصمان الى رسول الله ﷺ في موارث بينهما قد درستُ ليس عندهما بينة) وزاد في آخره : (فبكى الرجلان وقال كل منهما : حقّي لأخي ، فقال رسول الله ﷺ .) (أما إذ قلتما فاذهبا فاقتما ، ثم توخيا الحق بينكما ثم امسما ، ثم ليُحللْ كل منكما صاحبه) .

ورواه أبو داود من طريق أسامة بن زيد وزاد فيه (إني إنما أقضي بينكما برأيي فيما لم ينزل عليّ فيه) (٣)

(١) سورة الانعام : ٥٠ .

(٢) هذا لفظ البخاري في صحيحه : كتاب الاحكام — باب من قضى له بحق أخيه فلا يأخذه . وهو عنده بلفظ آخر قريب في نفس الكتاب وانظر صحيح مسلم كتاب الاقضية باب الحكم بالظاهر والالحن بالحجة .

(٣) فتح الباري ج ١٣ ص ١٣٩ وما بعدها . وتفسير ابن كثير ج ١ ص ٥٥٠ .

سجية الرسول دليل على نبوته :

لم يكن الرسول - قبل البعثة ولا بعدها - يتكلف أو يتصنع أن يهر الناس برفيع مقامه حرصاً على احترامهم ؛ انما كان يرسل نفسه على سجيته ، لا يأبه لحد الناس وثناهم ولا لقدحهم وهجائهم . وقد أمره الله بتذكيرهم بهذا - فهو معلوم لهم من قبل - ليقم به تعالى دليلاً يهديهم الى الحق ، وشاهداً ماثلاً يدفعهم الى التفكير والنظر والاعتبار ، فيأثمهم بالتسليم لمحمد ﷺ بصدقه في نبوته . قال تعالى (قل ما أسألكم عليه من أجرٍ وما أنا من المتكلفين إنَّ هوَ - إِلاَّ ذِكْرٌ للعالمين ولتعلمنَّ نبأه بعدَ حينٍ) (١) .

فقد أمر الله محمداً ﷺ بأن يورد على الجاحدين دليل صدقه ونزاهته فيقول لهم : اني لا أسألكم على الدعوة الى الله وتبليغ القرآن مكافأةً دنيويةً ماديةً قليلةً كانت أم جليلة . فلست من أصحاب الاغراض الشخصية والمطامع النفعية . كما أني لا أطلب مكافأةً معنويةً من اجلال أو تعظيم - فلست من الذين يتصنعون ويتحلون بما ليسوا أهله . وما عرفتموني قط متصنعاً ما ليس فيّ أو مدعيّاً ما ليس عندي . فهل يعقل أن أنتحل النبوة وأتقول القرآن وأنسب الى الله ما ليس لي به علم . . . ؟ (٢)

انما كان "جل" هم "رسول الله ﷺ" أن يتحقق بالعبودية ويظهر على واقعهم عبداً خالص الطاعة والعبودية لله . فاذا انحاز الناس الى تعظيمه فنسبوا اليه ما ليس محققاً فيه ، اعترضهم ممانعاً مجاهراً بحقيقته البشرية . فقد أحاط بعض المؤمنين محمداً وذريته بهالة من العظمة الالهية فنسبوا له التأثير في الكواكب ، كان ذلك يوم توفي ولده ابراهيم عليه السلام

(١) آخر سورة ص : ٨٦ - ٨٨ .

(٢) انظر روح المعاني : ج ٢٣ ص ٢٠٨ - ٢٠٩ .

فانكسفت . ففرحوا فرحاً عظيماً . فبعض أنها كسفت لوفاته . انها فرصة نادرة
 سجدت لحمة كسفت . فبعض التظيم الالهى بغير حساب . . لكنه حالاً
 بلفه تقول المسجد مسرعاً مهتماً به بالغ الاهتمام ولم ينتظر
 موعد الصلاة لرفض ذلك بإباء عزيز وتواضع جم ، فخطب
 معلناً عن وبيّن أن حادثة كونية حصلت بمشيئة
 الله تعالى الكون كله ، وهي من العلام الدالة على
 عظيم قدرته لها صلة بوفاة ولده ابراهيم :

عن رضي الله عنه قال : كسفت الشمس على عهد
 رسول الله ابراهيم ، فقال الناس : كسفت الشمس لموت
 ابراهيم ، قال رسول الله ﷺ : إن الشمس والقمر لا ينكسفان
 لموت أحد من أمتي رأيتم فصلوا وادعوا الله .

وعن كنا عند النبي ﷺ فانكسفت الشمس
 فقام رسول الله ﷺ ردائه حتى دخل المسجد ، فدخلنا فصلى
 بنا ركعتين فقال ﷺ : إن الشمس والقمر لا
 ينكسفان لموت أحد من أمتي فصلوا وادعوا حتى يكشف ما بكم .

وفي رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : إن
 الشمس والقمر لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته ، ولكنها آيات من
 آيات الله فادعوا (١) .

(١) انظر البخاري في صحيح البخاري : في أبواب الكسوف وانظر
 نحوها في صحيح مسلم كسوف ، فقد روى مسلم مناسبة خطبة النبي : ان
 الناس قالوا : كسفت الشمس ابراهيم عن جابر وعن أبي مسعود . وتشير إلى ذلك
 رواية ابن عمر [انظر فتح الباري ج ٢ ص ٣٥٩] . =

فأفاد الحديث أن الشمس والقمر علامتا
عظيم قدرة الله تعالى ووحدانيته . فهو وحده
حسب حكمته ومشيبته فالكون كله في قبضته ولا
يحدث فيه حادث إلا بأذنه . ومن جملة ذلك
الطبيعي وما ينجم عنها من ليل ونهار على الأرض
الذي لا يستطيع له العباد رداً ولا تبديلاً . قال
والنهار والشمس والقمر . لا تسجدوا للشمس
الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون (١) .

أنى لمحمد رسول الله أن يدعي علم الغيب
التأثير على الكواكب وهو - كما أيقن من صميم
مؤمن ، يرى قبضة الهيمنة الالهية آخذة بتلابيد
ولا انفكاكاً إلا بأداء الرسالة بصدق وأمانة
الإفاويل لأخذنا منه باليمين . ثم لقطعنا منه
عنه حاجزين (٢) .

ولو قال محمد شيئاً من عنده فنسبه إليه
لأمسكناه بيمينه . فما يقدر أحد منكم عندئذ أن

= وروى مناسبة خطبة النبي أيضاً الامام أحمد في
رجاله الصحيح . وروى المناسبة أيضاً الطبراني في الكبير وفي
ذكره ابن حبان في الثقات وبقية رجاله رجال الصحيح (انظر
٢١٠ لعل بن أبي بكر الهيثمي طبع مكتبة القدسي -
ومعنى قوله : (يجر رداءه) أي لم يستكمل لبسه
ذلك من رواية النسائي - انظر الفتح ج ٢ ص ٣٥٨ .

(١) سورة فصلت : ٣٧ . (٢) سورة

وهذا عند
فان عين
- وكل ر
بالمعجزات
قوة أخذ الله وعدم الاقتدار على الافلات منه ،
فان عين
- وكل ر
بالمعجزات

وم
إلا موقف
يفيض على
فيها إيماناً
الطائفية
النظر في
اهتبال الف
وبرسالته
في كشف حقيقة الكسوف والخسوف
في موقف الأمانة ... موقف نبوي جليل ..
اثباتاً لنبوة محمد ﷺ وثقة بها . ويستجيش
قفاً ، يتجاوز حصون العصبية ولا يمسأ بالأحقاد
الشاعر النصراني إلياس قنصل يُعرفه لإنعام
وها أن محمداً نبي مخلص صادق ورع يترفع عن
لغة صرح أبحاد شخصية ، فيعلن إيمانه به نبياً
نشد إلياس قنصل (٢) :

ملوءاً	بشدائد الآلام والأحزان
لروحه	وشبابه ما زال في الريعان
تأبى للسم	وعلى جفونك مدمع الشكلا
متنبئ	أغنته عن عمل وعن برهان
رسالة	للحق كان الحق في بطلان

ج ٤ ص ٤١٧ وروح المعاني ج ٢٩ ص ٥٤ . (١)

من أدباء المهجر الجنوبي وشاعر واسع الآفاق ؛ خاض في
وقاض بماطفة وطنية ملتهبة . وهو كاتب وناقد وخطيب
١٩١٤ م (تاريخ الشعر العربي الحديث ص ٣٣٨-٣٣٩)
ومترجم . ولا
وأدبنا وأدباؤنا

حماية الربهة خاصة للرسول

كلاء الله رسوله محمداً ﷺ بمناية دينهم المسلمين ،
 حفظه في مكة من كيد الكائدين وشر الحساد ، وحفظه بأطافه
 خال دون صنديد قريش أن يبطشوا به مع شدة الكيد والبغضين .
 لقد هيا الله بقدرته وحكمته العالية أسباباً عظيمة لحفظه .

١ - حمايته في مكة وأثناء الهجرة :

لقد صان الله محمداً في ابتداء الدعوة ، وكان رئيساً
 مطاعاً في قريش . فأثبت الله في قلبه حجة رسوله ﷺ حسناً ، على
 الرغم من إقامته على دين قومه . وقد أقام على دينه ، يبره العرب
 بترك دين الأباء والاجداد . وكان مهيباً فيهم ، فكانت عظمته عندهم .
 ولو كان أسلم لاجترأ عليه كبارهم وأشدائهم ، لولا أن الله تعالى طالب ناله
 المشركون من النبي ﷺ أذى يسيراً . ثم لما أرادوا أن يقتلوه ،
 فعزموا أن يقتلوه على يد فئة من جبابرة شباب قريش ، من بطون
 قريش جميعها ، ليضربوه ضربة رجل واحد . فاستجاب الله لنداء
 وقد هيا الله له الانصار فبايعوه على الاسلام على اسم الله ، فثرب ،
 فاذا وصلها منعوه ودافعوا عنه . فلما بلغ قريش ، أضمرت له
 قريش سفك الدم واستئصال الشأفة أذن الله ﷻ لرسوله ﷺ في ثرب ،
 فأفلت من قبضة القوم وهم على أتم حذر وأقصى استعداد .
 فلجأ إلى غار في جبل ثور بصحبة الصديق ، فحفظ الله ﷻ رسوله ﷺ ،
 فجئن القوم وطار صوابهم ، وامتطوا صهواتهم ، فبحثوا في البحث
 عنها في كل واد وراية وغار ، حتى بلغوا غار ثور ، فحفظ الله ﷻ رسوله ﷺ على فوهته ،

فلو ألقى أحدهم نظرة أسفل قدميه لشاهد رسول الله وصاحبه الصديق .
لكن عناية الله وحمايته حققتها وحجبت عنها الابصار .

(عن أنس عن أبي بكر رضي الله عنه قال : قلت للنبي ﷺ وأنا في الغار : لو أن أحدهم نظرَ تحت قدميه لأبصرنا . فقال : ما ظنك يا أبا بكر بأثنين الله ثالثهما) (١) .

وقد خلد الله ذكرى هذه العناية الخاصة لنبيه محمد ﷺ تحت المؤمنين على الخروج للجهاد ، وحذرهم من التثاقل الى الملذات والمتع . ثم قال تعالى : (إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا . فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم) (٢) .

وفي الطريق إلى يثرب حيث تكن مخاطر مريعة ، لقي الرسول حماية إلهية ظاهرة . وهي أبرز ما تكون في الخلاص من فتك الفارس المشرك الشديد المراس سراقبة بن مالك بن جشم المدلجي . ونستخلص من حديثه ما يلي :

(قال سُرَاقَة : جاءنا رسول كفار قريش يجعلون في رسول الله ﷺ وأبي بكر دية كل واحد منها من قتله أو أسره) (٣) . فبينما أنا

(١) رواه البخاري ومسلم . انظر صحيح البخاري . باب مناقب المهاجرين وفضلهم وباب هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى المدينة .
(٢) سورة التوبة : ٤٠ .

(٣) يعني أن من يحيى بأحدهما حياً أو ميتاً تمنحه قريش مائة من الابل جائزة له .

جالس في مجلس من مجالس قومي بني مدلج أقبل رجل منهم حتى قام علينا ونحن جلوس . فقال : يا سراقه إني قد رأيت آنفاً أسودة بالساحل أراها محمداً وأصحابه . قال سراقه : فمرفت أنهم هم ، فقلت له : انهم ليسوا بهم ، ولكنك رأيت فلاناً وفلاناً انطلقوا بأعيننا يبتغون ضالة لهم ثم لبثت في المجلس ساعة ثم قمت فدخلت فأمرت جاريتي أن تخرج بفربي وهي من وراء أكمة فتجسسها عليّ ، وأخذت رحلي فخرجت من ظهر البيت . . حتى أتيت فرسي فرفعتها تقرب بي (١) حتى دنوت منهم ، فعمرت بي فرسي فخررت عنها ، فقامت فركبت فرسي . . حتى إذا سمعت قراءة رسول الله ﷺ وهو لا يلتفت وأبو بكر يكثر الالتفات ساخت يدا فرسي في الأرض حتى بلغت الركبتين . فخررت عنها .. فناديتهم بالأمان . فوقفوا فركبت فرسي حتى جئتهم ووقع في نفسي حين لقيت ما لقيت من الحبس عنهم أنه سيظهر أمر رسول الله ﷺ ، فقلت له : إن قومك قد جعلوا فيك الدية وأخبرتهم أخبار ما يريد الناس بهم . وعرضت عليهم الزاد والمتاع فلم يرزآني (٢) ولم يسألاني إلا أن قال : أخف عنا . فسألته أن يكتب لي كتاب أمن ، فأمر عامر بن فهيرة فكتب في رقعة من أدم ثم مضى رسول الله ﷺ (٣) .

٢) حمايته من الشدائد المهلكة في الغزوات :

لنرب محمد ﷺ يجتاز مع المؤمنين مسافات شاسعة ليلتقوا عدوهم (عن جابر رضي الله عنه قال : كنا إذا أتينا في سفر على شجرة

(١) قرب الفرس : عدا عدواً دون الامراع . (٢) يرزآني : يقصاني .

(٣) رواه البخاري في صحيحه : باب هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى المدينة . وللحديث عنده روايات أخر منها عن البراء بن عازب وأنس بن مالك رضي الله عنهما .

ظليلة تركناها لرسول الله ﷺ . فلما كنا بذات الرقاع ، نزل نبي الله تحت شجرة وعلّق سيفه فيها . فجاء رجل من المشركين فأخذ السيف فاخطره وقال للنبي ﷺ : أتخافني ؟ قال : لا قال : فمن يمنعك مني ؟ قال : الله يمنعني منك ، ضع السيف ، فوضعه (١) .

فالرجل غورث بن الحارث قد تفرد برسول الله ﷺ وهو أعزل من السلاح وأصحابه في غفلة عنه . وهو يعلم ما في قتله من حسن الوقع في أنفس قومه المشركين ، فأمسك على الرغم من ذلك . فقد شاهد عظيم ثباته وعرف أنه حيل بينه وبينه . فتحقق له صدقه ، وعلم أنه لا يصل إليه فألقى السلاح وأمكن من نفسه . فعفا عنه رسول الله ﷺ . ووقع في رواية ابن اسحاق أنه أسلم بعد . وفي رواية الواقدي أنه أسلم ورجع إلى قومه ، فاهتدى به خلق كثير (٢) .

وللحديث رواية أخرى جاء فيها (فقال رسول الله ﷺ : الله يمنعني منك ؛ ضع السيف ، فوضعه ، فأنزله الله عز وجل (والله يعصمك من الناس) (٣) .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : (كان النبي ﷺ يحرس حتى نزلت هذه الآية (والله يعصمك من الناس) . قالت : فأخرج النبي

(١) اختط السيف : استله . يمنك مني : يحملك ويحفظك مني . وهذا الحديث قد رواه البخاري ومسلم وابن حبان . وقد روى البخاري أن الرجل هو غورث بن الحارث . انظر : كتاب المغازي من صحيح البخاري باب غزوة ذات الرقاع .

(٢) فتح الباري ج ٧ ص ٣٠٢ .

(٣) رواه ابن مردويه وابن حبان في صحيحه . انظر تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٧٩ .

ﷺ رأسه من القبـة وقال : يا أيها الناس انصرفوا فقد عصمنا الله عز وجل (١) .

حصلت تلك الحادثة في غزوة ذات الرقاع سنة أربع من الهجرة . وأصح الأقوال في سبب تسميتها ما رواه البخاري من طريق أبي موسى الأشعري . قال : خرجنا مع النبي ﷺ في غزاة ونحن ستة نفر بيننا بعير نعتقه . فنقبت أقدامنا ونقبت قدمي وسقطت أظفاري فكنا نلف على أرجلنا الخرق فسميت غزوة ذات الرقاع لما كنا نعصب من الخرق على أرجلنا (٢) . وهي الغزوة التي شرع الله فيها لعباده صلاة الخوف (٣) ويثبت هذا فيك يقيناً راسخاً ان الرسول ﷺ كان محاطاً بحماية الهيبة خاصة . وهذا ما يفيد نص الآية النازلة في تلك المناسبة (يا أيها الرسول بلّغ ما أنزل اليك من ربك وإن لم تفعل فإنا بلغت رسالته والله يعصمك من الناس . إنه الله لا يهدي القوم الكافرين) (٤) .

هذه كفالة لا يملكها بشر وحماية خاصة يعجز عن تحصيلها أصحاب الشوكة والغلبة والسلطان . ذلك أنها حماية إلهية مضمونة التحقق (والله يعصمك من الناس) . ولا تنس أن كثيراً من رؤساء ووزراء الدول

(١) رواه ابن أبي حاتم والترمذي وقال : هذا حديث غريب . وهكذا رواه ابن جرير والحاكم في مستدركه من طريق مسلم بن إبراهيم . ثم قال الحاكم : صحيح الاسناد ولم يخرجاه . انظر ابن كثير ج ٢ ص ٧٨ .

(٢) انظر الروض الانف للسبلي ج ٢ ص ١٨١ - ١٨٢ وسيرة ابن هشام ج ٣ ص ٢١٤ - ٢١٥ .

(٣) انظر فتح الباري ج ٧ ص ٢٩٥ واقرأ الآية ١٠٢ النساء .

(٤) سورة المائدة : ٦٧ .

الكبرى والصغرى ممن احتموا بالشوكة والسلاح ، وأتقن خطط تنقلاتهم رجال الأمن والمباحث والخبرات ، واتخذوا كل أسباب الحيلة والحذر ، وضربوا حولهم أطواقاً وحصوناً من أمنع أشكال الحماية الممكنة ، تخطف أرواحهم يدُ الاغتيالِ على حين تنبه ويقظة من الجمع كله ، ومن حيث احتسبوا وأخذوا بالحيلة والحذر والتأهب !! (١) .

فمن يجرؤ أن يزعم لنفسه مثل تلك الحماية التي لا تتخلف ..؟؟!

ولا يغيبُ عن بالك ما حظيَ به الرسول ﷺ من حماية الله في أحد وحنين وغيرها من الهلاك ، على الرغم مما أحاطَ به من شدائد فقد دام رجال هوازن المشركون جيشَ المسلمين في غلس الصبح عند وادي حنين ، وفزع المسلمون وارتدوا على أعقابهم مدبرين ؛ على الرغم من تفوقهم على العدو كثرة وعتاداً . وثبت رسول الله ﷺ في قلعة قليلة دون المائة من أصحابه وجعل رسول الله ﷺ يركض بفلته نحو العدو وقد أمسكَ العباسُ بركابها خشية أن تسرع . ولما بدأ المسلمون يمودون تلبيةً لنداء العباس وجدوا رسول الله يقول : (إلى عباد الله إلى أنا رسول الله) وكان يصولُ ويجول ويقارع الفرسان وهو ينادي فيهم (أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب) وقد خلد الله ثبات رسوله ونجاته في كتابه العزيز (٢) .

(١) شواهد هذا كثيرة في الحاضر والفاير .

(٢) انظر سورة التوبة : ٢٥ - ٢٦ ، وتفسير ابن كثير ج ٢ ص ٣٤٣ وراجع سيرة ابن هشام . وانظر ما كتبه عن شجاعته في الفصل الثالث من الباب الاول ص ١٢٤ - ١٢٨ .

فأنت ترى أن الأدلة تترى متظاهرة لهداية من لم تخالط بشاشة
الايان قلوبهم بعد ، ومتعاضة لتمكين المؤمنين وزيادتهم إيماناً على إيمانهم.
بإظهار حماية الله لرسوله من الشدائد المهلكة في الغزوات وحفظه من
أسنة غادر المؤامرات .

٣ - حمايته من مؤامرات الغدر :

ومن الأدلة القوية على حماية الله رسوله خاصة ، ما ثبت في البخاري
وغیره ، أن امرأة قدّمت له بخير شاة مسمومة ، فتناول منها لقمة
فمضغها فلم يسفها ، ونهى أصحابه عنها وأعلمهم أنها مسمومة . لكن
بشر بن البراء كان قد مضغ لقمة فأساغها فأودت بحياته (١) .

هذه الحماية الالهية الدائمة الظاهرة لهي أبلغ علامة على أن الله
رعاه وحماه لمكانته العظيمة عنده ، وليؤدي المهمة الجليلة التي أوكلها الله
إليه - مما يثبت صدقه في نبوته . لقد عصم الله رسوله من العدوان والقتل
فأمتع به الأمة ، ونسأ في عمره حتى بلغ الرسالة وأدى الامانة وجاهد
في الله حق جهاده . فقد أنجز الله له وعده الذي وعد (والله يعصمك
من الناس) فأقام لنوي البصائر دليلاً آخر على نبوته بتحقيق إخباره
عن ضمان سلامته . ومن أصدق من الله حديثاً .. !!

(١) فتح الباري ج ٧ ص ٣٤٨ . وانظر في صحيح البخاري : أواخر كتاب
الجزية وكتاب المغازي - باب الشاة التي سمّت للنبي صلى الله عليه وسلم .

الفصل الثالث

محي محمد ﷺ على السنن الإلهية في بعثة الرسل

- أصول رسالته ﷺ كرسالاتٍ سابقه .
- نبوة محمد ﷺ مصدقة للأنبياء السابقين .

بعث الله محمداً ﷺ على السنن الإلهية التي بعث عليها أسلافه من الرسل . وقد بشر الله به على لسان سابقيه من المرسلين . وسيأتيك تفصيل ذلك . وأنزل عليه رسالة هي في أصولها كرسالات سابقيه من الرسل عليهم الصلاة والسلام . وأيده بالمعجزات وبعثه مصدقاً لهم داعياً للإيمان بجميعهم . وكل من هاتيك الأوصاف يقيم الدليل العقلي الملزم على نبوة محمد ﷺ .

أصول رسالته ﷺ كرسالات سابقيه

لم تكن دعوة الرسول ﷺ فذة في جنسها فريدة في نوعها وجملة محتواها . فهي دعوة للإيمان بالله وحده وعبادته وطاعته ونبذ تأليه غيره أو عبادة سواه . وعلى هذه الدعوة تتابع الرسل قبله يبلغون رسالة الله التي أوحى إليهم ، ويستدلون عليها بالمعجزات الباهرات ، التي حباها الله بها تصديقاً لدعوتهم . وإنما كان إرسال محمد ﷺ إلى العرب وغيرهم كإرسال سائر من قبله من الرسل إلى أقوامهم لدى ضلالتهم واحتياجهم إلى رحمة الله وهدايته . ومن أقرب ما عرف العرب وسمعوا من مجاورهم اليهود بعثة موسى إلى فرعون وملائه وإلى قومه بني إسرائيل . قال تعالى : (إنا أرسلنا اليكم رسولاً شاهداً عليكم كما أرسلنا إلى فرعون رسولاً . فعصى فرعون الرسول فأخذناه أخذاً بيلاً) (١) .

فليست بعثة محمد ﷺ حادثة فريدة أو شاذة . فقد آمن قبل العرب أقوام برسلمهم واتبعهم ، فأبدلهم الله بالذل عزاً وبالظلام نوراً ، فما على العرب وسائر الأمم إلا أن يتأسوا بشأن هذا الرسول بمن قبلهم

من أقوام الايمان . قل تعالى : (قل ما كنتُ بدعاً من الرسل وما أدري ما يُفْعَلُ بي ولا بكم إن اتبع إلا ما يوحى إليّ وما أنا إلا نذير مبين . قل أرأيتم إن كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثليه فآمن واستكبرتم إن الله لا يهدي القوم الظالمين) (١) .

والابداع : انشاء صنعة بلا احتذاء واقتداء ، ويطلق البدع على البدع بمعنى الفاعل والمفعول . وكذلك البدع يقال لها جميعاً . ومعنى قوله (ما كنت بدعاً من الرسل) لست مبدعاً - على المفعولية ، ينفي تفرد بتلقي رسالة الله فهو يثبت تتابع الرسل قبله ، والأظهر أن المراد : لست مبدعاً فيما أقوله - أي على الفاعلية - بمعنى لم آت بشيء ابتدعته من عندي خالفتهم فيه . وإنما جئت بما جاءوا به من الدعوة إلى توحيد الله والايمان بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر . وقد بين بذلك أن جنس الرسل معروف ، وقد تقدم له نظراء وأمثال . فهو معتاد في الأدمين وإن كان قليلاً فيهم . وقد جاء محمد بجنس ما جاءوا به ، واستدل على صدقه فيه بأعظم مما استدلوا به من دلائل ومعجزات فهو أحق بالتسليم له بالنبوة من غيره . وإذا لم يكن للعرب سابق عهد بالنبوة من زمن إسماعيل عليه السلام ، فهام أولاء بنو إسرائيل وهم الواقفون على شئون هداية الله تعالى وأسرار الوحي ، قد شهد منهم شاهد عظيم الشأن بالصدق على مثل القرآن الكريم . والمراد بالمثل تلك المعاني المنطوية في التوراة من التوحيد والوعد والوعيد ، وأن الله بعث بشراً وأنزل كتباً وما إلى ذلك . وهي - في الحقيقة - عين ما في القرآن ، لكن أطلقت

الماثلة عليها باعتبار تأديتها بمبارات أخرى لا أعجازَ فيها ، كما يُعربُ عنه قوله تعالى : (وإنه لفي زُبُرِ الأولين) (١) وليس المقصودُ بالشاهدِ واحداً معيناً - كقول من قال : انه عبد الله بن سلام ، فانه ليس بشيء لأن الآية مكية وعبد الله بن سلام من أحبار اليهود أسلم بالمدينة المنورة - لكن المقصودُ جنسُ الشاهدِ الذي يجب تصديقه ، سواء أكان واحداً اقترن خبره بما يدل قطعاً على صدقه أم كان عدداً يحصل بخبرهم العلم اليقيني (٢) .

وزبدة القول : إن بني إسرائيل قد آمنوا جميعاً بنبوة موسى وبما أنزل الله عليه . فكان في إيمانهم شهادة عظيمة على صحة جنس الدعوة التي بعث بها محمد ﷺ ، وبالتالي على صحة دعواه خاصة ؛ فانها أحد أفراد الجنس الذي شهدوا بصدقه ، ﷺ .

نبوة محمد ﷺ مصرفة لمرشديه السابقين

إن جميعَ رسالات الله ذات أصولٍ واحدة في العقائد والمواظع والأخلاق . فليست - بحمد الله - واجداً فيها شيئاً من التناقض أو التناقض، فهي قاطبة تدعو إلى الإيمان بالله وحده والإيمان بملأئكته ورسله وكتبه واليوم الآخر ، وتحض على فعل الخير وتنبه عن الشر ، وترغب في محامد الأخلاق وتنفر عن المذموم منها ، وتأمر بالاستسلام لأمر الله وشرعه في جميع الحركات والسكنات (أن الدين عند الله الاسلام) (٣) فالدين بهذا المعنى واحد ، لم يتبدل ولم يتغير من عهد آدم إلى بعثة محمد ﷺ .

(١) سورة الشعراء : ١٩٦ .

(٢) المفردات في غريب القرآن ص ٣٨ - ٣٩ وروح المعاني ج ٢٦ ص ٨ - ١١

والنبوات ص ١٥ - ١٩ . (٣) سورة آل عمران : ١٩ .

فالقرآن المجيد قد احتوى على تلك الأسس جميعها ، فجاء مصدقاً للأنبياء قبله ولما نزل عليهم من كتب الله تعالى . كما تضمن إضافة إلى ذلك من التفاصيل التشريعية وجزئيات الأحكام والسمعة في المواعظ ما يناسب زمن بعثة محمد ﷺ وكون رسالته خاتمة رسالات الله تعالى وأنها عامة للناس جميعاً في كل زمان ومكان . واشتمل القرآن على ذلك دليل يلزم أهل الكتاب بالإيمان به والتسليم بنبوة صاحبه عليه الصلاة والسلام . فإن التوراة قد بشرتهم بخاتم الرسل الذي يأتيهم من الله بشرع (يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم)^(١) . والقول بأن التوراة قد سرت أوصاف القرآن الكريم على هذا النحو المميز لا يتأتى من رأي محمد ﷺ ؛ إنما هو بوحى من الله العزيز العليم الذي أنزل التوراة من قبل . وتلك أوصاف مميزة للكتاب الكريم إضافة إلى اتصافه بالهداية للحق في أصول الدين .

ووجه تعالى إلى اليهود خطاباً يلزمهم بالإيمان برسالة محمد ﷺ وبالتصديق بالقرآن العظيم ، فقال : (يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم وإياي فارهبون . وآمنوا بما أنزلت مصدقاً لما معكم ولا تكونوا أول كافر به ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً وإياي فاتقون)^(٢) .

(١) سورة الاعراف : ١٥٧ . وتبشير الكتب السماوية ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم في الفصل الآتي .

(٢) سورة البقرة : ٤٠-٤١ . وانظر تفسيرها في الكشاف للزمخشري - وأنوار التنزيل لليضوي .

فذكر سبحانه وتعالى اليهود بكافة نعمه التي أسبغ عليهم العامة منها والخاصة ، ليحملهم على طاعته وشكره والايان برسالة رسوله محمد ﷺ والعمل بشريعته ؛ وفاء للعهد الذي أخذه الله عليهم . وقد وعدم الله على ذلك حسن الثواب ثم خوفهم ذاته العلية ، أن أرهبون في جميع ما تأتون وتذرون . يعني فاحفظوا هذا العهد ، وارهبون أيضاً في نقضه ، فآمنوا بالقرآن العظيم الذي أنزلته مصدقاً للتوراة التي بين أيديكم . فأنتم تكررون مراجعتها والوقوف على ما في تضاعيفها ، مما أفادكم علماً محققاً بتصديق القرآن لها . ويتمثل هذا التصديق في أن الله تعالى أنزله حسبما نعتة فيها من قبل ؛ ومطابقاً لها في أصل الدين وقواعد التوحيد وأخبار الامم والمواعظ والحكم - كما أسلفنا - فصدق نبوءة التوراة انما يتحقق في القرآن . وهذا دليل أنه تنزيل الحكيم الحميد .

ومن لطائف التعبير أن الله جعل القرآن مصدقاً للتوراة وليس مصدقاً بها . وعندي ان في هذا إشعاراً بليفاً بأنه كتاب الله حقاً ، وأنه اشتمل على الاخبار عنها . فهي بحاجة لتصديقه إياها ، وهو بالتالي مستغن عن تصديق الغير له ، فدليل صدقه ذاتي قائم فيه ، وهذا تذكير باعجازه .

وكان اليهود يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله ﷺ قبل مبعثه . يعني أنهم يطلبون من الله تعالى أن ينصرهم به على المشركين . فلما بُعث إليهم - على ما عرفوا من أوصافه عندهم - وخطبهم بالكتاب المصدق لتوراتهم اقترفوا أشنع الجرائم فكفروا به عن علم بصدقه . قال تعالى : (ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به

فلعنة الله على الكافرين (١) .

وما دام القرآن موافقاً للتوراة ونبيه موصوفاً فيها فقد وجب عليهم الايمان به وبكتابه . فان كفروا بعد هذا بالقرآن فقد كفروا بالحق الصراح الذي جاءت التوراة به وهم بالتالي كفرة بالتوراة نفسها . وليس ذلك بمجيب من أخلاف قتل أسلافهم أنبياء الله تعالى ضارين بالتوراة بل بجميع شرائع الله عرض الحائط . قال تعالى : (وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه ، وهو الحق مصدقاً لما معهم ، قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين ولقد جاءكم موسى بالبينات ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون) (٢) .

فالقرآن موافق للتوراة مصدق لها . ومحمد الذي جاء على الوصف المبشّر به (٣) ودعا بهذا القرآن هو رسول الله المصدق للتوراة أيضاً . فجحود نبوته كفر بالتوراة نفسها ومروق عن ديانة موسى وعيسى . فتصديق الرسول للتوراة والانجيل ، وانطباق أوصافه على ما فيها من بشارات ، هو دليل مفحم يلزم أهل الكتابين بالايمان به احترازاً من ائزلاقهم إلى الكفر بديانتهم ومن نبذ التوراة نفسها . قال تعالى : (ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم ، نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون) (٤) .

(١) سورة البقرة : ٨٩ ، وانظر سورة الاحقاف : ١٢ ، وسورة المائدة :

١٥ و يونس : ٩٤ وهود : ١٧ . (٢) سورة البقرة : ٩١ - ٩٢ .

(٣) سنتحدث عن الإشارة به في الفصل التالي .

(٤) سورة البقرة : ١٠١ وانظر روح المعاني ج ١ ص ٢٢٣ و ٢٨٩ و ٢٩٢ و ٣٠٣ .

وفهم بعضهم أنَّ قوله تعالى : (مصدقاً لما معكم) و (مصدقاً لما معهم) شاملٌ لكل من التوراة والإنجيل . إذ الإنجيل مما كُلف به بنو إسرائيل ، وعليه فإن القرآن مصدقٌ لهما . على أن آيات أخرى جاءت ظاهرةً العموم بتصديق القرآن كتب الله جميعاً . قال تعالى : (مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلْجِبْرِيلِ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ) (١) .

وقال : (وأنزلنا إليك الكتابَ بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله) (٢) .

وقال : (وما كانَ هذا القرآنُ أن يُفترى من دون الله ولكن تصديقَ الذي بينَ يديه وتفصيلَ الكتاب لا ريبَ فيه من ربِّ العالمين) (٣) .

وقال : (والذي أوحينا إليك من الكتاب هو الحق مصدقاً لما بين يديه إن الله بعباده لخبير بصير) (٤) .

وقال : (إنَّ هذا لَفِي الصَّحَفِ الْأُولَى صَحْفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى) (٥) .

(١) سورة البقرة : ٩٧ .

(٢) سورة المائدة : ٤٧ وانظر الأحقاف : ٣٠ .

(٣) سورة يونس : ٣٧ .

(٤) سورة فاطر : ٣١ .

(٥) سورة الأعلى : ١٩ .

فمحمد ﷺ قد جاء الناس بالحق الواضح المستقر في جميع
 كتب الله المنزلة ، ودعا الناس إلى رسالة الله المصدقة لدعوات إخوانه
 المرسلين ؛ لا تحيد عن مسارها الرباني قيد أغلقة . فكان ذلك من
 عظيم الدلائل على نبوته وإلهية رسالته . قال تعالى : (بل جاء بالحق
 وصدق المرسلين) (١) .

الفصل الرابع

تبشير الكتب السماوية ببعثة محمد ﷺ

أولاً - بشارة الكتب السماوية في القرآن .

ثانياً - بشارة الكتب المعتمدة لدى أهل الكتاب :

(١) شواهد حق تعين على فهم بشارات الكتاب المقدس .

(٢) بشارت الكتاب المقدس ببعثة محمد ﷺ .

ثالثاً - بشارات كتابية لا يعتبرها النصارى :

- نسخة انجيل برنابا .
- شخصية كاتب الانجيل .
- بشارات هذا الانجيل .

بعث رسول الله ﷺ في ظرف عالمي حالك ، حين بلغت الانسانية طور الرشد وهي ممرغة بأوْحال جاهلية . قد تناهت حاجتها لمنقذ يجلو عنها ما علق بها ويدفعها قوة فتية في درب النور . فلم يكن مبعثه عليه الصلاة والسلام عجباً إلا للجهلة الذين ران على عقولهم من الوثنية صداً كثيف ، والذين أحاطت بقلوبهم آفات دنيئة منعت تسرب النور اليها فصارت قلوبهم غلفاً لا تقبل ما يدعوهم الرسول إليه .

أما الذين عندهم أثارة من علم الكتب الاولى ، فكانوا ينتظرون بمبعثه استناداً إلى تبشير كتبهم المقدسة به . ونسوق اليك فيما يلي ما وقفنا عليه في التبشير بسيدنا محمد ﷺ :

أولاً - بشارة الكتب السماوية في القرآن :

بعد أن أنجى الله بني إسرائيل من بطش فرعون دعا رسوله موسى لمناجاته ... لكن السامري^(١) ابتدع في غيبة موسى عجباً من الذهب ... ففتن به بنو إسرائيل وعبدوه إلهاً من دون الله عز وجل !! ولما رجع موسى اليهم شعروا بازلاقيهم إلى هوة الوثنية وعرفوا فداحة زلتهم إلى سحق الضلال ، فندموا واستغفروا (١) . واختار موسى من أعلام قومه سبعين رجلاً ، وانطلق بهم إلى الطور تنفيذاً لأمر الله ، ليقوموا هناك تأيين معتبرين إلى ربهم تبارك وتعالى من عبادتهم العجل . فزلزل الله بهم الأرض ، ولما رأى موسى تلك الرجفة توصل إلى ربه أن يحفظهم ، فانه لو شاء إهلاكهم لأهلكهم من قبل بذنوبهم السالفات . حكى الله موقفهم

(١) انظر سورة الاعراف : ١٤٢ - ١٤٥ وتفسيرها في فتح القدير - للشوكاني

في القرآن الحكيم فقال :

(واختار موسى قومه سبعين رجلاً لميقاتنا فلما أخذتهم الرجفة قال ربِّ لو شئتَ أهلكتهم من قبلُ وإيايَ . أنهلكنا بما فعلَ السفهاء منا !؟ إنَّ هِي إلا فتنتك تَضِلُّ بها من تشاء وتهدي من تشاء ، أنتَ وليُّنا فأغفرْ لنا وارحمنا وأنتَ خيرُ الغافرين . واكتبْ لنا في هذه الدنيا حسنةً وفي الآخرةِ إنا هُدنَا إليك ..) (١) .

فلما غمرت موسى عليه السلام موجاتُ الاضطراب وداخله القلق الشديد على قومه ؛ أشفق عليهم من سطوة غضب الله ، وتوجه إليهم بذلك الدعاء راجياً لهم غفراناً سابقاً ورحمةً مدراراً وتوفيقاً للخيرات والمبرات والحياة الطيبة السعيدة . فسكَّن الله جل شأنه رَوْعَ رسوله موسى ، وأجابه بأسلوب عجيب وطريق بدیع :

(قال : عذابي أُصيبُ به منْ أشاء ورحمتي وسعت كل شيء) (٢) اطمئن يا موسى ! فإن عذابي ليس خاصاً بقومك ولا متعيناً عليهم أو ملازماً لهم . إنما يصيب به ربك من شاء من المذنبين . أما رحمتي فإنها عامة شاملة اتسعت لكل مؤمن وكافر ؛ وبار وفاجر ؛ وإنسان وحيوان ونبات ، وإن قومك قد ندموا على ما فرطوا وتابوا ، فصاروا جديرين برحمتي التي وسعت كل شيء . طِبُّ يا موسى نفساً وقرْ عيناً ، فقد استجاب الله لك ولقومك فشملهم برحمته ، ويشمل بهذه الرحمة العريضة الضافية أناساً بعدم يهتدون بنور الله ويتصفون بما يرضى الله من صفات الطاعة والكمال .

(٢١) سورة الاعراف: ١٥٥ - ١٥٦ . و«هدنا إليك» : رجعنا إليك وتبنا من تلك المعاصي التي جئنا للاعتذار منها .

(فساد كتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون .
الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة
والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم
عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم . فالذين
آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم
المفلحون . قل يا أيها الناس اني رسول الله اليكم جميعاً الذي له ملك
السموات والأرض لا إله إلا هو يحيي ويميت ، فآمنوا بالله ورسوله
النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون) (١) .

لفت الله اهتمام بني إسرائيل إلى الذين سيؤمنون برسوله الأمي ،
وأشاد بصفاتهم استنهاضاً لهم بني إسرائيل إلى التحلي بها ؛ وتعريفاً لهم
بقوم الرسول ﷺ . وبشّرهم ببعثة هذا الرسول الأمي الذي نصّ تعالى
في التوراة والانجيل على جملة هامة من صفاته المميزة ، فانه يرسله الله
هادياً إلى الخير ناهياً عن الشر ، يزيل بشرع الله الشدة والخرج عن بني
إسرائيل فيحل لهم طيبات كانت محرمة في شرعهم كأكل الشحم . .
ويحرم عليهم خبائث كانت مباحة لهم كالدم .. ويخفف عنهم ما أمروا به
من تكاليف شاقة مضنية ؛ كقطع موضع النجاسة من الثوب وتحريم
السبت . . . وحضّهم تبارك وتعالى على الايمان بخاتم المرسلين وتمظيمه
ومناصرتهم والتمسك بالأنوار القرآني المنزل عليه ليكونوا من المفلحين
المهتدين (٢) .

(١) سورة الاعراف : ١٥٦ - ١٥٨ .

(٢) راجع ص ٦٥ - ٦٦ و ص ٢٥٩ - ٢٦٠ وانظر روح المعاني :

وتحدث بعض اليهود عن ظهور رسول الله ﷺ قبل بعثته ، واستنصروا به ، وتوعدوا الأوس والخزرج بمصير عاد وارم ، حين يأتي الرسول وينضم اليه اليهود لمعرفتهم بصفته من كتبهم . فلما جاءهم ما عرفوا من الحق كفر معظمهم به حسداً وحقداً . فأنزل الله عز وجل فيهم : (ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين . بشما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله بغياً أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده فإوا بغضبٍ على غضبٍ وللكافرين عذابٌ مهين) (١) .

روى محمد بن إسحاق عن قتادة الأنصاري عن أشياخ من الانصار أنهم قالوا : كنا قد علوناكم (٢) قهراً دهرأ في الجاهلية ، ونحن أهل شرك وهم أهل كتاب ، وهم يقولون : إن نبياً سيبعث الآن نتبعه ، قد أطل زمانه فقتلكم قتل عاد وإرم ، فلما بعث الله رسوله من قريش واتبعناه كفروا به . يقول الله تعالى : (فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين) .

وروى ابن اسحاق أيضاً عن ابن عباس : أن يهود كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله ﷺ قبل بعثته . فلما بعثه الله من العرب كفروا به وجحدوا ما كانوا يقولون فيه . فقال لهم معاذ بن جبل .

(١) سورة البقرة : ٨٩ - ٩٠ « يستفتحون » يطلبون من الله النصر على المشركين بالنبي الذي سيبعثه في جزيرة العرب . « بغياً » حسداً ، وأصل البغي الظلم ، وأطلق على الحسد ، لأن الحاسد يظلم المحسود إذ يتمنى زوال النعمة عنه وتحولها اليه .

(٢) أي انتصروا على اليهود .

ويُشِرُّ بن البراء بن معرور وداود بن سلمة : يا معشرَ يهود اتقوا الله وأسلموا ، فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد ﷺ ونحن أهل شرك ، وتجبروننا بأنه مبعوث وتصفونه بصفته . فقال : سلام بن مشكم أخو نبي النضير : ما جاءنا شيء نعرفه وما هو بالذي نذكر لكم . فأنزل الله في ذلك من قولهم (ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم . .) الآية .

وقال أبو العالية : كانت اليهود تستنصر بمحمد ﷺ على مشركي العرب ، يقولون : اللهم ابعث هذا النبي الذي نجد مکتوباً عندنا حتى نعذب المشركين ونقتلهم . فلما بعث الله محمداً ﷺ ورأوا أنه من غيرهم كفروا به حسداً للعرب ، وهم يعلمون أنه رسول الله ﷺ . فقال الله تعالى : (فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين) .

ولما كان سبب كفرهم البغي وتطلب النبوة لأنفسهم لتكبرهم وحسد العرب قبولوا بالاهانة والصغار في الدنيا والآخرة (فباءوا بغضبٍ على غضبٍ وللكافرين عذاب مهين) (١) .

وقد فافق بعض اليهود وأظهروا الاسلامَ وجهرُوا بما في كتبهم من أوصاف سيدنا رسول الله ﷺ . فلامهم اخوانهم على هذا التصريح . قال تعالى يُظهِر ما كنتموه ويفضح ما اجتروه : (أفطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلامَ الله ثم يُحرِّفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون . وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلا بعضهم إلى بعض قالوا أتحدثونهم بما فتَحَ اللهُ عليكم ليحاجوكم به عند ربكم أفلا تعقلون ؟ أولا يعلمون أن الله يعلم ما يُسرون وما يعلنون) (٢) .

(١) تفسير ابن كثير ج ١ ص ١٢٤ - ١٢٥ .

(٢) سورة البقرة : ٧٥ - ٧٧ .

قال قتادة : هم اليهود كانوا يسمعون كلام الله ثم يحرقونه من بعد ما عقلوه ووعوه . وهذا التحريف والكتان حصل من علمائهم كما صرح بجاهد . وقال أبو العالية : عمدوا الى ما أنزل الله في كتابهم من نعت محمد ﷺ فحرقوه عن مواضعه قال السدي (وهم يعلمون) : أنهم أذنبوا . وقال أبو العالية : (أتحدثونهم بما فتح الله عليكم) يعني بما أنزل عليكم في كتابكم من نعت محمد ﷺ . وهكذا حرقوا كلام الله وكتبوا صفات نبية عندهم . وقد تناسوا أن الله مطلع على سرائرهم علم بنجواهم ، وأنه لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء (١) .

لقد بلغوا في معرفة نبوة محمد ﷺ شأواً بعيداً حتى صار ذلك عندهم علماً قطعياً لا ريب فيه كعرفة أحدكم بولده ، غير أنهم كتبوا ذلك بغياً وحسداً . قال تعالى (الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ، الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون) (٢) وقال (الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون) (٣) .

(١) تفسير ابن كثير ج ١ ص ١١٥ - ١١٦ .

(٢) سورة الانعام : ٢٠ .

(٣) سورة البقرة : ١٤٥ . روى البخاري في كتاب بدء الخلق - باب قول الله تعالى : يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون - عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أن اليهود جاءوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكروا له أن رجلاً منهم وامراً زنياً ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما تجدون في التوراة في شأن الرجم . فقالوا نفضحهم ويجلدون فقال : عبدالله بن سلام كذبتم ان فيها الرجم . فأتوا بالتوراة فنشروها فوضع أحدكم يده على آية الرجم فقرأ ما قبلها وما بعدها . فقال له عبدالله بن سلام : ارفع يدك . فرفع يده فاذا فيها آية الرجم . فقالوا : صدق يا محمد فيها آية الرجم . فأمر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجما ، قال عبدالله : فرأيت الرجل يجأ « يميل » على المرأة يقبها الحجارة .

وقال (والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه مُنْزَل من ربك بالحق فلا تكوننَّ من الممتريْن) (١) .

وقد عاين الذين اطلعوا على الكتب المقدسة أوصاف رسول الله ﷺ، ومنهم عبدالله بن عمرو بن العاص وكان حافظاً للتوراة ، أما زيد بن سمينة وعبدالله بن سلام ؛ وهما يهوديان ؛ فوجدوا صفته توافق مَنْ بشرت به التوراة ، فأعلنوا الايمان به والتسليم بدعوته .

روى البخاري رضي الله عنه عن عطاء به يسار قال : لقيت عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما . قلتُ : أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة ، قال : أجلُ والله انه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن (يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً ، وحرزاً للأمينين ، أنت عبدي ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الاسواق ، ولا يدفع بالسبيئة السيئة ، ولكن يعفو ويغفر ، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا إله إلا الله ، ويفتح بها أعينا عمياً وآذاناً صماً وقلوباً غلفاً) (٢) .

(١) سورة الانعام : ١١٤ .

(٢) صحيح البخاري : كتاب البيوع - باب كراهية السخب في السوق . وكتاب التفسير - باب إنا أرسلناك . . . ومعنى « شاهداً » : شاهداً على الأمة الاسلامية وللرسل السابقين بتبليغ رسالات ربهم . و « مبشراً » للطيعين بالجنة . و « نذيراً » . محذراً للعصاة من النار . « حرزاً للأمينين » : حصناً للعرب . وأصل الحرز : الموضع الحصين . « سميتك المتوكل » : للتوكل على الله ، لقناعته صلى الله عليه وسلم بالسير وصبره على الشدائد والمكاراة في سبيل الله . « ليس بفظ ولا غليظ » والفظ : شرس الاخلاق ، والغليظ : القاسي . « ولا سخاب » : فيها لغتان بالسين والصاد ؛ =

وهذا أيضاً دليل واضح على أن اليهود وضعوا على التوراة يد الكتمان والتحريف ، لئلا تُنقل منها دلائل نبوة محمد ﷺ كما بشر به موسى عليه السلام .

وهذا زيد بن سَعْنَة يؤمن بمحمد ﷺ لما وجد دلائل نبوته التي وصف بها في التوراة قائمة فيه . فقد جاء زيد وهو على اليهودية يتقاضى الرسول ديناً عليه فحبذ ثوبه عن منكبه وأخذ بمجامع ثيابه وأغلظ له . ثم قال : إنكم يا بني عبد المطلب مُطَل (١) . فأنهره عمر وشددله في القول . والنبي ﷺ يتسم . فقال رسول الله ﷺ : « أنا وهو كنا الى غير هذا منك أحوج يا عمر ، تأمرني بحسن القضاء ، وتأمره بحسن التقاضي . ثم قال : لقد بقي من أجله (٢) ثلاث . وأمر عمر أن يقضيه ويزيده عشرين صاعاً لما رُوِّعه ، فكان سببَ اسلامه . ذلك أنه كان يقول (٣) : ما بقي من علامات النبوة شيء إلا وقد عرفتها في محمد إلا اثنتين لم أخبرهما ، يسبق حلمه جهله ، ولا يزيد به الجهل من أحدٍ إلا حِلماً » (٤) .

وهكذا تحقق زيد بنفسه من توافر علامات النبوة المنصوص عليها في التوراة لخاتم الانبياء عليه الصلاة والسلام .

= وبالصاد أشهر ، والصخب : رفع الصوت بالخصام . « حتى يقيم به الملة العوجاء » ، والملة العوجاء : ملة الكفر ، يعني حتى يدحض الكفر ويثبت التوحيد . « يفتح بها » بكلمة التوحيد . « قلوباً غلفاً » والغلف : كل شيء في غلاف ، والمراد أنها مقفلة لا تقبل الحق . انظر فتح الباري ج ٤ ص ٢٣٦ و ج ٨ ص ٤١٤ . وراجع في هذا الكتاب ص ١١٤ وما بعدها .

(١) الطل : الذي يؤجل موعد وفاة دين عليه مرةً بعد أخرى .

(٢) أجله : موعد استيفاء دينه من النبي صلى الله عليه وسلم .

(٣) روى ذلك عنه عبد الله بن سلام .

(٤) رواه البيهقي معضلاً ووصله ابن حبان والطبراني وأبو نعيم بسند صحيح .

انظر شرح الشفاء ج ١ ص ٢٤٤ .

وعن عامر بن سعد عن أبيه قال : « ما سمعتُ رسول الله ﷺ يقول لاحد يمشي على وجه الارض ، أنه من أهل الجنة إلا لعبد الله بن سلام رضي الله عنه ، قال : وفيه نزلت (وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله) (١) .

غير أن غالبية أخبار اليهود قد كنتموا صفات الرسول الموفورة في في التوراة ، فضلوا وأضلوا أتباعهم حسداً من عند أنفسهم وطمعاً في بقاء الزعامة فيهم ، لكن من رجح عقله منهم آمن واحتمل من قومه في سبيل ايمانه ما احتمل . فقد روى البخاري حديث اسلام عبدالله بن سلام استناداً الى ما في كتبهم من علامات تثبت نبوته فجاء في الحديث أن عبدالله بن سلام قال : (يا رسول الله إن اليهود قوم بُهتٌ . فان علموا باسلامي قبل أن تسألهم بهتوني عندك . فجاءت اليهود ودخل عبدالله البيت . فقال رسول الله ﷺ : أي رجل فيكم عبدالله بن سلام ؟ قالوا : أعلمنا ، وابن أعلمنا ، وأخيرنا وابن أخيرنا . فقال رسول الله ﷺ : أفرأيتم إن أسلم عبدالله ؟ قالوا : أعاذه الله من ذلك قال فخرج عبدالله اليهم . فقال : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً رسول الله . فقالوا : شرنا وابن شرنا ، ووقعوا فيه) (٢) .

ودأب كل رسول على تصديق سلفه والتبشير بمن بعده . أما تصديق

(١) رواه البخاري ومسلم والنسائي . والآية بتامها قوله تعالى (قل أرايتم ان كان من عند الله وكفرتم به ومحمد شاهد من بني اسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم ان الله لا يهدي القوم الظالمين) سورة الأحقاف : ١٠ انظر صحيح البخاري - مناقب الانصار - باب مناقب عبد الله بن سلام . وتفسير ابن كثير ج ٤ ص ١٥٤ وانظر تفسير الآية في الفصل السابق ص ٢٩٠ - ٢٩١ .

(٢) (البهت) بضم الباء : الكذب والافتراء . وقوم بهت : جمع بهوت ؛ من بناء المبالغة في البهت . انظر النهاية لابن الاثير وجامع الاصول ج ١٢ ص ٩٧-٩٨ .

رسولنا بن قبله فأمر عرضناه منذ حين . وقد بشر موسى وعيسى عليهما السلام بخاتم الرسل محمد ﷺ . وقد ذكرنا الآيات والأحاديث المتصلة بيشارة التوراة . فقد وجد أهل الكتابين صفة رسولنا مكتوبة عندهم في التوراة وفي الانجيل أيضاً^(١) وقد حكى القرآن الكريم نبشير عيسى بمحمد ﷺ في موطن آخر ، قال تعالى :

(وإذ قال عيسى ابن مريم : يا بني اسرائيل إني رسول الله اليكم مصدقاً لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد . فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا مسح مبين . ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب . وهو يدعى إلى الاسلام والله لا يهدي القوم الظالمين)^(٢) . وهذا الاسم الجليل (أحمد) علم لنبينا محمد ﷺ وعليه قول حسان :

صلى الاله ومن يحف بعرشه والطيبون على المبارك أحمد

وصح من رواية مالك والبخاري ومسلم والدارمي والترمذي والنسائي عن جبير بن مطعم قال : قال رسول الله ﷺ : (إن لي أسماء ، أنا محمد وأنا أحمد وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي ، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وأنا العاقب)^(٣) .

ويشهد التاريخ شهادة خالدة على أن أنبياء بني اسرائيل قد بشروا

(١) سورة الاعراف : ١٥٧ . (٢) سورة الصف : ٦ - ٧ .

(٣) (العاقب) الذي ليس بعده نبي (والحاشر) : الذي يحشر الناس خلفه وعلى ملته دون من غيره . و (إن لي أسماء) : أراد أن هذه الاسماء التي عدها مذكورة في كتب الله تعالى المنزلة على الامم التي كذبت بنبوته . وهي حجة عليهم - انظر روح المعاني ج ٢٨ ص ٧٦ وتفسير ابن كثير ج ٤ ص ٣٥٩ - ٣٦٠ - والنهاية لابن الاثير في كلمة (حاشر) .

بيعة محمد ﷺ فقد أسلم عدد من علماء اليهود والنصارى في القرن الأول شاهدين بتوافر البشائر بشوة محمد ﷺ في كتب المهدين القديم والجديد . فمن أحبار اليهود : عبدالله بن سلام وخيريق ، وكعب الاحبار ، وغيرهم . ومن الرهبان والقسس النصارى في عهد الرسالة الجارود بن العلاء ، والنجاشي ملك الحبشة والقسس والرهبان الذين قدموا مع جعفر بن أبي طالب من الحبشة ، وغيرهم .

ولا يخفى أن محمداً ﷺ في راحة عقله يستحيل أن يدعي البشارة به في التوراة والانجيل ما لم يكن ذلك حقاً وصدقاً . فان كتب أهل الكتاب موفورة بين أيديهم . فلو كان الامر على غير ذلك لكان أبلغ منفر لهم منه ؛ وأعظم حجة يقيمونها عليه . لكن ايمان هؤلاء وشهادتهم بالتبشير به أمر جليل وبرهان ساطع على نبوة محمد ﷺ . وقد عدّ الفخر الرازي البشارة به ﷺ في التوراة والانجيل من الدلائل العقلية على نبوته . وبين أنه لا يعقل أن تصدر عنه دعوى البشارة به إلا أن تكون واقعة يقينا ، فقال : (ومعلوم أنه لو كان كاذباً في ذلك لكان هذا من أعظم المنفرات لليهود والنصارى عن قبوله ، ولا يليق بالعاقل أن يُقدِّم على فعل ينمعه عن مطلوبه ويُبطل عليه مقصوده من غير فائدة أصلاً ، ولا نزاع بين العقلاء أنه كان أعقل الناس وأحذقهم) (١) .

ثانياً - بشارة الكتب المعتمدة لدى أهل الكتاب :

لم تتوفر للكتب السماوية السالفة دواعي الحفظ والضبط . فان كلا منها كان كتاباً لشريعة مؤقتة خاصة بأمة بعينها دون سائر الامم ، فلم يكن

ما يستوجب حفظها ودوامها . فانقرض منها ما انقرض وتحرف منها ما تحرف .
 والتوراة والانجيل من أشهر الكتب السماوية ، قد عبثت بها يد التحريف .
 حتى غدت نسخها متعددة مختلفة ومتناقضة في أحيان كثيرة . ومع أننا
 لا نسلم بأن هذه النسخ كلا أو بعضا هي الكتاب الذي أنزل الله على أحد
 من رسله ، فانا نعتقد أنها تحوي بقايا من الوحي الالهي لا نحيط بها علما
 على وجه التحديد . وقد أنزل الله القرآن المجيد مهيمناً على تلك المأثورات
 عن الرسل السابقين ، يؤكد صحتها ويكشف زائفها . فما نقاه القرآن
 فهو باطل ، والذي أثبت أنه صحيح حتماً ، ومن ذلك البشائر ببعثة خاتم
 المرسلين محمد ﷺ (. . الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة
 والانجيل . .) .

وبناءً عليه فنحن نعوّل على نصوص بشرت ببعثة محمد ﷺ من
 الكتاب المقدس ثقةً بمضمونها أولاً . وأما ثانياً : فلانزام الخصم من النصارى
 أو اليهود الجاحد لبعثة خاتم الرسل بدليل قطعي عنده ، لا يستطيع له
 صرفاً ولا تحويلاً ، وهذا ما يهمننا بالذات .

(١) شواهد حقّ تُعين على فهم بشارات الكتاب المقدس :

وقبل أن نعرض لبشائر بعثته ﷺ كما وردت في الكتاب المقدس ،
 نحب أن نذكر أموراً لا بد من فهم النصوص المبشرة في ضوءها وهي :

أولاً - أن أنبياء بني اسرائيل مثل أشعيا وأرميا ودانيال وحزقيال
 وعيسى عليهم السلام قد أخبروا عن حوادث تُعدّ بسيطة بجانب ظهور محمد
 ﷺ ؛ مثل حادثة بخت نصر ؛ وقورش ؛ والاسكندر وخلفائه ؛ وحوادث
 أرض أدوم ومصر ونيوى وبابل . ويعد غاية البعد أن لا يخبر أحد
 منهم - بعد هذا - عن بعثة محمد ﷺ الذي تعاضم أمره حتى كسر

الجباية ومزق الاكسرة . وعم دينه معظم بقاع العالم المعروف آنئذ ، وظهر فيها وهيمن على الأديان كلها بعزٍّ عزيز أو يذلّ ذليل ، وامتد عبر الزمان حتى مضى على إقامته أربعة عشر قرناً .

ثانياً - جرت سنة الله في رسله أن يخبرَ على لسان المتقدم منهم عمن سيبعث بعده . ولكن خبره يخيء بجمالاً لا يُعيّن سنة ولا يحدد بلداً أو قبيلةً يبعث فيها النبي المتأخر . ومع هذا فإن الخواص من أتباع الرسول المتقدم ينجلي لهم أمر النبي المنتظر وشخصه بقرائن عديدة . فإن ظلّ خفياً حتى بعث انكشف لهم صدقه بما يبيديه لهم من البشائر التي عندهم وبالمعجزات التي يجريها الله على يديه وبعلامات النبوة التي تظهر فيه . فيصير صدقه جلياً لا يحتمل الريب أو الوم . فاذا أعرضوا عن الايمان عوتبوا وحوسبوا كما عاتب المسيح عليه السلام علماء اليهود بقوله في انجيل لوقا - الباب الحادي عشر (فقرة : ٥٢) (١) . (ويل لكم أيها الناموسيون لانكم أخذتم مفتاح المعرفة ، ما دخلتم أتم والداخلون منعوم) .

ثالثاً - يدعي بعضهم أن أهل الكتاب ما كانوا ينتظرون نبياً غير المسيح وإيليا .

والجواب : أن هذا ادعاء باطل ينقضه ما ورد في انجيل يوحنا - الباب الأول (فقرة ٢١ - ٢٥) ونصه (وهذه هي شهادة يوحنا حين أرسل اليهود من أورشليم كهنة ولاويين ليسألوه من أنت ؟ - فاعترف ولم يشكر وأقر : إني لست المسيح - فسألوه إذأً ماذا أنت ؟ إيليا ؟ فقال :

(١) دأب السيد رشيد رضا وغيره على تسمية الفقرة من الكتاب المقدس آية ، والصواب ما أثبتناه . فإن الآية القرآنية دليل على ربانية مصدرها ، لمبناها المعجز أو معناها الدال على ذلك ، فتسميتها آية مصداق للمسمى . وليست كذلك فقرات الكتاب المقدس .

أنا لست إيليا . فسألوه أنت النبي ؟ فأجاب : لا - فقالوا له : من أنت
 لنعطي جواباً للذين أرسلونا ؟ ماذا تقول عن نفسك ؟ - قال أنا صوت
 صارخ في البرية قوموا الى طريق الرب - كما قال أشعيا النبي وكان المرسلون
 من الفريسيين - فسألوه وقالوا له : فما بالك تُعمّد إن كنت لست المسيح
 ولا إيليا ولا النبي ؟ (١) .

ومما لا يحتمل الأخذ والرد أن الألف واللام في لفظ (النبي)
 الأول والأخير للعهد ، فالمراد النبي المعبود الذي أخبر عنه الباب الثامن عشر
 من سفر التثنية ، وهو الحامس والأخير من أسفار التوراة المنسوبة إلى
 سيدنا موسى عليه السلام . وقد وجدت في النص أن سيدنا يحيى - وهو
 المسئول - لما أنكر أن يكون المسيح أو إيليا . سألوه : أنت النبي ؟
 فأجاب : لا . وقد دل سؤالهم هذا على علمهم من جانب سيدنا موسى ببعثة
 (النبي) وأنه كان عندهم منتظرا كالمسيح وإيليا بل كان عندهم مشهوراً
 معهود الشان ، حتى أغنت الإشارة إليه عن ذكر اسمه .

فمن التعسف والافتئات الفاضح زعمهم أنه لم يكن منتظراً لديهم ،
 وقد استبان تزيفهم فكيف يقبله العاقل !

وانما يفيدك تساؤلهم عن يحيى ثلاث مرات أن البشائر في كتبهم
 جملة لم يرتفع بها الاشتباه والخفاء لدى الخواص العلماء منهم من كهنة ولاويين
 فضلاً عن العوام . وهذا ما نهنا إليه آنفا .

رابعا - أما زعمهم أن المسيح عليه السلام خاتم النبيين ولا نبي بعده ،
 فينقضه - أولا - النص السابق الذي دل على أنهم كانوا ينتظرون بعثة

(١) وقد ورد «النبي» بألف ولام العهد ميمزاً عن المسيح ؛ في انجيل يوحنا أيضا
 - الباب السابع - فقرة : ٤٠ - ٤١ .

النبي المهود سوى عيسى وإيليا عليهما السلام ، وبما أنه لم يثبت مجيئه قبل المسيح فهو بعده حتما . وينقضه - ثانيا - زعمهم نبوة الحواريين وغيرهم أيضا . ففي الباب الحادي عشر من كتاب الاعمال (فقرة ٢٧ - ٢٨) ما نصه (وفي تلك الايام انحدر الانبياء من اورشليم الى انطاكية - وقام واحد منهم اسمه اغابوس وأشار بالروح أن جوعا عظيما كان عتيذا ان يصير على جميع المسكونة ، الذي صار في أيام كلوديوس قيصر) .

فهؤلاء جميعا كانوا انبياء بتصريح انجيلهم المقدس . وقد أخبر واحد منهم وهو اغابوس^(١) بوقوع جذب عظيم .

غير أن رجال الدين النصراني يتذرعون لتقوية زعمهم بما ورد على لسان المسيح في انجيل متى - الباب السابع - الفقرة الخامسة عشرة ما نصه (احترزوا من الانبياء الكذبة الذين يأتونكم بشباب الحملان . ولكنهم من داخل ذئاب خاطفة) .

وأنت تستغرب معنا تعلقهم به ، فأولا - لا تبلغ الدلالة فيه على زعمهم قوة خيط العنكبوت ، بل ليس فيه دلالة على ذلك أصلا . وانما الذي فيه أمر بالاحتراز عن الانبياء الكذبة خاصة ، لا عن الانبياء الصادقين أيضا . لذلك قيّد من يجب الاحتراز منهم من الأنبياء بالكذبة ، فلم يك في تحذيره اتهام لكل نبي يأتي بعده . فلو أراد ذلك لقال (احترزوا من كل نبي يأتي بعدي فانه كاذب) .

وثانيا - انهم يعتقدون بوجود أنبياء صادقين بعد المسيح عليه السلام وعلى ذلك نصت الأناجيل المعتمدة لديهم .

(١) وقد صرح باسمه ونبوته كتاب الاعمال أيضا في الباب الحادي والعشرين - الفقرة العاشرة .
م/٤٠

وثالثا - إن الانبياء الكذبة الذين حذروا منهم إنما ظهروا في الطبقة الاولى بعد صعود المسيح عليه السلام - أي في عهد الحواريين - وهذا هو المتوقع ، أن يطمع أناس من المرضى في مقامه ، وقد شهدوا رفيع مقامه عند الناس . وعليه نص العهد الجديد في الرسالة الثانية الى كورنثيوس « في الباب الحادي عشر الفقرة : ١٢ - ١٣ ، هكذا (ولكن ما أفعله سأفعله لأقطع فرصة الذين يريدون فرصة كي يوجدوا كما نحن أيضا فيما يفتخرون به لأن مثل هؤلاء رسل كذبة فلة ماكرون ، مغترون شكلهم الى شبه رسل المسيح) (١) .

خامسا - لا تأبه لانكار رجال الدين النصارى انطباق البشائر الانجيلية على خاتم الرسل محمد ﷺ . فان تأويلهم تلك الاخبار مردود عليهم لظهور صدقها فيه . ثم انهم قبلوا في التبشير بعيسى نصوصاً اسرائيلية ، هي في دلالتها على بعثة المسيح عليه السلام دون وضوح دلالة البشارات الانجيلية على بعثة محمد ﷺ بكثير . وهي أقرب إلى قبول التأويل وصرفها عن المسيح عليه السلام ، ومع ذلك فقد قبلوها . فهم ملازمون بقبول ما ورد في أناجيلهم من أخبار بحق سيدنا محمد ﷺ ، نظراً لما تتجلى به من ظهور صدقها فيه وقوة دلالتها عليه ، فاذا وازن الناظر المنصف بينها وبين ما اعتدوا به في التبشير بعيسى عليه السلام ظهر له غموضه وضعف دلالاته عليه ، ورجحت لديه صحة التبشير بمحمد ﷺ ، وقامت لديه الحجج والدلائل الملزمة على ذلك (٢) .

(١) ودل على ظهور الانبياء الكذابين في عهد الحواريين ما ورد في الرسالة الأولى ليوحنا في الباب الرابع وفي الباب الثامن من كتاب الاعمال (فقرة ٩ - ١٠) وفي غير ذلك .

(٢) وللتثبت من ضعف دلالة البشائر الاسرائيلية على بعثة عيسى عليه السلام ؛ =

سادسا - جرت عادة أهل الكتاب سلفاً وخلفاً في ترجمة الاسماء على ايراد معانيها بدلاً عنها . وهذا خبط عظيم ومصدر للفساد العريض . كما اعتادوا زيادة شيء من عندهم تفسيراً لما هو كلام الله في زعمهم دون تمييز بينها . وهذان من الأمور العادية المألوفة عندهم . وقد ضرب لها رحمة الله الهندي في اظهار الحق أمثلة كثيرة جداً . نذكر الثالث عشر منها :

الفقرة الاولى من الباب الرابع من إنجيل يوحنا ، في الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨١١ و ١٨٣١ و ١٨٤٤ ما نصه (لما علم يسوع) وفي الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨١٦ و ١٨٦٠ (لما علم الرب) فقد بدل المترجم الأخير لفظ (يسوع) الذي هو علم على عيسى عليه السلام (بالرب) الذي هو من الالفاظ التعظيمية لله تعالى .

فلا عجب إن بدلوأ أسماء النبي ﷺ الواردة في أناجيلهم بالالفاظ التحقيرية سيرا على عادتهم وطواعية لعنادهم واستكبارهم وعصبيتهم الموحاء . وعلى الرغم من كثرة التحريفات الواقعة في كتبهم ، فإن من عرف أن أسلوب إخبار النبي المتقدم عن النبي المتأخر انما يكون مجحلاً - كما بينا - ثم نظر في الاخبار الانجيلية المبشرة بمحمد ﷺ وجسدها غاية في قوة الدلالة على نبوته ووضوح الشهادة برسائله ﷺ . فاذا قارنها الناظر بالأخبار الاسرائيلية التي نقلها الانجيليون في التبشير بسيدنا عيسى عليه السلام ، وما هي عليه من ضعف في ذلك ، تجلت له قوة البشائر بخاتم الرسل محمد ﷺ وازداد برسائله يقينا على يقين (١) .

= افراها وتحليلها في كتاب اظهار الحق - رحمة الله الهندي ج ٢ ص ١١٨ - ١٢٦ (مصر ١٣١٧) - ثم وازن بينها وبين ما سنذكره من بشارات الأناجيل في حق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم .

(١) بإيجاز وتصرف من كتاب اظهار الحق - رحمة الله بن خليل الرحمن =

(٢) بشار الكتاب المقدس ببعثة محمد ﷺ :

ورد في الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد بشار كثيرة ببعثة سيدنا محمد ﷺ وقد ساق رحمة الله الهندي صاحب اظهار الحق (١) كثيرا منها . وقد لخصها من كتابه الاستاذ بشرى زخاري ميخائيل في كتابه الذي أعلن اسلامه فيه وهو (محمد رسول الله - هكذا بشرت الاناجيل) (٢) ونحن نورد أهمها :

البشارة الاولى :

جاء في الاصحاح الثامن عشر من سفر اثنتية قوله : (قال لي الرب قد أحسنوا فيما تكلموا سوف أقيم لهم نبيا مثلك من بين اخوتهم وأجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به ، ومن لم يطمع كلامه الذي يتكلم به باسمي فأنا أكون المنتقم من ذلك ، أما النبي الذي يجترى بالكبرياء ويتكلم في اسمي ما لم آمره به بأن يقوله أم باسم آلهة غير فليقتل) (١٧ - ٢٠ .

وهذه الاشارة ليست بشارة ب (يوشع) كما يزعم أحبار اليهود ، كما أنها ليست بشارة بالسيد المسيح كما يفسر ذلك علماء اللاهوت المسيحي ، بل هي بشارة بمحمد ﷺ وذلك لعدة أسباب :

= الهندي ج ٢ ص ١١٣ - ١١٨ - المطبعة المحمودية بمصر سنة ١٣١٧ هـ
ثم ذكر المؤلف الاخبار التي اعتمدها الانجيليون في التبشير بعيسى ليتمكن الباحث من المقارنة التي تبدي قوة دلائل البشارات بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم . انظر ج ٢ ص ١١٨ - ١٢٦ .

(١) وقد أورد فيه ثلث عشرة بشارة ج ٢ ص ١٢٧ - ١٥٩ وقد ذكر معظمها الاستاذ رشيد رضا في تفسير المنار ج ٩ ص ٢٢٢ - ٢٢٦ .

(٢) ص ٦٥ - ٩٨ .

(٢) ان اليهود المعاصرين للمسيح كانوا ينتظرون نبياً آخر مبشراً به عندهم وهذا المبشر به عندهم غير المسيح ، وقد دللنا على ذلك آنفاً في الامر الثالث .

(٣) أنه جاء في هذه البشارة لفظ (مثلك) في قوله (سوف أقم لهم نبياً مثلك) ويوشع لا يصح أن يكون مثل موسى بدليل الفقرة العاشرة من الاصحاح الرابع والثلاثين من سفر التثنية التي تقول (ولم يقم بعد ذلك نبي في إسرائيل مثل موسى يعرف الرب وجهاً لوجهه) فان قام مثل موسى بعده من بني اسرائيل يلزم تكذيب هذه الفقرة . ومن ناحية أخرى لا توجد مماثلة بين يوشع وبين موسى ، ذلك لان موسى صاحب كتاب وشريعة جديدة مشتملة على أوامر ونواه ويوشع لم يكن كذلك ، بل هو تابع لشريعته . وهذه المماثلة التامة لا توجد أيضاً بين موسى وبين المسيح ، ذلك أن شريعة موسى مشتملة على الحدود والتعزيرات وأحكام الطهارات والمحرمات بخلاف شريعة المسيح فانها خالية منها ، كما تشهد بذلك الاناجيل الاربعة ، وأن موسى كان رئيساً مطاعاً في قومه نافذة أوامره ونواهيه ، والسيد المسيح لم يكن كذلك .

(٣) انه وقع في هذه البشارة لفظ (من بين اخوتهم) ولا شك أن الاسباط الاثني عشر كانوا موجودين في ذلك الوقت مع موسى حاضرين معه ، فلو كان المقصود كون النبي المبشر به منهم لقل « منهم » لا « من بين اخوتهم » لأن الاستعمال الحقيقي لهذا اللفظ أن لا يكون المبشر به له علاقة الصليبية والبطنية ببني اسرائيل أي من فرع آخر غير فرعهم وهو ما لا يكون إلا من بني اسماعيل

كما جاء لفظ الأخوة بهذا الاستعمال الحقيقي في وعد الله لهاجر في حق اسماعيل في الفقرة الثانية عشر من الباب السادس عشر من سفر التكوين وعبارتها في الترجمة العربية المطبوعة عام ١٨٤٤ هكذا (وقبالة جميع اخوته ينصب المضارب) وفي الترجمة العربية المطبوعة عام ١٨١١ هكذا (بحضرة جميع اخوته يسكن) .

والمقصود بالاخوة هنا بنو عيسو واسحاق وغيرهم من أبناء ابراهيم . وفي الفقرة الرابعة عشر من الباب العشرين من سفر العدد هكذا : « ثم أرسل موسى رسلاً من قانس الى ملك آدوم قائلاً هكذا يقول أخوك اسرائيل أنك قد علمت كل البلاء الذي أصابنا » وفي الباب الثاني من سفر التثنية قوله (قال لي الرب ، ثم أوصى الشعب أنكم ستجوزون في تخوم اخوتكم بني عيسو الذين في ساعير ومسيخسونكم فلما جزنا اخوتنا بنو عيسو الذين يسكنون ساعير . . . الخ) .

والمقصود باخوة بني اسرائيل بنو عيسو ، ولا شك أن استعمال لفظ اخوة بني اسرائيل كما جاء في بعض المواضع من التوراة استعمال مجازي، ولا تُضار الحقيقة ولا يُضار إلى المجاز ما لم يمنع من الحمل على المعنى الحقيقي مانع قوي . ويوشع والمسيح كانا من بني اسرائيل فلا تصدق هذه البشارة عليهما ، لانه لا يجوز أن يقوم أحد من بني اسرائيل مثل موسى .

٤ (انه جاء في هذه البشارة لفظ (سوف أقيم) ويوشع كان حاضراً عند موسى ؛ داخلاً في بني اسرائيل ؛ نبياً في ذلك الوقت . فكيف يصدق عليه هذا اللفظ ؟

٥ (إنه وقع في هذه البشارة لفظ (أجعل كلامي في فمه) وهو إشارة إلى أن ذلك النبي ينزل عليه الكتاب وإلى أنه يكون أمياً حافظاً للكلام . وهذا لا يصدق على يوشع لانتفاء كلا الأمرين فيه . فالفقرة إذن تصدق على محمد ﷺ أكمل صدق لانه غير السيد المسيح ، ولانه يماثل موسى في أمور كثيرة أهمها :

في كونه عبدالله ورسوله ؛ وكونه من أب وأم ؛ وكون شريعته مشتملة على السياسات المدنية ؛ وكونه مأموراً بالجهاد ، وفي اشتراط الطهارة وقت العبادة في شريعته ؛ ووجوب الغسل للجنب والحائض في شريعته ؛ وحرمة غير المذبح وقرابين الاوثان ، وكون شريعته مشتملة على العبادات الدينية والرياضيات الجسمانية ؛ وتعيين الحدود والتعزيرات والقصاص ؛ وكونه قادراً على إجرائها ؛ ويمثل موسى أيضاً في انكاره عبادة غير الله ؛ وأمره بالتوحيد الخالص ؛ وأمره لأئمة بأن يقولوا له عبد الله ورسوله ؛ وكونه مدفوناً كموسى . وكان من اخوة بني اسرائيل لأنه من بني اسماعيل . وقد يقال هنا بأن اخوة بني اسرائيل لا تنحصر في بني اسماعيل ، لأن بني عيسو بني أبناء قطورا زوجة ابراهيم اخوتهم أيضاً . قلنا : نعم هؤلاء من اخوة بني اسرائيل ، لكنهم لم يظهر أحد منهم متصفاً بالامور المذكورة ، ولم يكن وعد الله في حقهم انما الوعد كان لبني اسماعيل . وهو مقتضى دعاء اسحاق عليه السلام المصرح به في الباب السابع والعشرين من سفر التكوين .

البشارة الثانية :

في الفقرة الحادية والعشرين من الاصحاح الثاني والثلاثين من سفر الاستثناء قوله : (هم أغاروني بما ليس الهأ وأغضبوني بعبوداتهم الباطلة

وأنا أيضا أُغيرهم بما ليس شعباً وبشعب جاهل أُغضبهم) .

والمقصودُ بشعب جاهل (العرب) لأنهم كانوا في غاية الجهل والضلال ، ولم يكن عندهم علم لا من العلوم الشرعية ولا من العلوم العقلية ، وما كانوا يعرفون سوى عبادة الأوثان والأصنام ، وكانوا محتقرين من اليهود ، ولكونهم من أولاد هاجر الجارية .

فمعنى الفقرة أن بني إسرائيل أغاروه بعبادة المعبودات الباطلة فشاءت حكمته اصطفاؤه رجل ممن هم عندهم محتقرون جاهلون فأوفى بما وعد فبعث من العرب النبي الأمي فهداهم إلى الصراط المستقيم ، كما قال الله تعالى : (هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ، وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين) (١) .

ولقد حاول بعض علماء اللاهوت رد هذه الجاهلية إلى الشعب اليوناني ، كما يفهم من ظاهر كلام بولس الرسول في الاصحاح العاشر من الرسالة إلى أهل رومية .

وكان بولس يهودياً من ألد أعداء السيد المسيح وأتباعه ، ثم نافق وتظاهر بالدين بالنصرانية فشوه معاملها وأفسد عقائدها ، فلا يُعتد بشيء من كلامه لافتضاح إفكته ودجله .

ومن المعلوم الواضح أن اليونان قبل ظهور المسيح بعثات السنين كانوا متفوقين في العلوم والفنون ، وكان اليونان في عهده في أعلى مستوى من السكّال في الفنون ، وكانوا واقفين على أحكام التوراة وسائر كتب العهد القديم بواسطة ترجمة (سيتواخت) التي ظهرت باللغة اليونانية قبل

(١) سورة الجمعة : ٢ .

المسيح بمبتين وثمانين عاما ، ولكنهم لم يؤمنوا بالعقيدة الموسوية . إذن لا يجوز أن يكون المقصود بالشعب الجاهل اليونانيين ، وهذا يدل على أن كلام بولس في الرسالة الى أهل رومية إما مؤوّل أو مردود .

البشارة الثالثة :

في الاصحاح الثالث والثلاثين من سفر التثنية في الترجمة العربية المطبوعة عام ١٨٤٤ قوله : (جاء الرب من سيناء وأشرق لنا من ساعير وتلألأ من جبل فاران ، ومعه ألوف الأطهار في يمينه سنة من نار) فجيئته من سيناء إعطاؤه التوراة لموسى ، واشراقه من ساعير إعطاؤه الانجيل للمسيح ، وتلألؤه من جبل فاران انزاله القرآن على محمد ﷺ . أما كيف نستدل على أن فاران هي الارض التي سكنها اسماعيل جد الرسول فالدليل على هذا في التوراة ، إذ ورد فيها في سفر التكوين (٢٠ - ٢١) عن اسماعيل ما يلي (وكان الله معه وغما وسكن في البرية وصار شابا يرمي السهام وسكن بركة فاران وأخذت له أمه امرأة من أرض مصر) ولا شك أن سكنى اسماعيل انما كانت بمكة .

البشارة الرابعة :

والى جانب هذه البشارات التي وردت في التوراة هناك بشارة أخرى في العهد الجديد ، أثارت الكثير من الجدل بين المشتغلين بالالهيات ، ففريق يرى أن المقصود بها محمد ﷺ بينما يرى البعض الآخر أنها خاصة بوعده المسيح لتلاميذه بانزال الروح القدس عليهم . وقد نزل عليهم روح القدس يوم الدار الذي جاء ذكره في الباب الثاني من كتاب الاعمال . وهذه البشارة واقعة في آخر أبواب انجيل يوحنا المطبوع أعوام ١٨٢١ ، ١٨٣١ ، ١٨٤٤

ففي الاصحاح الرابع عشر من انجيل يوحنا قوله : (ان كنتم تحبوني فاحفظوا وصاياي ، وأنا أطلب من الأب فيعطىكم فارقليط آخر ليثبت معكم إلى الأبد روح الحق الذي لن يطيق العالم أن يقبله ، لأنه ليس يراه ولا يعرفه وأنتم تعرفونه لأنه هو مقيم عندهم وهو ثابت فيكم » ٢٦ ، والفارقليط روح القدس الذي يرسله الأب باسمي هو يعلمكم قبل كل شيء وهو يذكركم بكل ما قلته لكم والآن قد قلت لكم قبل أن يكون حتى اذا كان تؤمنون) .

وفي الاصحاح الخامس عشر من انجيل يوحنا قوله : (فأما إذا جاء الفارقليط الذي أرسله انا اليكم من الاب روح الحق الذي من الاب ينبثق هو ليشهد لأجلي وأنتم تشهدون لأنكم معي من الابتداء » ٢٢) .

وفي الباب السادس عشر يبين انجيل يوحنا : (لكني أقول لكم الحق أنه خير لكم أن أنطلق لاني إن لم أنطلق لم يأتكم الفارقليط ، فأما إن انطلقت أرسلته اليكم » ١٨ ، فأما إذا جاء ذلك فهو يوبخ العالم على خطيئته وعلى بر وعلى حكم ، أما على الخطيئة فلأنهم لم يؤمنوا بي ، وأما على البر فلأنني منطلق الى الأب ولستم تروني بعد ، وأما على الحكم فان أركون » رئيس « هذا العالم قد دى » ١٢ . وأن لي كلاماً كثيراً أقوله لكم ، ولكنكم لستم تطيقون حمله الآن . وإذا جاء روح الحق ذلك فهو يعلمكم جميع الحق لانه ليس ينطق من عنده بل يتكلم بكل ما يسمع ويخبركم بما سيأتي » ١٤ « وهو يمجدني لأنه يأخذ ويخبركم » ١٥ « جميع ما هو الأب فهو لي فمن أجل هذا قلت إن ما هو لي يأخذ ويخبركم) .

وقد نبه صاحب « إظهار الحق » إلى أن السيد المسيح كان يتحدث باللغة الآرامية ، وهي مشتقة من اللغة العبرية ، وإنه مما لا شك فيه ان الانجيل الرابع « انجيل يوحنا » ترجم اسم الرسول المبشر به باللغة اليونانية

حسب العادة ، ثم جاء مترجمو اللغة العربية فترجموا اللفظ اليوناني ب (فارقليط) . وقد ذكر من قبل تصرفهم في الأسماء .

وقد حاول آردو صرف المسلمين عن الاستدلال بهذه البشارة فذكر أن لفظ (فارقليط) معرب من اللفظ اليوناني ، ثم قال : (فان قلنا : إن هذا اللفظ اليوناني الأصل « باراكلي طوس » فيكون بمعنى المعزي والمعين والوكيل . وإن قلنا : إن اللفظ الاصلي « بيركلوطوس » فيكون من معنى محمد أو أحمد . فمن استدل من علماء الاسلام بهذه العبارة فهم أن اللفظ الاصلي « بيركلوطوس » فادعى أن السيد المسيح بشر بمحمد او احمد ، ولكن الصحيح ان اللفظ « باراكلي طوس » وليس « بيركلوطوس ») « انتهى كلام آردو ملخصا » .

يرى صاحب كتاب « اظهار الحق » أنه من الواضح أن التفاوت بين اللفظين يسير جداً ، وأن الحروف اليونانية كانت متشابهة ، وأن تصحيف « بيركلوطوس » الى « باراكلي طوس » من السكاك في بعض النسخ قريب القياس ، ثم رجح أهل التثليث هذه النسخة على النسخ الأخرى .

قلت : وقد يكون الالتباس وقع بين اللفظين نتيجة تعمد بعض النساخ إجراء تحسين مقصود في الاسلوب كما حصل للمحمي الايامدة والأوديسا اليونانيتين .

وذكر العلامة الشيخ عبد الوهاب النجار أن العلامة الكبير « كارلوثينو » المستشرق الايطالي كان يحضر دروس اللغة العربية بتوصية من الحكومة الايطالية في كلية دار العلوم بجامعة القاهرة ، وكان آتذ حاصلاً على شهادة الدكتوراه في آداب اللغة اليونانية . فجعل يجلس بجانب الشيخ النجار وهو طالب ، حتى انعقدت بينهما أواصر الصحبة المثينة . . فقال له الشيخ النجار : ما معنى « بيريكلتوس » ؟ فأجابني بقوله : إن القسس يقولون إن هذه الكلمة

معناها « المعزي » فقلت : إني أسأل الدكتور « كارلونيينو » الحاصل على الدكتوراه في آداب اللغة اليونانية القديمة . ولست أسأل قسيساً ! فقال : إن معناها « الذي له حمد كثير » . فقلت : هل ذلك يوافق أفعال التفضيل من حمد ؟ فقال : نعم . فقلت : إن رسول الله ﷺ من أسمائه « احمد » فقال : يا اخي انت تحفظ كثيراً . ثم افترقنا وقد ازددتُ بذلك تثبُّتاً في معنى قوله تعالى حكاية عن المسيح (ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه احمد) (١) .

ترقب أهل الكتاب بعثة نبي دليل أن المراد بالفارقليط نبي :

وعلى أي حال فانه مما يدل على أن الفارقليط ليس هو الروح النازل على التلاميذ في يوم العنصرة ، ان البعض قد ادعى - قبل ظهور محمد - انهم مصاديق لفظ فارقليط . مثل ذلك « منفليس » المسيحي الذي كان في القرن الثاني الميلادي وكان تقياً - فيما زعموا - وقد ادعى الرسالة في آسيا الصغرى ، وقال انه هو الفارقليط الموعود به الذي وعد بمجيئه السيد المسيح . وقد تبعه في ذلك الوقت أناس كثيرون . وقد ذكر ذلك بعض المؤرخين مثل « وليم ميور » فقد ذكره واتباعه في القسم الثاني من الباب الثالث من تاريخه بلسان « آردو » المطبوع عام ١٨٤٨ فقال : (ان البعض قالوا عن منفليس انه الفارقليط ، يعني المعزي روح القدس . وقد كان تقياً ، ولذلك قبله الناس قبولاً يفوق الحد ، مما يدل على أن انتظار فارقليط كان في القرون الأولى للمسيحية أيضاً ، ولذلك كان الناس يدعونهم مصادقة ، وكان المسيحيون آنذاك يقبلون دعواهم) .

وقد قال صاحب لب التواريخ (أن اليهود والمسيحيين من معاصري

(١) سورة الصف ٦ وانظر قصص الانبياء - عبد الوهاب نجار ص ٣٩٧ -

٣٩٨ ت نشر مؤسسة الحلبي بالقاهرة ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ م .

محمد كانوا منتظرين لني فحصل لمحمد من هذا الأمر نفع عظيم لأنه ادعى أنه هو ذاك المنتظر) ، فيعلم من كلامه أن أهل الكتاب كانوا منتظرين لخروج نبي في زمان النبي محمد . وهذا صحيح لأن النجاشي ملك الحبشة لما وصل إليه كتاب النبي محمد ﷺ قال : أشهد بالله أنه النبي الذي ينتظره أهل الكتاب وكتب في رسالته اليه (أشهد أنك محمد رسول الله صادقاً ومصداقاً ، وقد بايعتك وبايعت ابن عمك - أي جعفر بن أبي طالب - وأسلمت على يديه لله رب العالمين) .

وهذا النجاشي كان قبل الاسلام مسيحياً .

والمقوس في رده على رسالة النبي اليه قال : (لمحمد بن عبد الله من المقوقس عظيم القبط . سلام عليك ، أما بعد ، فقد قرأت كتابك وفهمت ما ذكرت وما تدعو اليه ، وقد علمت أن نبياً قد بقي وكنت أظن أنه يخرج من الشام وقد أكرمت رسولك) .

والمقوقس هذا قد أقر في كتابه أنه قد علم أن نبياً قد بقي وكلاهما - النجاشي والمقوقس - ما كانا يخشيان محمداً في ذلك الوقت بل كانا يقولان الحقيقة دون ضغط أو تأثير .

وجاء الجارود بن العلاء مع قومه إلى النبي وقال : (لقد جئت بالحق ونطقت بالصدق والذي بعثك بالحق نبياً ، لقد وجدت وصفك في الانجيل وبشّر بك ابن البتول - يقصد المسيح - فطول التحية لك والشكر لمن أكرمك ، لا أثر بعد عين ، مد يدك فأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنك محمد رسول الله) ثم آمن وقومه ، وهذا الجارود كان من العلماء المسيحيين ، وقد أقر بأنه قد بشر به المسيح ، مما يدل على أن المسيحيين كانوا منتظرين لخروج نبي بشّر به المسيح ، فإذا علمنا ذلك اتضح لنا أن

اللفظ العبري الذي قال به المسيح مفقود ، واللفظ اليوناني وهو الموجود ترجمة له . وبغض النظر عن الأصل فانتا لو تمسكنا بهذا اللفظ اليوناني فانتا نرى أنه : إن كان اللفظ اليوناني هو في الأصل (بيركوطوس) فالأمر واضح وتكون بشارة السيد المسيح في حق محمد بلفظ هو قريب من محمد وأحمد . أما ان كان اللفظ اليوناني هو في الأصل (باركليطوس) فهذا لا يتنافي الاستدلال أيضاً ، لان معناه المعزي والمعين والوكيل . وهذه المعاني كلها تصدق على محمد . وهذا يعني أن المقصود بالفارقليط النبي المبشر به ، أعني محمداً ﷺ ، لا الروح النازل على التلاميذ الذي جاء ذكره في الباب الثاني من أعمال الرسل .

تحليل البشارة يثبت أنها خاصة ببعثة محمد ﷺ :

(١) إن المسيح قال : (أولاً إن كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي) ثم أخبر عن فارقليط ، فقصده هنا أن يعتقد السامعون بأن ما يلقي عليهم يعد ضرورياً واجب الرعاية . فلو كان الفارقليط عبارة عن الروح النازل لما كانت هناك حاجة إلى هذا المقطع من الفقرة ، لأنه ما كان مضموناً أن يستبعد التلاميذ نزول الروح عليهم مرة أخرى لأنهم كانوا مستفيضين به من قبل أيضاً ، ولأنه إذا نزل على قلب أحد وحل فيه ظهر أثره لا محالة ظهوراً واضحاً فلا يتصور ممن تأثر به أن ينكره . لكن السيد المسيح لما علم بالتجربة وبنور النبوة أن الكثيرين من أمته سينكرون النبي المبشر به عند ظهوره عرف به في هذه الفقرة ثم أخبر عن مجيئه .

(٢) إن هذا الروح - حسباً آلت إليه عقيدة النصارى - متحد بالأب مطلقاً وبالأبن ، نظراً إلى لاهوته اتحاداً حقيقياً فلا يصدق في حقه

(فارقليط آخر) بخلاف النبي المبشر به فان هذا القول يصدق في حقه بلا تكلف .

(٣) إن الوكالة والشفاعة من خصائص النبوة لا من خصائص هذا الروح المتحد بالله فلا يصدقان على الروح ، بل يصدقان على النبي المبشر به .

(٤) ان السيد المسيح قال : (هو يذكركم بكل ما قلته لكم) ولم يثبت في رسالة من رسائل العهد الجديد أن التلاميذ كانوا قد نسوا شيئاً مما قاله المسيح وأن هذا الروح النازل يوم الدار ذكرهم إياه .

(٥) ان المسيح قال : (والآن قد قلتُ قبل أن يكون حتى إذا كان تؤمنون) ، وهذا يدل على أن المقصود ليس هو الروح النازل لأننا قد عرفنا في أول الأمر أنه ما كان عدم الايمان مظنوناً أو متوقفاً منهم وقت نزول روح القدس ، فلا حاجة إذن إلى هذا القول .

(٦) ان المسيح قال : (هو يشهد لأجلي) وهذا الروح لم يشهد لأجله بين أيدي أحد لأن التلاميذ الذين نزل عليهم لم يكونوا محتاجين إلى الشهادة لأنهم كانوا يعرفون المسيح حق المعرفة قبل نزوله أيضاً فلا فائدة للشهادة بين أيديهم ، والمنكرون محتاجون للشهادة ، فهذا الروح ما شهد بين أيديهم ، بخلاف محمد عليه السلام فانه شهد للمسيح وصدقه . والأحاديث نفسها خير دليل على صدق ما نقول أنه يقول في حديث له (والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً مقسطاً) .

(٧) إن المسيح قال : (إن لم أنطلق لم يأتكم الفارقليط فأما إن انطلقت أرسلته اليكم) ، فعلق مجيء الفارقليط بذهابه ، فهو غير

الروح القدس لأن الروح قد نزل على التلاميذ في حضوره ، لما أرسلهم الى البلاد الاسرائيلية ؛ بدليل الفقرة (٢٢) من الاصحاح العشرين . (ولما قال هذا نفخ فيهم وقال لهم : خذوا الروح القدس) مما يدل على أن نزول الروح لم يكن مشروطاً بذهابه ، فلا يكون مقصوداً بالفارقليط ، بل المقصود به شخص لم يستفرض منه أحد من التلاميذ قبل صعوده ، وكان مجيئه موقوفاً على ذهاب المسيح .

(٨) ان المسيح قال : (يوبخ العالم) فهذا القول بمنزلة النص الجلي لمحمد ﷺ ، لانه وبخ العالم سيما اليهود على عدم ايمانهم بالمسيح تويخاً لا يشك فيه الا معاند ، وذلك على عكس الروح فان تويخه لا يصح على اصول أحد ، وما كان التويخ يستهدف الحواريين بعد نزوله أيضاً ، لأنهم كانوا يدعون إلى المسيحية بالترغيب والوعظ .

(٩) أما قول عيسى عليه السلام : (أما على الخطيئة فلأنهم لم يؤمنوا بي) ، فيدل على أن الفارقليط يكون ظاهراً منصوراً على منكري عيسى عليه السلام موجباً لهم على عدم الايمان به ، والروح النازل يوم الدار ما كان ظاهراً على الناس موجباً لهم .

(١٠) ان المسيح قال : (ليس ينطق من عنده بل يتكلم بكل ما يسمع) . وهذا يدل على أن الفارقليط يكون بحيث يكذبه بنو اسرائيل فاحتاج المسيح أن يقرر صدقه فقال هذا القول ولا مجال لمظنة التكذيب في حق الروح النازل يوم الدار ، فان كان هذا الروح عندهم عين الله فلا معنى لقوله (بل يتكلم بما يسمع) فهذه الفقرة إذن تصدق على محمد ، فقد كانوا مظنة التكذيب برسائله ، وليس هو عين الله ، وكان يتكلم بما يوحى اليه ، كما قال الله تعالى :

(وما ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحيٌ يُوحى) (١) وقال : (قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي ، إن أتبع إلا ما يوحى إلي) (٢) .

وقد أثار بعض رجال الدين النصارى اعتراضات واهية متهافة ؛ حول انطباق (الفارقليط) على سيدنا محمد ﷺ . وقد سردها رحمة الله الهندي وأسقطها برود مفعمة ، وقد استغنينا عن ذكرها لما في التحليل المذكور من دلائل قوية كافية . وقد نقل في تفسير المنار معظم ما كتبه رحمة الله الهندي ، وأضاف عليه تحليلاً لغوياً جيداً في بيان تصحيف أو تحريف لفظ (فارقليط) اليوناني ؛ الذي تلفظ كتابته بالانكليزية (بارقليط) عن لفظ (بيرقليط) المشابهة الشديدة بين رسميهما في لغتهم . هذا على الرغم من انطباق كليهما على سيدنا محمد ، لكن الثاني لا يمكن صرفه أبداً عن معنى (محمد أو أحمد) ﷺ (٣) .

ثالثاً - بشارات كتابية لا يعتبرها النصارى

ونخص بالذكر منها ما ورد في انجيل برنابا ، من بشارٍ صريحة ببعثة سيدنا محمد ﷺ نبياً رسولاً . وقد ترجمه في مطلع هذا القرن الدكتور خليل سعادة ، وقدم له مقدمة تاريخية علمية ، وقد عرف فيها بالانجيل وأصله . وقام بنشره الاستاذ الشيخ محمدرشيد رضا رحمه الله . وأتبع مقدمة المترجم بمقدمة ناقش فيها أهم المسائل التي تتصل بأصل الانجيل .

(١) سورة النجم : ٣ - ٤ . (٢) سورة يونس : ١٥ .

(٣) قل ذلك الشيخ رشيد رضا من كتاب (دين الله في كتب أنبيائه) للدكتور محمد توفيق صدقي (انظر تفسير المنار : ٩ : ٢٦٤ وما حولها .

نسخة انجيل برنابا :

ان النسخة الوحيدة المعروفة الآن في العالم التي نقل عنها هذا الانجيل انما هي نسخة باللغة الايطالية في مكتبة بلاط « فيينا » . وتعد من أنفس الذخائر والآثار التاريخية . وأول من عثر على النسخة الايطالية هو « كرير » أحد مستشاري ملك بروسيا . فقد أخذها سنة ١٧٠٩ من مكتبة أحد مشاهير ووجهاء مدينة « امستردام » . ثم أهديت بعد أربع سنين الى « البرنس ايجين سافوي » ثم انتقلت سنة ١٧٣٨ مع سائر مكتبة هذا الامير الى مكتبة البلاط الملكي في « فيينا » ولم تزل هناك حتى الآن . لكن الذي اكتشف هذه النسخة أصلاً راهب لاتيني يدعى « فرامرينو » ذلك انه عثر على رسائل دينييه ل « ايريناوس » يندد في أحدها بالقدیس بولس الرسول مستندا في ذلك الى انجيل القديس برنابا . فشغف بالحصول على نسخة من هذا الانجيل . فلما أصبح مقرباً من البابا (سكسس الخامس) صادف أنه أدخله معه يوماً مكتبة البابا . لكن البابا غلبه النوم فأحب « مرينو » أن يقتل الوقت بالمطالعة حتى يستيقظ البابا . فكان الكتاب الاول الذي وضع يده عليه هو هذا الانجيل نفسه فكاد يطير فرحاً فخبأه في أحد ردينه . ولما استفاق البابا استأذنه بالانصراف حاملاً معه ذلك الكنز . فخلا بنفسه وطالعه بشوق عظيم . فاکتشف الحقيقة واعتنق الاسلام ديناً .

ووجدت نسخة أخرى لهذا الانجيل باللغة الاسبانية ، وقد نقلها الى الانكليزية الدكتور « منكوس » أحد أعضاء كلية الملكة في اكسفر د ثم دفع الترجمة مع الاصل الى الدكتور « هويت » أحد مشاهير الأساتذة

سنة ١٧٨٤ . وطمس بعد ذلك خبرها ولم ير أثرها (١) . ويبدو لي أنها ألفت عصبية وحقداً ، أو أخفيت مع أسرار الكنيسة . وذكر الدكتور خليل سعادة في مقدمته (٢) ان التاريخ حفظ لنا في طياته أن البابا « جلاسيوس الاول » الذي جلس على الأريكة البابوية سنة ٤٩٢ م أصدر أمراً عدد فيه أسماء الكتب المنهي عن مطالعتها ، ومنها انجيل برنابا . فهذا دليل على أن هذا الانجيل كان موجوداً قبل بعثة سيدنا محمد ﷺ بزمان طويل . ويتعقبه الاستاذ بشرى زخاري ميخائيل بالتنبيه على أنه قد مضى قرنان من الزمان على تحريمه قبل الدعوة الاسلامية ، مما جعل التحريم ينتج أثره ، فيخفي ما كان موجودا ويدفن ما كان لدى رجال الدين معلوماً .

وقد ثار في نفس الدكتور سعادة وغيره أن أصل النسخة الايطالية كان اللغة العربية وقد ترجم في القرون الوسطى . بدليل تعليقات عربية وجدت على هامش النسخة الايطالية . وقد ذكر قبل ذلك للعالمان « لونسدال - لورارغ » ان الانجيل من ترجمة رجل معرفته بالأسفار المسيحية تفوق كثيراً اطلاعه على الكتب الدينية الاسلامية ، فيرجح اذاً أنه مرتد عن النصرانية .

كما بين أيضاً أن ما كتب فيه بالعربية يحتوي من التعابير السخيفة والأساليب الركيكة والطمطمانيات التي لا يستخرج منها معنى بالرة (٣) . وهذا دليل أن ترجمته ليست عمل رجل ضليع في الاسلام متقن للعربية . وهذا في نظرنا يؤكد أن معظم هذه العلاقات كان من الراهب « فرامرينو »

(١) انجيل برنابا - مقدمة المترجم: ج - ٥ - مطبعة محمد علي صبيح سنة ١٣٧٣ هـ - ١٩٥٤ م .

(٢) انجيل برنابا - مقدمة المترجم : ل .

(٣) انجيل برنابا - مقدمة المترجم : ز .

الذي استرقه من مكتبة البابا . فانه لما أسلم تعلم شيئا من العربية فكتب تلك العبارات كتعلم مبتدئ وهو في سن الكبر . ويؤيد هذا ما رجحه العلماء الأخصائيون أن الخط يرجع الى القرون الوسطى . وقد ذهب الى هذا أيضاً الشيخ محمد رشيد رضا رحمه الله . (١) ويحتمل أن يكون بعض القسوس ممن على شاكلة الراهب المذكور قد شاركوا في كتابة بعض التعليقات ، فان خطها مختلف يدل على أكثر من كاتب . وقد استشهد الشيخ رشيد رضا على استحالة كون كاتب التعليقات عريق الاسلام بعبارة منها لا تصدر قطعاً عن متعمق في الاسلام ، ثم قال : (ونقل الشيخ محمد بيرم عن رحلة انجليزي أنه رأى في دار الكتب البابوية في الفاتيكان نسخة من الانجيل مكتوبة بالقلم الحيري قبل بعثة النبي ﷺ . وفيها يقول المسيح « ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه احمد » فيظهر أن في مكتبة الفاتيكان من بقايا تلك الاناجيل والكتب التي كانت ممنوعة في القرون الأولى ما لو ظهر لأزال كل شبهة عن انجيل برنابا وغيره) .

وختاماً نقول : لو كان انجيل برنابا معروفاً للمسلمين من قبل لاستدل به علماءهم في محاجة النصارى . لكن كتبهم خالية من الإشارة اليه على اختلاف أعصار تأليفها . ويكفيك دليلاً على ذلك ابن حزم الاندلسي وابن تيمية المشرقي ، إذ كانا أوسع علماء المسلمين قاطبة اطلاعا على كتب النصارى ، ولم يذكرها في ردودها هذا الانجيل .

شخصية كاتب الانجيل :

هو القديس برنابا من تلاميذ ورسول السيد المسيح عليه السلام . فهو في الصف الاول من أتباعه . وقد ورد ذكره في رسالة أعمال

(١) مقدمة الناشر صفحة : ت .

الرسول ، ففي الاصحاح الرابع منها ما نصه (وأن يوسف الذي لقبه الرسل برنابا - الذي تأويله ابن الغراء - اللاوي القبرصي الأصل ، كان له حقل فباعه وأتى بالدرهم ووضعها عند أرجل التلاميذ) .

وان برنابا هو الذي شهد بايمان « شاول » الذي اشتهر بعد باسم بولس الرسول - فقد ورد في الاصحاح التاسع من رسالة أعمال الرسل قوله : (ولما جاء شاول الى اورشليم حاول أن يتصل بالتلاميذ لكنهم كانوا يخافونه غير مصدقين أنه تلميذ . فأخذ برنابا وأحضره الى الرسل وحدثهم كيف أبصر الرب في الطريق وأنه كله . وكيف جاهر في دمشق باسم يسوع بجرأة) .

وكانت الكنيسة ترسل برنابا للوعظ والارشاد لما كان يتسم به من صلاح وتقى . ففي الاصحاح الحادي عشر (فسمع الخبر عنهم في آذان الكنيسة التي في اورشليم فأرسلوا برنابا لسكي يجتاز الى أنطاكية ، الذي لما أتى ورأى نعمة الله فرح ووعظ أن يثبتوا في الرب بعزم القلب ، لأنه كان رجلاً صالحاً ومتمثلًا من الروح القدس والايمان . فانضم الى الرب جمع غفير . .) .

كما ورد ذكره في رسالة الأعمال على أنه اختص بخطاب روح القدس هو وبولس من بين سائر رسل المسيح ، وأن الكنيسة أرسلته مع بولس الى قبرص لبشر بالمسيحية ، وأنه اختلف أخيراً مع بولس فافترقا .

وعقب الاستاذ بشرى زخاري ميخائيل على ذلك بقوله : (هذا هو برنابا قديس من الرعيل الاول للمسيحية وركن من الاركان التي قامت عليها الدعوة للمسيحية الاولى . وقد وجد انجيل باسمه يدل على أنه كان من تلاميذ السيد المسيح . ولو أن بعض الكتاب المسيحيين أبعدوه من هؤلاء

التلاميذ . انما هو من الرسل الذين يلقون مكانة التلاميذ في هذا الدين . بعد المسيح . ومما يكن من شيء في هذا الأمر - وهو كونه من التلاميذ أو ليس منهم - فان برنابا حجة في المسيحية ، وهو من المهملين . قالت صحت نسبة هذا الانجيل اليه كان ما يشمله حجة على المسيحيين يدعوهم الى أن يوازنوا بين ما جاء فيه وما جاء في غيره من الكتب الأخرى . وبأخذوا بما هو أقرب الى التصور والتصديق وأصح سنداً وأقرب بالمسيحية الأولى (رحمًا) (١) .

بشارات هذا الانجيل :

يذكر انجيل برنابا البشارة بالنبي محمد ﷺ بعبارة لا تحمل المغالطات التي أوردها النصارى على البشارات السابقة . فينص على أن سيدنا عيسى عليه السلام قد بشر بخاتم المرسلين محمد ﷺ ويستوفي ذلك مفصلاً في فصول كاملة أحياناً أو يؤديه مختصراً في فقرات من فصول أحياناً أخرى . وقد ذكر أن الله قدّر خلق محمد ﷺ أول تقديره الخلق حتى قرأ آدم كتابة اسمه مقرونة باسم الله جل جلاله (لا إله إلا الله محمد رسول الله) (٢) .

وقد بشر به مبيئاً أنه مبعوث من نسل اسماعيل عليه السلام في الفصل الرابع والأربعين ، (٣) وبشر به مبيئاً مقامه في الفصل الرابع والخمسين كما تحدث في الفصل الخامس والخمسين كله عن صلته بربه ومقامه عنده .

(١) محمد رسول الله ، هكذا بشرت الاناجيل ص ١١٠ وانظر ما حولها .

(٢) الفصل التاسع والثلاثون : فقرة ١٤ - ٢٧ . وانظر الفصل الثالث والاربعين والفصل التسعين . (٣) وانظر الفصل الثالث والاربعين .

ونبه السيد المسيح عليه الصلاة والسلام الى أنه ليس خاتم رسل الله ، وأن بعده (مسيا) أي رسولاً رحمة لكافة بني الانسان .

قال في الفصل السادس والتسعين : (٨ - لعمر الله الذي تقف بحضرته نفسه إني لست مسيا الذي تنتظرونه كل قبائل الأرض كما وعد الله أبانا ابراهيم قائلاً : بنسلك أبارك كل قبائل الأرض - ٩ - ولكن عندما يأخذني الله من العالم سيثير الشيطان مرة أخرى هذه الفتنة الملعونة بأن يحمل عادم التقوى على الاعتقاد بأني الله وابن الله . - ١٠ - فيتنجس بسبب هذا كلامي وتعليمي حتى لا يكاد يبقى ثلاثون مؤمناً - ١١ - حينئذ يرحم الله العالم ويرسل رسوله الذي خلق كل الاشياء لأجله - ١٢ - الذي سيأتي من الجنوب بقوة وسيبيد الأصنام وعبداء الأصنام - ١٣ - وسيترزع من الشيطان سلطته على البشر ١٤ - وسيأتي برحمة الله لخلاص الذين يؤمنون به - ١٥ - وسيكون من يؤمن بكلامه مباركا) .

ويؤكد السيد المسيح أن مجيء الرسول هو عزاءه ، فإن دينه سيعم العالم جميعه وسيظل مصوناً صحيحاً إلى ما لانهاية، فإن هذا الرسول خاتم الرسل . قال : (٣ إن كلامكم لا يعزيني لأنه يأتي ظلام حيث ترجون النور . ولكن تعزيتي هي في مجيء الرسول الذي سيبيد كل رأي كاذب في . وسيهتد دينه ويعلم العالم بأسره لأنه هكذا وعد الله أبانا ابراهيم ، وإن ما يعزيني هو أن لا نهاية لدينه لأن الله سيحفظه صحيحاً .

٧ - أجب السكاهن (أياي رسل آخرون بعد مجيء رسول الله ؟)
٨ - فأجاب يسوع : لا يأتي بعده انبياء صادقون مرسلون من الله
٩ ولكن يأتي عدد غفير من الأنبياء الكذبة وهو ما يحزني ١٠ - لأن الشيطان سيثيرهم بحكم الله العادل فيستترون بدعوى انجيلي (١) .

(١) وانظر بقية الفصل ففيه تصريح باسم سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام .

وأعلن السيد المسيح ان كل نبي انما يبلغ أمة واحدة فحسب وأن رسالته تقتصر على الشعب الذي ارسل اليه . اما الرسول ﷺ فانه رحمة للأمم جميعاً وخاتم لرسول الله اجمعين . وان الله يبعثه من نسل اسماعيل ، قال في الفصل الثالث والأربعين : (الحق اقول لكم ان كل نبي متى جاء فانه انما يحمل لأمة واحدة فقط علامة الله - ١٤ - ولذلك لم يتجاوز كلامهم الشعب الذي ارسلوا اليه - ١٥ - ولكن رسول الله متى جاء يعطيه الله ما هو بمثابة خاتم يده - ١٦ - فيحمل خلاصاً ورحمة للأمم الارض الذين يقبلون تعليمه - ١٧ - وسيأتي بقوة على الظالمين - ١٨ - ويبيد عبادة الأصنام بحيث يخزي الشيطان - ١٩ - لأنه هكذا وعد الله ابراهيم قائلاً : « انظر فاني بنسلك ابارك كل قبائل الأرض وكما حطمت يا ابراهيم الاصنام تحطيماً هكذا سيفعل نسلك » .)

ثم قال : (٣١ - صدقوني لاني اقول لكم الحق ، ان العهد صنع باسماعيل لا باسحاق) .

الخاتمة

- يحمل دلائل نبوة محمد ﷺ
 - افتقار البشرية الى رسالة محمد ﷺ
 - واجب البشرية نحو محمد ﷺ :
- (١) الايمان بمحمد ﷺ وأنه خاتم النبيين
 - (٢) طاعته ﷺ
 - (٣) محبته ﷺ

ونعرض فيها خلاصة لدلائل نبوة محمد ﷺ في القرآن الكريم ،
ثم نبين حاجة البشرية الى الايمان برسائله والعمل بها ايام بعثته وفي كل
زمان ، سينا زماننا هذا . ونوجه للانسانية عامة دعوة لاداء واجبها نحوه
ﷺ ، لتؤمن برسائله ، وتلتزم طاعته ، وتوفي مقامه الأمنى ما يستأهله
من محبة واجلال .

مُجْمَل دلائل نبوة محمد ﷺ في القرآن

(١) اصطفى الله لرسائله محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب ، الذي نشأ يتيمًا ،
وشب أميًا ، واكتملت فيه الفضائل والمحامد ، حتى بلغ في كل
منها الغاية القصوى من الكمال . وكان متمكنًا فيها مستجمعًا لها
بأسرها ، وهذا أمر تنقطع أعناق الخلائق دونه إلا النبيين ، الذين
عصمهم الله وسددهم . فاجتماع خصال الكمال فيه على هذا النحو
من أعظم البراهين على نبوته ﷺ .

(٢) حظي محمد ﷺ بوحى الله تعالى . فقد جاءه ملك الوحي الذي
يُقرء به أهل الكتاب جميعا . وكانت تبدو عليه حين اتصاله به
وتلقيه منه آثار غير عادية ، تنبئ عما يلقاه من شدة وما يذله
من جهد في تحمل رسالة الله عن جبريل عليه السلام . ولقد شهد
أصحابه وهو يوحى اليه ، فأيقنوا أن الوحي أمر الزامي ؛ خارج
عن ذات محمد ﷺ ، يتنزل عليه من حكيم حميد .

(٣) لقد أيد الله محمدًا بالمعجزات المادية التي تحدى بها قومه ، ومن
أهمها : انشقاق القمر والاسراء الى بيت المقدس . فعجزوا عن
معارضتها ، فكانت شهادة إلهية ظاهرة قاطعة الدلالة على نبوته ﷺ .

(٤) وأيده الله تعالى بمعجزات ودلائل عقلية كان أعظمها القرآن الكريم . فهو المعجزة العظمى وآية الآيات التي انطوت في تضاعيفها آلاف المعجزات . وهو المعجزة الخالدة على جبين الدهر ، التي تنقطع أنفاس البشر دون الاتيان بمثلها ؛ في سورة منها أو وجه واحد من وجوه اعجازها ؛ متفرقين كانوا أو مجتمعين . لقد ثبت عجز العرب عن معارضته بشكل قطعي لا مرية فيه ، دلت على ذلك أحوالهم واعترافات بلغائهم باعجازه . وحاول الدجاجة منهم مجاراته محاولة بلغوا بها من السخف ما أثبت عجز العرب عن مجارة القرآن . ولم تزل معجزة القرآن ماثلة للبشر تتحداهم على مر العصور وكر الدهور منذ العصر الاول لبعثة محمد ﷺ وإلى الأبد ، ولم يقابل ذلك التحدي إلا بظهور عجز الانسان المتأصل وقصوره الدائم عن بلوغ شأو القرآن . (١)

(٥) ان اعجاز القرآن كامن فيه ومنبث من ذاته . وتلمح أوجه اعجازه في أسلوبه البياني ؛ وإخباره عن النيب ؛ والوفاء بكل ما وعد الله فيه ؛ وسمو وشمول تشريعه ؛ وإعجازه الخلقى والاجتماعي ؛ وفي إعجازه العلمي ؛ وفي انساق نظرياته وأحكامه ؛ وفي تأثيره وقاعليته في الافئدة .

وتندرج تحت كل من هذه الأوجه معجزات عديدة منبثة في ثنايا الكتاب العزيز ، مما يدهش العقل ويحير اللب ويورث اليقين بأنه تنزيل من حكيم حميد . (١)

(٦) أشار القرآن الكريم الى علامات ودلائل حفت بشخص محمد رسول الله ﷺ ودلت على صدقه فقد عصمه من المعاصي والدنايا كما عصم كافة الانبياء قبله . وعاش أميا في جزيرة الأمية ، لم

(١) تفصيل ذلك في الكتاب الثاني : بينات المعجزة الخالدة .

يتصل بعلم ولم يتلق من عالم شيئاً . ولم يشتغل بتحصيل شيء من المعارف الدينية . فلما بلغ الأربعين من عمره ، جاء بما لا قبل للأولين والآخرين به من علم إلهي ومعارف ربانية وحكم وأحكام . وأظهر الخطاب القرآني أن الرسول متلق مأمور يلقي عتبا وتوجيهاً من ربه تبارك وتعالى ، مما يبرهن على انفصال مصدر الوحي عن شخصه الكريم ، وأنه لا يكون إلا من رب العالمين . وعلى الرغم مما جاء الرسول ﷺ قومه به من أبناء الغيب ، فقد أعلن تبرؤه من علم الغيب وأنه في كل ما جاء به مبلغ عن ربه تبارك وتعالى . وقد لقي الرسول ﷺ حماية إلهية خاصة حفظته في الشدائد المدممة من هلاك محقق ! وقد تكفل الله له بهذه الحماية . وقد ظهر انطباق الكفالة الإلهية على واقع الرسول ﷺ . فكان ذلك دليلاً على أنه محوط بعين العناية الإلهية . ولا يخصه الله - تعالى حكمة - بذلك وهو يدعي النبوة إلا أن يكون مبعوثاً من الله حقاً وصدقاً .

(٧٠) وأورد القرآن دلائل تثبت نبوة محمد ﷺ من خلال رسالات من قبله . فقد وردت البشارات ببعثه في التوراة والإنجيل ، فنص القرآن على هذه البشارات ، ورآها بعض أهل الكتاب في كتبهم منطبقة تماماً على محمد ﷺ فأعلنوا إسلامهم . ولم تزل أسفار الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد في نسخه المعتمدة لدى أهل الكتاب تحوي بشارات ظاهرة الدلالة على نبوة محمد ﷺ . وإن نسخة إنجيل برنابا ؛ وإن لم تعترف السلطات الدينية للنصارى بها ؛ تحوي علائم تجعلها في رتبة سائر الاناجيل وثوقاً . وفيها نصوص شهدت صراحة وبقوة بالغة على نبوة محمد ﷺ .

(٨) لم تكن دعوة محمد ﷺ ابتداء تفرّد به ، إنما هي في جنسها وجملة محتواها مماثلة لما جاء به الرسل قبله . فقد بعث الله أنبياء ورسلًا في بني اسرائيل كموسى وعيسى وغيرها ، فأمنت بهم جموع كثيرة عظيمة الشأن ، وشهدت لهم بصحة كتبهم التي تأمل القرآن في جملتها . فكان ذلك شهادة عظيمة على صحة جنس الدعوة التي بعث بها محمد ﷺ ، وبالتالي على صحة دعواه خاصة ، فانها أحد أفراد الجنس الذي شهدوا بصدقه ﷺ .

(٩) وقد بعث الله محمداً ﷺ على سنن الأنبياء قبله ، فصدق بالقرآن كتبهم وأثبت نبوتهم ودعا الناس للإيمان بهم ، فصار كفر أهل الكتاب به أو بكتابه كفراً بكتبهم ورسلهم . ولما كان القرآن حاوياً أصول كتبهم ومصدقاً لها ومثبتاً صدق رسلها ؛ فقد دل على أنه أبعد ما يكون عن أن يفترى من دون الله . فانه جاء على سننها وتنزل عند منزلها تبارك وتعالى .

(١٠) لقد وفي القرآن الكريم موضوع نبوة محمد ﷺ حقه بحفا واستدلالات ، وعالجه علاجاً شافياً . والقرآن هو ذاته الوحي النازل على محمد ﷺ ؛ وهو في نفس الوقت معجزته العظمى الجامعة لآلاف المعجزات وآيته الكبرى الخالدة الشاهدة على ربانية مصدره . فدلائل صدقه قائمة فيه دافقة من عيونه . وهي دلائل عقلية سديدة تشفي العليل وتروي الغليل . وقد كشف تاريخ البحث العلمي في العقائد أن أبلغ الأدلة وأوضح الطرق وأقربها الى القلب طريقة القرآن ودلائله (قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين . يهدي به الله من اتبع رضوانه سبيل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم) (١) .

افتقار البشرية الى رسالة محمد ﷺ

« كلما تفاقمت الظلمات

اشتدت الحاجة الى النور »

لم تكن البشرية على ما يرام في القرن السادس من الميلاد ، فقد أخذ الفساد العالم من جوانبه كلها ، ولم يبق من النور الا شعاع خافت لا ينير طريق الهدى وانما يدل على مصدر النور .

كانت هنالك دولتان كبيرتان ، هما الفرس والروم ، أما الفرس فأخذتهم المجوسية وشغلوا عن الله وعن الحق بعبادة إلهين متقاتلين أبداً ، هما النور والظلمة . أما الروم فانقسموا شيعاً ومذاهب على معتقد لم يأت به رسول ، أشركوا بالله جل وعلا فجعلوا له ولداً ، وجعلوا لهذا الولد أمماً ، فتحولوا عن الاعتقاد بالله تعالى الاله الكامل الذات الجليل الصفات الى تصور أسرة إلهية لا ندري إذا كانوا ينتظرون من نسلها الهاً آخر !

وإذا رجعنا الى تاريخ العرب في تلك الفترة ؛ وجدنا في جزيرتهم القاحلة ديانة بدائية انتشرت في أكثرهم وشاعت وهي الوثنية ، الى جانب قلة تدين ببقية الديانات المعروفة في غير الجزيرة وهي النصرانية واليهودية . وكانت الديانة المسيطرة هي الوثنية ، فكانوا يتخذون أصنامهم آلهة لهم يتقربون بها الى الله زلي . وقد سُحنت كتب التاريخ بأسماء هذه الأصنام والأوثان ، وتبيان عدتها وما يخص منها كل قبيلة . وقد ورد ذكر بعضها في القرآن الكريم كما في قوله تعالى (أفرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى) (١) . وذكر تعالى على لسان المشركين في عهد نوح (وقالوا لا تذرنا آلهتنا ولا تذرنا وداً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسراً) (٢) . وقد أطلق العرب هذه الأسماء على أصنام لهم واشتهر الكثير من الاصنام منها : هبل - ومناف - ورؤى - وتيم - وشمس - وذو الخلصة - و . . . و . . . و . . .

(١) سورة النجم : ١٩ - ٢٠ .

(٢) سورة نوح : ٢٣ وانظر روح المعاني ج ٢٩ ص ٧٧ .

ولم يكن العرب متحدين على عبادة هذه الآلهة والأصنام ، وكيف يمكن أن يتحدوا عليها والفرد المادي يضيق صدرا بحفظ أسمائها وتعرف صفاتها وخصائصها ؛ لذلك اكتفى أفراد كل قبيلة بعبادة ما اتخذته قبيلته من أصنام دون سائرهما .

ولم تنل هذه الاصنام المؤلّمة توقيراً مناسباً ، فان القبيلة كانت تتخذ صنماً من التمر أحياناً - وكذا الافراد - فاذا نزل الجوع بساحتهم حق على معبودهم ؛ الذي ناجوه وسجدوا له بالأمس ؛ أن يرتحل الى بطون العابدين ليسد سبيلهم . . . !

وقد وصف هشام بن محمد بن السائب الكلبي^(١) إفراطهم في التزلف للأصنام والولوع بها ، فقال : (وكان لأهل كل دار من مكة صنم في دارهم يعبدونه ، فاذا أراد أحدهم السفر ، كان آخر ما يصنع في منزله أن يتمسح به ، وإذا قدم من سفره كان أول ما يصنع إذا دخل منزله أن يتمسح به أيضاً . فلما بعث الله نبيه وآتاهم بتوحيد الله وعبادته وحده لا شريك له ، قالوا : « أجمل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشيء عجاب »^(٢) . يعنون الأصنام .

واستُهتِر^(٣) العرب في عبادة الاصنام : فمنهم من اتخذ بيتاً ، ومنهم من اتخذ صنماً ، ومن لم يقدر عليه ولا على بناء بيت ؛ نصب حجراً أمام الحرم وأمام غيره مما استحسن ، ثم طاف به كطوافه بالبيت . وسموها الأنصاب .

فاذا كانت تماثيل دعوها الاصنام والاثان . وسموا طوافهم : الدوائر فكان الرجل اذا سافر فنزل منزلاً أخذ اربعة أحجار فنظر إلى أحسنها

(١) في كتابه: الأصنام - ص ٣٣ وما بعدها - الطبعة الأميرية بالقاهرة سنة ١٣٣٢ - ١٩١٤ م .

(٢) سورة ص : ٥ . (٣) والاستهتار بمعنى الولوع بالشيء والافراط فيه .

فاتخذهُ رباً ، وجعل ثلاث أنثى لِقِدْرِهِ ، وإذا ارتحل تركه . فإذا نزل منزلاً آخر فعل مثل ذلك . فكانوا ينحرون ويذبحون عند كلِّها ويتقربون إليها ، وهم على ذلك عارفون بفضل الكعبة عليها : يحجونها ويمترونها إليها ، وكان الذين يفعلون من ذلك في أسفارهم إنما هو للاقتداء منهم بما يفعلون عندها ولصباة بها) . ١ هـ .

عندما فتح الرسول ﷺ مكة كان في الكعبة / ٣٦٠ / صنماً فقط ؛ فتأمل ! ! ١ ؟ وكان كل شيء قبل بعثة رسول الله ﷺ يشير إلى سقوط المستوى الانساني سلوكاً وفكراً ووجداناً وإلى ضلال الناس وبُعدهم عن الآله الحق ، مما أدى بالتالي - نتيجة لسيطرة الجهل والخرافة والنفاهة على العقول - إلى مظالم ومفاسد اجتماعية وخلقية لا تكاد تحصى كإساءة البنات وإرث الزوجة مع متاع الميت وظلم الأقوياء للضعفاء وإذلالهم وهيمنة العصبية القبلية والتبعية العمياء للكبراء والزعماء ؛ واستبداد النزعة العدوانية والاحتكام إلى شريعة الغزو والنهب وسفك الدماء وأكل الربا ومال اليتيم ولعب الميسر وشرب الخمر وتماطي الزنا .

وهكذا غدت الدنيا بكافة أصقاعها وبقاعها أحوج ما تكون إلى النور ، تنتظره وتصبو إليه . وأدرك الذين عرفوا أخبار الرسل السابقين وبشاراتهم بالمبعوث رحمة للعالمين ؛ أن العالم على حافة مخاض جديد ، وأنه لا بد بعد هذا الليل الطويل الحالك أن يولد الفجر فتسطع أنواره لألاءة على الوجود كله . وهذا ما حصل فعلاً فقد ابتهت رب العالمين رسوله محمداً عليه الصلاة والسلام رحمة منه وفضلاً ليتنشل البشرية في طور رشدها من لحج الظلام الكثيف وينير لها بدعوة الله سواء السبيل .

قال تعالى : (أَلَمْ يَكُنْ أَهْلَ الْكِتَابِ أَنْ يُنْزِلَ اللَّهُ إِلَيْكَ الْكِتَابَ يُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ

الى النور باذن ربهم الى صراط العزيز الحميد (١).

وقال (رسولاً يتلو عليكم آيات الله ميسرات ليُخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات الى النور . . .) (٢).

وانما ابتعثه الله ليُشِرَ الذين يستجيبون لربهم بحبته ورضاه ، ويحذر المعرضين العصاة من النار وغضب العزيز الجبار . قال تعالى : (يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً الى الله باذنه ومراجاً منيراً . وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلاً كبيراً) (٣) . وقال : (وكذلك أوحينا إليك قرآناً عربياً لتُنذِرَ أُمم القُرَى ومن حولها وتُنذِرَ يوم الجمع لا ريب فيه فريق في الجنة وفريق في السعير) (٤).

ان بعثته عليه السلام نعمة الهية ورحمة ربانية شاملة لجميع الاقوام وخاصة لقومه العرب ، اذ لم يبعث الله فيهم رسولاً من بعد اسماعيل عليه السلام ، فأرسل الله محمداً ﷺ ليطهرهم بهديه من دنس الجاهلية وخبث معتقاداتها . قال تعالى (لقد مَنَّ الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين) (٥) .

وأنت بعثته بعد انقطاع الرسل انقازاً لأهل الكتاب من دوامة تحريفهم رسالة الله وكتبان أحكامه ، قال تعالى (يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير والله على كل شيء قدير (٦)) .

(١) سورة ابراهيم : ١ . (٢) سورة الطلاق : ١٠ - ١١ .

(٣) سورة الاحزاب : ٤٥ . (٤) سورة الشورى : ٧ .

(٥) سورة آل عمران : ١٦٤ . (٦) سورة المائدة : ١٩ .

وهكذا أسمعفت البعثة الحمديد كلاً الفريرين الكتابيين والوثنيين ، وفكت أسارهم من ربق المعتقدات الزائفة . أخرج الشيخان في صحيحها أن النبي ﷺ قال : (يقول الله تعالى : كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك ، وشتمني ولم يكن له ذلك . فأما تكذيبه إياي فقلوه : لن يعيدني كما بدأني ، وليس أول الخلق بأهوت علي من إعادته . وأما شتمه إياي فقلوه : اتخذ الله ولداً ، وأنا الأحد الصمد لم ألد ولم أولد ولم يكن لي كفواً أحد) (١) .

الجاهلية اليه ﷺ في زماننا :

ونحن الآن في عصر عصفت فيه رياح الشكوك بالمقول ، وطفت عليها أمواج الضلال ، وأحاط بها طوفان من العقائد والفلسفات والمذاهب الشوهاء في الدين والسياسة والاقتصاد والاجتماع ، حتى لم يعد كثير من الناس يقيم على شيء من الحق ، يصبح المرء مؤمناً ويمسي كافراً ، ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً ، يبيع دينه بعرض من الدنيا قليل . فالعالم في ظلام دامس ، تسلطت عليه الدول الكبرى وتحكمت في مقدراته .

واتخذ الناس رؤساءهم آلهتهم ؛ وآراء زعمائهم وفلاسفتهم أديانهم ، وانتشر الهرج ، وتمكنت مفاسد الجاهلية الأولى على نحو أرسخ وأعنى ؛ كالزنى والقمار وشرب الخمر والاتجار بالفتن بالأعراض والفرار في الأفلام والأغاني والمجلات والقصص ، وظهرت التمرات بألوان وأشكال في هيئات ومنظمات وسيطر القوي على الضعيف ، وتلاعب الماكر المخادع على الطيب المسالم ، وفشا الاحتيال على النظام والقانون وتعارف الناس على الرشوة والفسح والكذب وتسربت الى صفوفهم أنماط من الخيانة والتجسس .

(١) - هذا لفظ البخاري من كتاب التفسير في صحيحه .

ضروب* من الفاسد ، وفنون من الموبقات دخلت كل بيت وكل نفس خلصة بوسائل الاعلام كترب الهواء من شقوق الباب ، ونفوس مريضة هزيلة لا تطيق عن المغريات صبراً ؛ ولا تقوى على مقاومة الفتن استقبد بها جوع جنسي ضار وجشع مادي متكالب وعقد نفسي وأمراض جنسية . فالمجتمع الانساني كله يعاني من أزمات خلقية واجتماعية وإهدار للقيم والفضائل ، وتشريعات متناقضة وأحوال مضطربة ، خواء روحي ملهوف وتطلع ظالم : هل إلى خروج من سبيل ! ؟ فيرى البصير أن الخطب أدلّهم ، وأن فتناً عارمة سوداء ضربت أطنابها في أرجاء المسمورة فتركت الحليم حيران أسفا لا يقدر على شيء . . ؟

هذا كله في عصر نما فيه العلم التجريبي وازدهر وأعطى في ميادين الصناعة أطيب النتائج حتى توفر للانسان المادي من وسائل الرفاه ما لم يكن للملوك السابقين . فماذا منح العلم التجريبي والصناعة الناس من سعادة ؟ هل استطاعا أن يصلحا أخلاقه ؟ أم أنها أصلحا العلاقة بينه وبين الناس ؟ انها عاجزان عن التأليف بين الولد وأمه وأبيه ، وعاجزان عن تحسين العلاقة بين الرجل وزوجه ، وبين الأخ وأخيه . . لقد حسّنا أسباب المعيشة ووسائل التنقل وعجزا عن جعل الانسان ينعم بالآ ويطيب بالحياة والناس نفساً . لقد أضحى الناس أكثر تمقيداً واضطراباً وظهر جلياً افلاس المدينة الحديثة من أسباب السعادة الحقة . وقد تنبه عقلاء أولئك الاقوام للخطر فنبهوا إليه ، وحرصوا على التمسك بالدين والقيم والفضائل ، حتى بين أحد علمائهم وكبرائهم (الكسيس كاريل) أن الانسان كان يحتاج ليذهب من أوروبا الى الصين سنين ، وهو الآن يصلها في عدة ساعات بفضل العلم ، وأن ذلك ونحوه لم يوفر للانسان السعادة والطمأنينة في حياته (١) .

(١) الانسان ذلك المجهول - الكسيس كاريل - الحائز على جائزة نوبل العالية للأدب - ص ٤٢ - ٤٣ - مترجم - طبع الدار القومية بمصر .

ونحن نقول : إن الانسان الذي وصل بسلطان العلم الى سطح القمر وحفظ فيه جسمه من الهلاك بالبسة واقية . قد عجز بهذا العلم أن يصون قلبه وفؤاده على سطح الأرض من ألوان التعاسة والغم والشقاء ، كما عجز أن يقيم به علاقاته مع الأهل والناس على المودة والمحبة والصفاء .

فهل أغنى الوصول الى القمر الانسانية شيئاً في دفع الشقاء والتعاسة ، وهل صانها من الاخلاق الذميمة أو أصلح ذات بينها . . ؟ ؟

أم أن الأمر لم يزل يزداد سوءاً ويتفاقم شراً . . ؟ ؟

وما السبيل الى الخلاص ! ؟

لقد عجزت اليهودية والنصرانية عن تمهيد السبيل الى خلاص الانسانية . بل كانت تعاليمها المشوهة مصدراً للشقاء وسبباً للقلق والفتن والبلاء . ولم يبق للانسان سبيل سوى هذه الرسالة المحمدية أن يلود مجها لتنقذه كما أنقذت الانسانية بالأمس .

وما دامت في الانسان غرائز فانه معرض في هذا العصر وكل عصر للانحدار الى هاوية الشقاء ، فهو بالتالي بحاجة دائماً الى النور الذي يسلك به سبيل الرشاد . فلا بد له أن يتطلع الى مصدر النور الذي أنقذ الانسانية بأسرها . ويطمح أن يجلو به عن القلوب صدأ المادة والشهوة ؛ ويقشع عن العقول والأفئدة أغشية الأديان المحرفة والوضعية ؛ ويشق بأشعته النافذة عباب الظلام . (هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً) (١) .

هذا بالنسبة الى العالم عامة ، أما بالنسبة للعالم الاسلامي خاصة فنجد أنفسنا بغنى عن بيان الآفات التي اعترته والمصائب التي اعتورته ؛ بسبب

اهمال جوهر الدين والتساهل في اقامة حدود الله وعدم نشر المعارف الاسلامية بين أبناء الجيل الجديد بالقدر والتوجيه الواجين ، حتى رست المفاسد والأضطرابات والفن والقلق في ديار الاسلام المزيّزة ، وانتشرت الموبقات ، وانهدمت الثقة والأمانة أو كادتا . وهكذا نجد أن الأمة الاسلامية لما غيّرت في نفسها حال التقوى والاعتصام بحبل الله المتين ؛ غيّر الله عنها حال العز والسيادة ، فالتحدت من شاطئ قمة الجبل الى حضيض البلاء والضعف ، حتى استكانت لأذل خلق الله . قال تعالى :
(إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) (١) .

والحقيقة الجلية لأولي البصائر أنه لن يصلح أمر آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها . فعلى الأمة الاسلامية أن تغير الآن ما بنفسها من فساد الخلق واهمال الدين ، وتجدد الايمان وتقويه برها وبنيتها محمد ﷺ ، وتمتصم بكتابه وبسنة رسوله ، حتى يغير الله عنها ما نزل بها من ضر وذل وبلاء ، ويفتح لها أبواب السعادة والرحمة ويعقد لها أوبة النصر (ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز) (٢) .

واجب البشرية نحو محمد ﷺ

لما بلغت البشرية ذلك الدرك من التدني والفساد ، انكشف عياناً افتقارها الى وحي الله وهديه . ولما قامت الدلائل المتنوعة بتلك الوفرة الفريدة الباهرة فأثبتت نبوة محمد ﷺ وصحة رسالته ، فقد انجلي أن على جميع الأمم والشعوب واجباً حتمياً لا مندوحة عنه ، هو الايمان بنبوة محمد وطاعته ومحبته والاهتداء بهديه خاصة ﷺ .

(١) الإيمان بمحمد ﷺ

أما وجوب ذلك على جميع الأمم والشعوب فلأن رسالته عالمية ، أرسله الله بها الى جميع أبناء البشرية . قال تعالى : (وما أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا) (١) وقال : (وَأَرْسَلْنَاكَ لِّلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا) (٢) . وقد أمره ربه تبارك وتعالى أن يعلن أنه رسول الانسانية ، بعثه الله لانقاذها ، قال تعالى : (قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا) (٣) ، فهو ؛ عليه السلام برسالته ؛ الرحمة الالهية التي أغاث الله بها العالمين جميعا . قال تعالى : (وما أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ) (٤) .

وما كتابه الحكيم إلا ذكرى للانسانية يأخذ بنواصيها الى جوامع الخير أبد الدهر . قال تعالى : (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ) (٥) . وقد نسخ الله برسالته جميع الرسائل السابقة ، فأمر العالمين بالايمان بها ، وبأن الشريعة التي كانت مشتهرة حين بعثته إنما هي شريعة مشوهة ؛ قد احتوت على تكاليف شاقة وأغلال كبلت بها أتباعها . وقد بعث الله محمداً ﷺ بالرسالة السمحة التي ختم بها كافة رسائله ، فرفع بها عن كواهل بني اسرائيل أثقال التكاليف الشاقة ، وحلَّ عنهم تلك القيود . قال تعالى : (الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُم فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ، فَاَلَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ

(١) سورة سبأ : ٢٨ . (٢) سورة النساء : ٧٩ .

(٣) سورة الأعراف : ١٥٨ . (٤) سورة الانبياء : ١٠٧ .

(٥) : سورة الاحقاف : ٩٠ .

واتبعوا النورَ الذي أنزلَ معه أولئك هم المفلحون . قل يا أيها الناس إني رسولُ الله اليكم جميعاً الذي له ملكُ السمواتِ والأرضِ لا إله إلا هو يحيي ويميتُ فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون (١) .

وكما أمر الله أصحاب الديانات السابقة اتباع الرسل بالايان بحمد ﷺ بقوله (فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي) . فقد بين لهم أن ترك الايمان به والاعراض عن هديه ودينه وانكار ذلك ؛ هو كفر محض ، ولا يخرجهم عن دائرة الكفر أن فاعله مؤمن بني وشريعة سابقين . فان الكفر ببعض الرسل كالكفر بجميعهم لما فيه من التنكر للهي الالمي وجود الحكمة الربانية في ارسال الرسل واغفال دلالات آيات الله التي شهد بها لرسوله بالصدق فيما يبلغ عنه تبارك وتعالى .

أضف الى ذلك أن الرسل قد بشرَ بعضهم ببعض ودعا كل منهم الى الايمان بالله ورسله جميعاً . وقد رأيت بشارات التوراة والانجيل بسيدنا محمد ﷺ فمن كفر به فقد كفر بتلك الرسالات جميعها ، لذا فان مقتضى الايمان بالله هو الايمان بجميع رسله وخاتمهم محمد ﷺ وهذا هو سبيل النجاة الوحيد . قال تعالى : (إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً ، أولئك هم الكافرون حقا وأعتدنا للكافرين عذاباً مهيناً . والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم أولئك سوف يؤتيهم أجورهم وكان الله غفوراً رحيماً) (٢) .

(١) سورة الاعراف : ١٥٧ - ١٥٨ (وعزروه) : عظموه . راجع ص ٦٥ - ٦٦ و ٢٥٩ - ٢٦٠ و ٢٩٩ - ٣٠١ .

(٢) سورة النساء : ١٥٠ - ١٥٢ .

وتأمل في هذا الصدد مسلك الأستاذ بشرى زخارى ميخائيل (١) إذ قال : (يتبين لنا أن الأدلة على ضرورة الايمان بالرسول جميعاً مساقاة هنا الى أولئك الذين يؤمنون ببعض الأنبياء وينكرون البعض الآخر . مع عجزهم ؛ كما قلنا ؛ عن اثباتهم بدليل واحد يؤكد أن الوحي كان من نصيب الرسول الذي يعتقدونه دون سائر الرسل . كما أن المنطق نفسه يحتم أن اثبات بعض النبوات وانكار البعض الآخر هو هدم للعقيدة الدينية كلها أياً كانت من أساسها) .

فواجب البشرية الايمان بسيد الخلق محمد ﷺ والاهتداء بهديه الى قيام الساعة . ذلك أن الله تعالى قد بعث قبله الى كل أمة رسولاً برسالة تتناسب مع الطور الذي بلغته . فتفاوتت رسالاته تعالى ضيقاً وسعةً ؛ وشدةً ولينا ؛ حسب أحوال أهل كل زمان ومستوأم العقلي . فلما دخلت البشرية طور الاكتمال العقلي والرشد الانساني ؛ أرسل الله محمداً ﷺ خاتماً لأنبيائه ورسوله ، وأنزل عليه الشريعة الاسلامية الفراء خاتمة لرسالات الله وشرائعه ، فجاءت عالمية شاملة ، وتضمنت من القواعد العامة والاحكام الشاملة ما جعلها متلائمة مع كل البيئات ؛ محققة مصالح البشرية في جميع المصور . فهي الشريعة العالمية الكاملة الصالحة لكل زمان ومكان .

محمد ﷺ خاتم النبيين :

يجب علينا وعلى كافة الشعوب على مر الازمان الايمان برسول الانسانية سيدنا محمد ﷺ على أنه خاتم رسل الله ، جاءهم بخاتمة الشرائع . قال تعالى : (ما كان محمد أبا أحدٍ من رجالكم ولكن رسول الله

(١) في كتابه (محمد رسول الله ، هكذا بشرت الانجيل) في مقدمته ص ١٢ .

وخاتم النبیین (١) .

قال الألوسي : (والخاتم : اسم آلة لما يختم به كالطابع لما يطبع به . فمعنى خاتم النبیین الذي ختم النبیون به ، ومآله آخر النبیین . . . والمراد بالنبی ما هو أعم من الرسول ، فيلزم من كونه ﷺ خاتم النبیین كونه خاتم المرسلین . والمراد بكونه عليه الصلاة والسلام خاتمهم انقطاع حدوث وصف النبوة في أحد من الثقلين بعد تحليه عليه الصلاة والسلام بها في هذه النشأة (٢) .

وفي الحديث المتواتر أنه ﷺ قال : (لا نبیَّ بعدی) . وقد أجمعت الأمة الاسلامية على أن من اعتقد بنبي أو رسول ؛ زعم أن الله بمثله بعد سيدنا محمد ﷺ فقد كفر ؛ لخالفته صريح القرآن والحديث المتواتر . قال الألوسي : (وكونه ﷺ خاتم النبیین مما نطق به الكتاب ؛ وصدعت به السنة ؛ وأجمعت عليه الأمة ، فيكفر مدعي خلافه ويقتل إن أصر) (٣) .

وقد يعترض على كونه ﷺ آخر النبیین وخاتمهم بأنه قد تواتر عنه ﷺ نزول سيدنا عيسى المسيح ابن مريم في آخر الزمان ، وهو نبی أيضاً .

والجواب عن ذلك : نعم لقد ثبت بالتواتر نزول عيسى ابن مريم في آخر الزمان . وقد فصل الحديث عن ذلك الامام محمد أنور شاه الكشميري في كتابه : (التصريح بما تواتر في نزول المسيح) . ونقل في ذلك أقوال أئمة الحديث كابن كثير وغيره . ثم أورد الحديث برواياته العديدة مبيناً تواتره .

(١) سورة الاحزاب : ٤٠ . (٢) روح المعاني ج ٢٢ ص ٣٢ .

(٣) روح المعاني ج ٢٢ ص ٣٩ .

وقد بين الألوسي رحمه الله أن لا تعارض بين نزول عيسى وكون محمد ﷺ خاتم النبيين . فقال رحمه الله : (ولا يقدح في ذلك - أي ختم النبوة بسيدنا محمد ﷺ - ما أجمعت الأمة عليه ، واشتهرت فيه الأخبار ، ولعلمها بلغت مبلغ التواتر المعنوي ، ونطاق به الكتاب على قول ووجب الايمان به . وأكفر منكره كالفلاسفة ، من نزول عيسى عليه السلام آخر الزمان ، لأنه كان نبياً قبل تحلي نبينا ﷺ بالنبوة في هذه النشأة . ومثل هذا يقال في بقاء الخضر عليه السلام على القول بنبوته وبقائه ، ثم إنه عليه السلام حين ينزل باق على نبوته السابقة لم يزل عنها بحال . لكنه لا يتعبد بها لنسخها في حقه وحق غيره ؛ وتكليفه بأحكام هذه الشريعة « الإسلامية » أصلاً وفرعاً . فلا يكون إليه عليه السلام وحي ولا نصب أحكام ، بل يكون خليفة لرسول الله ﷺ وحاكماً من حكام ملته بين أمته ، بما علمه في السماء قبل نزوله من شريعته عليه الصلاة والسلام كما في بعض الآثار . أو ينظر في الكتاب والسنة ، وهو عليه السلام لا يقصر عن رتبة الاجتهاد المؤدي إلى استنباط ما يحتاج اليه أيام مكثه في الأرض من الأحكام) (١) .

ولولا أن الجهل والحق قد غلبا على طائفة من الناس في بلاد الهند لما اغتروا بدعوة دجال عصره « ميرزا غلام أحمد القادياني » النبوة . فقد ولد هذا الشقي الأهووج سنة ١٢٥٢ هـ . وتدرج وتلون في دعواه تلون الحرباء ، وسلك في التعمية بكلامه على أتباعه مسالك الزنادقة والباطنية . فزعم أولاً أنه مجدد مثيل المسيح ثم زعم أنه المسيح ، ثم زعم في آخر سنة من حياته أنه رسول وني . وظل على تضليله حتى رماه قضاء الله وقدره بالهليضة

- الكوليرا والاسهال - وسقط على وجهه في بيت الخلاء . سنة ١٣٢٦ هـ . (١)
ولعل موته تلك من أسمى معجزاته وأبلغ الآيات الدالة على مكاتته ؛
وقد كان خادماً أميناً لشهواته ولأغراض أسياده الانكليز ، وقد صرح
بذلك في أقواله وكتاباتاته . وقد نال والحمد لله بمض ما يستحق من هوان
في خاتمته ليكون عبرة لأولي الالباب . ووصل إلى أمه هاوية ، التي
سيؤوب إليها أتباعه ، وسيحظى فيها بلقاء أضرابه من قبل مسيلمه والأمود
العنسي . . ومن بعد حتى تقوم الساعة .

ونحنم هذا الطرف من بحثنا بقول عماد الدين بن كثير رحمه الله
في تفسير قوله تعالى (وخاتم النبيين) :

(فمن رحمة الله تعالى بالعباد إرسال محمد ﷺ إليهم ، ثم من
تشریفه لهم ختم الأنبياء المرسلين به وإكمال الدين الحنيف له . وقد أخبر
الله تبارك وتعالى في كتابه ؛ ورسوله ﷺ في السنة المتواترة عنه أنه
لا نبي بعده ، ليعلموا أن كل من ادعى هذا المقام بعده فهو كذاب أفاك
ودجال ضال مضل ، ولو تخرق وشعبذ وأتى بأنواع السحر والطلاسم
والذيرنجات ، فكلمها محال وضلال عند أولي الألباب . كما أجرى الله
سبحانه وتعالى على يد الأسود العنسي باليمن ومسيلمة الكذاب باليامة من
الأحوال الفاسدة والأقوال الباردة ؛ ما علم كل ذي لب وفهم وحجى
أنها كاذبان ضالان لعنهما الله . وكذلك كل مدع لذلك الى يوم القيامة حتى
يُختموا بالمسيح الدجال . فكل واحد من هؤلاء الكذابين يخلق الله
تعالى معه من الأمور ما يشهد العلماء والمؤمنون بكذب من جاء بها . وهذا

(١) التصريح بما تواتر في نزول المسيح - محمد أنور شاه الكشميري الهندي
ص ٣٨ وما بعدها - نشر مكتب المطبوعات الاسلامية بجلب . وانظر حقيقة القاديانية
- محمد لقمان الصديقي - ص ٦ وما بعدها . المطبعة النبرية ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٦ م .

من تمام لطف الله تعالى بخلقه ، فانهم بضرورة الواقع لا يأمرهم بمعروف ولا ينهون عن منكر إلا على سبيل الاتفاق ، أو لما لهم فيه من المقاصد الى غيره . ويكون غاية الافك والفجور في أقوالهم وأفعالهم . كما قال تعالى : « هل أنبئكم على من تنزل الشياطين » ، تنزل على كل أفتاك أثيم . . » الآية (١) .

(وهذا بخلاف حال الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، فانهم في غاية البر والصدق والرشد والاستقامة والعدل فيما يقولونه ويفعلونه ويأمرهم به وينهون عنه ؛ مع ما يؤيدون به من الخوارق للعادات والادلة الواضحات والبراهين الباهرات ، فصلوات الله وسلامه عليهم دائماً مستمراً ما دامت الأرض والسموات) (٢) .

(٢) طاعته ﷺ :

وطاعته ﷺ واجبة على جميع الناس في كل ما جاء به من هدى . أما لإنفاذ ما ورد في كتاب الله تعالى فلأنه أمر الله جل شأنه . وأما ما أثر من أحاديث محمد ﷺ فالعمل بها واجب ، لأنه مرسل من ربه يبلغ عنه بأمانة وصدق ، لا يقدم رأيه بين يدي حكم أبرمه الله . قال تعالى : (وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى) (٣) . ومن كان شأنه كذلك كانت طاعته من طاعة الله تعالى ، لأن الأمر في الحقيقة هو الله تعالى والرسول مبلغ عنه . قال تعالى : (من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظاً) (٤) .

(١) سورة الشعراء : ٢٢١ .

(٢) تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٤٩٤ والتبرنجات : الحيل .

(٣) سورة النجم : ٣ - ٤ (٤) سورة النساء : ٨٠ .

لذا وجب على العالمين الائتارُ بأمر الرسول وأن يجتنبوا ما نهى عنه مراقبة
 لله تعالى حذراً من مسخطه وسعياً لنيل رضاه . قال تعالى : (وما آتاكم
 الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب) (١)
 وقد أوجب الله غاية الحذر من مخالفة توجيه رسول الله ﷺ أو عصيان
 أمره ، لئلا تنزل بالمخالف محنة في الدنيا أو يصيبه في الآخرة عذاب أليم .
 قال تعالى : (فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو
 يصيبهم عذاب أليم) (٢) .

وقد أفرد الله تعالى الأمر بطاعة محمد ﷺ في آيات كثيرة ؛ منها
 قوله : (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر
 منكم ، فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون
 بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً) (٣) .

وليس على محمد ﷺ من بأس إن عصاه من عصاه ، ولكن
 البأس كل البأس على من يعرض عن أمره ، فانه مبلغ عن الله تعالى .
 وهذا وجه استقلال الأمر بطاعته عليه الصلاة والسلام في القرآن الكريم
 (وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن توليتم فانما على رسولنا البلاغ المبين) (٤) .

وتقريباً لكون طاعة الله في طاعة رسوله فقد قرنها سبحانه وتعالى
 بها فقال (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه وأنتم
 تسمعون) (٥) .

وانما ذكر طاعة الله تعالى تحسیناً وتوطئة لطاعة محمد ﷺ ، فانها

(١) سورة الحشر : ٧ . (٢) سورة النور : ٦٣ .

(٣) سورة النساء : ٥٩ وانظر سورة محمد : ٣٢ .

(٤) سورة التباين : ١٢ .

(٥) سورة الأنفال : ٢٠ وانظر فيها الآية ١ و ٤٦ وفي آل عمران : ٣٢ .

المقصود في الخطاب فهي مستلزمة لطاعة الله تعالى لأنه مبلغ عنه ، فكان الراجع إليه كالراجع إلى الله تعالى . وقد شهد لذلك أفراد الضمير (ولا قولوا عنه) يعني عن رسوله . وفيه إيماء ظاهر إلى تلازم الطاعتين وتداوم الحالتين (١) . ومن تولى مستكبراً عن طاعة الله أو طاعة رسوله فقد كفر . وأرى أن بيان ذلك شافٍ وافٍ فيما أنزل الله من الرد على عبدالله بن أبي كبير المنافقين ، لما قال : (إن محمداً يجمّل طاعته كطاعة الله ، ويأمرنا أن نعبه كما أحب النصارى عيسى) فنزل قوله تعالى : (قل أطيعوا الله والرسول فإن تولّوا فإن الله لا يحب الكافرين) (٢) .

ثمّة ثمار جليلة يجتني قطافها الذين يتحققون فعلاً بطاعة سيد الرسل محمد ﷺ . أليس يكفي طائمه أن يحظى أولاً بالهداية إلى الحق ؟ قال تعالى : (وإنّ تطيعوه تهتدوا وما على الرسول إلاّ البلاغ المبين) (٣) ، ومن أطاع رسول الله فاهتدى بهداية الله ؛ غمّرتة رحمة الله الوارفة الظلال (وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون) (٤) . ومن ثمّ ينال ما تصبو إليه الروح ويهفو إليه الفؤاد من حب الله تعالى له وقربه لديه وتجاوزه عن ذنوبه ، قال تعالى : (قل إنّ كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم ، والله غفور رحيم) (٥) ، أجل ذاك شأن الله فيمن تحب إليه بطاعة نبيه محمد ﷺ واتباع هديه وسنته . ولا ريب أن من نال هداية الله ورحمته وجهه وغفرانه كان ممن سلك سبيل السعادة والنجاة في الدنيا والآخرة فلا تمسه النار أبداً . . .

-
- (١) روح المعاني ج ٩ ص ١٦٧ وشرح الشفاء ج ٢ ص ١٠ .
 (٢) آل عمران : ٣٢ وانظر روح المعاني ج ٣ ص ١١٥ .
 (٣) سورة النور : ٥٤ . (٤) سورة آل عمران : ١٣٢ .
 (٥) سورة آل عمران : ٣١ وانظر روح المعاني ج ٣ ص ١١٤ .

روى الشيخان عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال :
 (إنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَتَى قَوْمَهُ فَقَالَ : يَا قَوْمِ
 إِنِّي رَأَيْتُ الْجَيْشَ بَعِيْنِي وَإِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُرِيَانُ فَالْتَّجَاءُ ، فَأَطَاعَهُ طَائِفَةٌ
 مِنْ قَوْمِهِ فَأَدْلَجُوا فَانْطَلَقُوا عَلَى مَهْلَتِهِمْ « فَنَجَّوْا » وَكَذَبَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ
 فَأَصْبَحُوا مَكَانَهُمْ فَصَبَّحَهُمُ الْجَيْشُ فَأَهْلَكَهُمْ وَاجْتَاكَهُمْ . فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ
 أَطَاعَنِي وَاتَّبَعَ مَا جِئْتُ بِهِ وَمَثَلُ مَنْ عَصَانِي وَكَذَّبَ مَا جِئْتُ بِهِ مِنْ
 الْحَقِّ) (١) .

وقد كنى الله عن فرط الحسرة وشدة الغيظ وعميق الندم وكل الذي
 يتتاب عصاة الرسول يوم الحساب من أحاسيس ومشاعر ، فقال تعالى :
 (وَيَوْمَ يَعْصِي الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا .
 يَا وَيْلَتَا لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فَلَانًا خَالِدًا . لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي
 وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا) (٢) .

وأما عاقبة الذين سلكوا سبيل رسول الله طاعة لله تعالى فقد فازوا
 أيما فوز ، قال تعالى : (وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا) (٣) .
 بلى لإنهم فازوا برضوان الله فظفروا بجنات تجري من تحتها الأنهار (وَمَنْ
 يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا
 وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) (٤) . وقد بين عليه الصلاة والسلام في الحديث

(١) «النذير» : هو الذي يحذر قومه من الخطر كي يستعدوا له . «المریان» :
 الذي لا غرض له في التحذير . فهو يحذر قومه عار عن طلب مصلحة خاصة من وراء
 ذلك . «النجاء» : الاسراع الى النجى والملاجئ . «أدلجوا» ساروا ليلاً . «صبحهم
 الجيش» : داهمهم عند الصبح - انظر التاج الجامع للاصول ج ١ ص ٣٥ .
 وشرح الشفاء : ج ٢ ص ١٣ - ١٤ .

(٢) سورة الفرقان : ٢٧ - ٢٩ . (٣) الاحزاب : ٧١ .

(٤) سورة النساء : ١٣ .

الذي رواه الشيخان أن مثله :

(كمثل رجل بنى داراً وجعل فيها مأدبة ، وبث داعياً ، فمن أجاب الداعي دخل الدار وأكل من المأدبة ، ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة ... فالدار الجنة والداعي محمد ﷺ فمن أطاع محمداً فقد أطاع الله ، ومن عصى محمداً فقد عصى الله . ومحمد ﷺ قرء بين الناس) (١) .

لعمرى ومن ذا الذي يزهد في تلك المكرمات ويعزف عن ذاك النعيم المقيم لتاع رخيص أو لذة عارضة أو سبيل غلوية ! ؟ وأنى للعاقل أن يترك ذاك المقام الرفيع والصحب الأخيار في دار الخلد والقرار ! ؟ قال تعالى : (ومن يطلع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً . ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليماً) (٢) .

وقال رسول الله ﷺ : (كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى ! قالوا : يا رسول الله ومن أبى ! ؟ قال : من أطاعني دخل الجنة ، ومن عصاني فقد أبى) (٣) .

(٣) مجتبه ﷺ :

رزحت البشرية ردهاً من الزمن تحت نير مظالم اجتماعية لثيمة . وغنت وجوها بذلة الاستكانة لآلهة مزيفة . وأجريت عليها أحكام في

(١) التاج الجامع للاصول ج ١ ص ٣٦ - ٣٧ .

(٢) سورة النساء : ٦٩ - ٧٠ .

(٣) رواه البخاري . انظر التاج ج ١ ص ٣٦ .

الأنفس والأموال والأولاد تتنافى مع أبسط مفاهيم العدالة والمنطق السليم .
 فالجزيرة العربية خضعَ مجتمعا القبلي لتحكم الأشراف والاقوياء والكنهة
 الذين أحسنوا الاستفادة من الضلال الوثني المستبد في الناس . وبصورة عامة
 كانت تتنازع التحكم في البشرية امبرطوريتا الفرس والرومان . اتخذ فيها
 الناس بعضهم بعضا أرباباً من دون الله ، وقُسّم المجتمع فيها الى طبقات ،
 أدناها عامة الناس والعبيد ، وأعلاها رجال الحكومة ورجال الدين ، ومن
 ثمّ طبقة الفرسان المحاربين . وذات الشموب على أيدي هاتين الطبقتين
 من المسف والجور ما لا يطاق . حتى صار العامة وأولادهم وأموالهم
 ملكاً للسادة المتسلطين . فذاقت الانسانية مرارة الحرمان وقسوة الاضطهاد
 ورسفت في أغلال الذلة والهوان . فغشيت الدنيا بأسرها ظلمات جاهلية
 داكنة بعضها فوق بعض .

ومن خلال حجب الظلام الكثيف انبلج نور وضاء ساطع . فأرسل
 في بقاع الانسانية أشعة العقيدة الصحيحة والايان الراسخ بالله جل شأنه ،
 ذاك هو خاتم رسل الله محمد ﷺ . الذي قضى على الشرك وحرر الانسان
 من عبادة العباد ، وهداه الى عبادة الله عز وجل ، وقوض دعائم الطبقية ،
 ونشر المساواة والسلام . قام بدعوته بجهد وصبر واحتمال لم ير الأذى
 والمدوان . عانى في سبيل انقاذ الانسانية بدعوة الله قسوة الجوع ، فكان
 يبيت على الطوى أياماً وليالي ، يعصب على بطنه الحجر لتهدا فيها نائرة
 الآلام . أخرجوه من بلده طريداً شريداً ، فهاجر تحت محب تنذر بالخطر
 المدلم على نفسه . أربى في احتماله الآلام على ما احتمله اخوانه المرسلين
 قبله ، فكان في ذلك نموذجاً فريداً . أسبغ بمجهاده ونشر دعوته على كل
 فرد انساني من الفضل ما تشهده الى زماننا العقول والأبصار فليست
 تتعamy عنه إلا أعين الحاقدين . فحقّ على البشرية أن تكرمه وأن تحمل

له من الود الخالص والحب العميق ما يليق به ؛ بالمقصد الأعظم للانسانية .
وقد أوجب الله على الناس محبة نبيه محمد ﷺ وقرنها بمحبته تعالى
فقال : (قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وأخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم
وأموالهم اقترفتوها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم
من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله
لا يهدي القوم الفاسقين) (١) .

أزّم سبحانه وتعالى المسلم بتوجيه قلبه الى الله وتعلق فؤاده برسول
الله حباً ووداً ؛ لإجلالاً لمقامه واعترافاً بفضله ، فهو الذي وصلك ووصل
الانسانية بحبل الله بعد انقطاعها عنه أمدأ بعيداً . وقدم الله حب رسوله عليه
السلام على أعز ما لدى الانسان في حياته الدنيا من أهل وعشيرة وأموال
ومساكن بل وتوعّد تعالى كل عبد تعرّض عنده هذه الأمور ، حتى تصير
أحب اليه من السعي لرضوان الله والجهاد في سبيله ومن حب رسول الله
واتباع أمره . وتوعّد من تردى إلى هذه الحال بمقاب في الدنيا أو في
الآخرة أو فيها معا . ووصفه تعالى بالفسق وأبان أنه ممن ضل ، فحرمه
الله هدايته الى تحقيق إيمانه .

وأنت ترى أي مكانة لرسول الله عند ربه ، حتى قدم حبه
وما يستلزمه من طاعته على الجهاد في سبيل الله ، فان الجهاد لا يكون
إلا بمحبة رسول الله والتفاني في طاعته . فمن لوازم المحبة الطاعة .
كقول الشاعر :

تعصي الاله وأنت تظهر حبه	هذا لمعري في القياس بديع
لو كان حبك صادقاً لأطعته	إن الحب لمن يُحب مطيع

(١) سورة التوبة : ٢٣ - ٢٤ ، و (اقترفتوها) : اكتسبتموها . وتربصوا :
انتظروا على سبيل التهديد .

عن أنس رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال : (ثلاث مَنْ كُنْ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ تَعَالَى وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهَا ، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى ، وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَمُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقَذَّفَ فِي النَّارِ) (١) .

فتذوقُ المسلم حلاوة الإيمان والالتذاذِ بنعيمه موقوف على التحلي بخصال ثلاث ، أولها وأجلها حب الله ورسوله حباً جماً يهون في سبيله كل نفيس وعزيز . ولعمري هذا ركن في الدين ركين تتوقف عليه سعادة الدنيا والآخرة .

وعن أنس رضي الله عنه (أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال : متى الساعة يا رسول الله ؟ قال : ما أعددت لها ؟ قال : ما أعددت لها من كثير صلاة ولا صوم ولا صدقة ، ولكني أحب الله ورسوله قال : أنتَ مع من أُحيت) .

وفي رواية ابن مسعود أن الرسول ﷺ قال : (المرء مع من أحب) .

وفي رواية لأنس عند البخاري أيضاً أن رسول الله ﷺ قال للرجل : (إنك مع من أُحيت ، فقلنا : ونحن كذلك ؟ قال : نعم . ففرحنا يومئذ)

(١) رواه الشيخان . وأما قال (مما سواها) لمعوم معنى (ما) . وفي ثنية ضميرها هنا مع انكاره عليه الصلاة والسلام على خطيب ثنائها لما قال (ومن يصعبها فقد غوى) بقوله صلى الله عليه وسلم (بش الخطيب أنت . قل ومن يصعب الله ورسوله) إشارة إلى أن المعتبر في المحبتين هو مجموعها لا كل واحدة بانفرادها . ودلالة على أن كل واحد من الصيانتين مستقل بلزوم الغواية له بشهادة العطف ، فانه في تقدير التفكير - شرح الشفاء ج ٢ ص ٣٤ .

فرحاً شديداً (١) .

وفي رواية أن أنساً قال : (فلم أرَ المسلمين فرحوا فرحاً أشدَّ منه) (٢) .

فهنيئاً لمن بلغ تلك المنزلة وارتقى الى تلك الرتبة وفاز بتلك الصحبة .
وأنت ياسيدي يا رسول الله بكل حب جدير . جزاك الله عن الانسانية
عامة وعن أمتك خاصة أفضل ما جازى به نبياً رسولاً . وسلام الله عليك
يا سيدي في الأولين ، وسلام الله عليك ياسيدي في الآخرين ، وصلى الله
وسلم عليك وعلى آلك وأصحابك في الملأ الأعلى إلى يوم الدين .

وختاماً أسأل الله ذا الجلال والاكرام أن يوفقني دائماً لخدمة الذكر
الحكيم والنود عن حياضه ، وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت واليه أنيب .

كتبه

حسن ضياء الدين عتر

(١) رواه البخاري - كتاب الأدب - باب علامة حب الله عز وجل .

(٢) فتح الباري ج ١٠ ص ٤٢٢ .

الفهارس

- ١ - الآيات القرآنية
- ٢ - الأحاديث النبوية
- ٣ - فهرس الأعلام
- ٤ - ثبت المراجع
- ٥ - مسرد الأبحاث

١ - آيات القرآن *★

رقم الآية

رقم الصفحة

٢ - سورة البقرة

٢٩٢	يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم	٤٠
٢٩٢	وآمنوا بما أنزلت مصدقا لما معكم	٤١
٣٠٣	أفتعلمون أن يؤمنوا لكم	٧٥
٣٠٣	وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا	٧٦ - ٧٧
٣٠٢ و ٢٩٣	ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم .. كفروا به ..	٨٩
٣٠٢	بئسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله	٩٠
٢٩٤	وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أنزل علينا	٩١ - ٩٢
٢٩٥ و ١٨١	قل من كان عدواً لجبريل فإنه نزله على قلبك بأذن الله	٩٧
٢٩٤	ولما جاءهم رسول من عند الله .. نبذ فريق .. كتاب الله	١٠١
٢٠٦	والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم	١٠٥
٧٣	وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله . .	١١٨
١٢٠	إن الله بالناس لرؤوف رحيم	١٤٣
٣٠٤	الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم	١٤٥
٤٢	آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن	٢٨٥

٣ - سورة آل عمران

٢٩١	إن الدين عند الله الاسلام	١٩
٣٥٩ و ٢٥٢ و ٢٥٠	قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله	٣١
٣٥٩	قل اطيعوا الله والرسول	٣٢
٨١	إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يشرك بكلمة منه	٤٥ - ٤٦
٨١	قال كذلك الله يخلق ما يشاء	٤٧
٤٥	وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم	٤٥
٨٢	إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب	٥٩ - ٦٠
٢٤٠	فمن حاجك فيه .. فقل تعالوا ندع أبناءنا .. ثم نبتهل ..	٦١
١٥٨	يا أهل الكتاب لم تحاجون في إبراهيم . .	٦٤
٢٠٤	يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم	٧٤
٢٦	واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا	١٠٣
١٤٧	كنتم خير أمة أخرجت للناس	١١٠
١٢٦	إذ تصعدون ولا تلوون على أحد والرسول يدعوكم في أخراكم	١٢٣
٣٥٩	وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون	١٣٢
٤٦	ولا تنهوا ولا تحزنوا وأنتم الاعلون	١٣٩
٧٢	وما محمد إلا رسول . . . أفان مات أو قتل انقلبتم	١٤٤
١١٦ و ١١٥ و ١١٤	فما رحمة من الله لنت لهم . .	١٥٩
٢٥١	وما كان لنبي أن يغفل	١٦١
٣٤٦	لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا	١٦٤

٤ - سورة النساء

٣٦٠	ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات . .	١٣
١٣٣	فكيف إذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك	٤١
٣٥٨	يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول	٥٩
٣٦١	ومن يطع الله والرسول	٦٩ - ٧٠
٣٥١ و ٣٥١	وأرسلناك للناس رسولا وكفى بالله شهيدا	٧٩
٢٧٢ و ١٧٨	إن أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله	١٠٥
٢٧٢	وامستغفر الله . . ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم	١٠٦ - ١١٠
٣٥٢ و ٤٣	إن الذين يكفرون بالله ورسوله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسوله	١٥٠
٣٥٢ و ٤٣	. . ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض . . أولئك	١٥٠ - ١٥٢
	هم الكافرون حقاً	
١٦٩	إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده	١٦٣ - ١٦٤
١٨١	وكلم الله موسى تكليماً	١٦٤
٤٠	رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل	١٦٥
٨٥ - ٨٤	يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق	١٧١

٥ - سورة المائدة

٣٤٢	قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله . .	١٥ - ١٦
	يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا . . يبين لكم على	١٩
٣٤٦	فترة من الرسل	
٢٩٥	وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب	٤٧

رقم الآية	رقم الصفحة
٥٤	أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين ١٢٩
٦٧	يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك ٢٨٤ و ٥١
٧٣	لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة ٨٢
٧٤	أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم ٨٢
٧٥	ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ٨٣

٦ - سورة الأنعام

٨ - ٩	وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكاً لقضي الأمر ٧٧
٢٠	الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ٣٠٤
٥٠	قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ٢٧٥ و ٢٧٤ و ٦٩
٧٤	ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده ١٤٩
٨٣-٨٦	وتلك حجتنا آتيناهم إبراهيم على قومه ٤٣
٩٠	أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده ٣٥١ و ١٤٩ و ٣٩
٩١	وما قدرُوا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر . . ١٦٦
٩٢	وهذا كتاب أنزلناه مبارك ١٦٧
٩٤ - ٩٩	إن الله فالق الحب والنوى . . ٢٦٣
١٠١-١٠٦	بديع السماوات والأرض أنى يكون له ولد ٢٦٣
١١١	ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى ٧٦
١١٤	والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق ٣٠٥
١٢٤	وإذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن . . ٢٠٤
١٢٤	الله أعلم حيث يجعل رسالته ٢٠٤ و ٤١
١٦٢-١٦٣	قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين ١٣٤

٧ - سورة الأعراف

٢٦٧	المص كتاب أنزل إليك	١ - ٢
٣١	لقد أرسلنا نوحاً ... فقال : يا قوم اعبدوا الله ..	٥٩
٢٠٠	واختار موسى قومه سبعين رجلاً	١٥٦-١٥٥
٣٠١	فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة	١٥٨-١٥٦
	الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم	١٥٨-١٥٧
٣٥١ و٢٩٢ و٢٥٩ و٢٤١ و٦٥ و٥١	في التوراة والانجيل . .	
٣٥١ و٢٦٠	قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً	١٥٨
٢٧٤	قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضراً إلا ما شاء الله	١٨٨

٨ - سورة الأنفال

٣٥٨	يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله	٢٠
-----	----------------------------------------	----

٩ - سورة التوبة

٣٦٣	قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم .. أحب إليكم من الله ورسوله	٢٤
١٢٧	لقد نصركم الله في موطن كثيرة ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم	٢٥
٨١	وقالت اليهود عزيز ابن الله وقالت النصارى . .	٣٠
٨١	اتخذوا أجبازهم وريهانهم أرباباً من دون الله	٣١
٢٨١	إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا	٤٠
١١٣	ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن	٦١
٢٣٧ و١١٩	لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم	١٢٨

١٠ - سورة يونس

١	الر تلك آيات الكتاب الحكيم	٦٨ و ٢٦
٢	أكان للناس عجباً أن أوحينا إلى رجل منهم	٦٨
١٥	قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي . .	٣٢٩
١٦	قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به . .	٢٦٢ و ٢٤٥
٣٧	وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله . .	٢٩٥
٤٧	ولكل أمة رسول فإذا جاء رسولهم قضى بينهم بالقسط ..	٣٤

١١ - سورة هود

١	الر كتاب أحكمت آياته . . .	٢٦
٢٧	فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما نراك إلا بشراً مثلنا	٦٧
٣١	ولا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ..	٦٧
٤٩	تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها ...	٣٦٤ و ٢٣٩

١٢ - سورة يوسف

١٠٨	قل هذه سبيل أدعو إلى الله على بصيرة . .	٢١
-----	-----------------------------------------	----

١٣ - سورة الرعد

١١	إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم . .	٣٥٠
----	---------------------------------------------------	-----

١٤ - سورة إبراهيم

١	الر كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات .. ٣٤٥
١٠	قالوا إن أنتم إلا بشر مثلنا . . ٦٨
١١	قالت لهم رسلهم إن نحن إلا بشر مثلكم . . . ٦٨

١٥ - سورة الحجر

٩	إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون . ٢٦٨ و ٢٦
٩٤	فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين . ٦١
٩٩	واعبد ربك حتى يأتيك اليقين . ١٣٣

١٦ - سورة النحل

٤٤	وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم . . ١٦
٩٨	وإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم . ٢٢٩ ت
٩٩-١٠٠	إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا . . ٢٢٩ ت
١٠٢	قل نزله روح القدس من ربك بالحق . . ٢١٩ و ١٨٢
١٠٣	ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر . . ٢١٩
١٢٧	واصبر وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم . . ١١٢

١٧ - سورة الاسراء

١٥	من اهتدى .. وما كنا معذنين حتى نبعث رسولا ٤٠
----	----------------------------------------------

رقم الآية	رقم الصفحة
٧٨ - ٧٩	أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل .. ١٣٠
٨٥	ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي .. ٢٠٢
٨٦ - ٨٧	ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك . . ٢٦٨
٩٠ - ٩٣	وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا .. ١٧٢ و ٧٠
٩٤ - ٩٥	وما منع الناس أن يؤمنوا . . إلا أن قالوا : أبعث الله بشراً رسولاً . . ٧٥

١٨ - سورة الكهف

٦	فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا . . ١١٢ و ١٢٠
١١٠	قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي . . . ٦٩

١٩ - سورة مريم

٦٤	وما ننزل إلا بأمر ربك . . . ٢٠١
٨٩ - ٩٤	وقالوا اتخذ الرحمن ولداً لقد جئتم شيئا إداً ٨٤

٢٠ - سورة طه

١١٤	ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يلقى إليك وحيه .. ٢٠٣ و ٢٦٧
١٣٠	فاصبر على ما يقولون ومبشج بحمد ربك . . ١٣٣
١٣٤	ولو أنا أهلكناهم لقالوا ربنا لولا أرسلنا إلينا رسولاً .. ٤٠

٢١ - سورة الأنبياء

٧ - ١٠	وما أرسلنا قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم . . ٦٩
--------	----------------------------------------------

رقم الآية	رقم الصفحة
١٨	بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ٢٣٠
٣٤	وما جعلنا لبشرٍ من قبلك الخلد . . . ٦٩
٤٢	ونضع الموازين القسط ليوم القيامة . . . ٣٢
١٠٧	وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين . ٣٥١ و ٦٢ و ٤٢

٢٢ - سورة الحج

٤٠	ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز ٣٥٠
٧٥	الله يصطفى من الملائكة رسلاً ومن الناس . . . ٢٠٦ و ٤١

٢٣ - سورة المؤمنون

١	قد أفلح المؤمنون . . . ١٩٦
٢٣	ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه . . . ٧٤
٢٤	فقال الملأ الذين كفروا . . . ولو شاء الله لأنزل ملائكة ٧٤
٣٣	ما هذا إلا بشر مثلكم . . . ٦٧
٤٥	فقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا . . . ٦٧

٢٤ - سورة النور

٢٤	وإن تطيعوه تهتدوا وما على الرسول إلا البلاغ المبين . ٣٥٩
٦٣	فليخذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة . . . ٣٥٨

٢٥ - سورة الفرقان

٦	قل أنزله الذي يعلم السر في السماوات والأرض ٢٦٧ و ٢٦٤
---	------------------------------------------------------

رقم الآية	رقم الصفحة
٢٠	وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام .. ٧١
٢١	وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة .. ٧٦ و ٧٢
٢٢	يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين . . ٧٧
٢٩-٢٧	ويوم يمض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً .. ٣٦٠
٥٧-٥٦	وما أرسلناك إلا مبشراً ونذيراً قل ما أسألكم عليه من أجر .. ١٣٤

٢٦ - سورة الشعراء

١٩٢	وانه لتنزيل رب العالمين . . ٢٦٧
١٩٣-١٩٤	نزل به الروح الأمين على قلبك . . . ١٨٢-٢٦٧
١٩٦	وإنه لفى زبر الأولين ٢٩١
٢٢٢-٢١٠	وما تنزل به الشياطين وما ينبغي لهم . . . ٢٢٨
٢١٤	وأنذر عشيرتك الأقربين . . ١١٠ و ٦١
٢٢١	هل أنبئكم على من تنزل الشياطين ٣٥٧ و ٩٤

٢٧ - سورة النمل

٦	وإنك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم . ٢٦٩ و ١٨٥
---	------------------------------------------------

٢٨ - سورة القصص

٨٦	وما كنت ترجو أن يلقى إليك الكتاب إلا رحمة من ربك ٢٦٧
----	------------------------------------------------------

٢٩ - سورة العنكبوت

٤٨	وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه يمينك .. ٣٦١ و ٢٥٩
----	----------------------------------------------------------

٣٠ - سورة الروم

٣٠ فاقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها ٣٣

٣٣ - سورة الاحزاب

٢١ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة . . ٢٥٢ و ٢٥٠
 ٢٩ - ٢٠ يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا .. ١٣٩
 ٤٠ ما كان محمد أباً أحد من رجالكم ولكن رسول الله .. ٣٥٣ و ٥١
 ٤٥ - ٤٦ يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً . . ١١٠ و ٥١
 ٣٤٦ و ١٤٢ و
 ٤٦ ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم . . ١١١ و ١١٠
 ٥٩ يا أيها النبي قل لأزواجك . ٥١
 ٧١ ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً . ٣٦٠

٣٤ - سورة سبأ

٢٨ وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً .. ٣٥١
 ٤٧ قل ما سألتكم عليه من أجر فهو لكم . . ١٣٤

٣٥ - سورة فاطر

٨ فلا تذهب نفسك عليهم حسرات . . ١١٢
 ٣١ والذي أوحينا إليك من الكتاب هو الحق مصداقاً .. ٣٩٥

٣٧ - سورة الصفات

٣٧	بل جاء بالحق وصدق المرسلين .	٢٩٦
١٠٢	يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك	١٨٠

٣٨ - سورة ص

٥	أجمل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشيء عجاب	٣٤٤
٨٦ - ٨٨	قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين	٢٧٦ و ١٣٤ و ٩٧

٤٠ - سورة غافر

٧٨	ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك منهم من قصصنا عليك ..	٤٣
----	-------------------------------------------------	----

٤١ - سورة فصلت

٣٧	ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ..	٢٧٨
٤١ - ٤٢	وانه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل ..	٢٦٨ و ٢٦

٤٢ - سورة الشورى

٧	وكذلك أوحينا قرآنا عربياً لتنذر .	٣٤٦
٥١	وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب ..	١٧٧ و ١٦٤
٥٢ - ٥٣	... ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ...	٦٠ و ٥٧

٤٣ - سورة الزخرف

٣١ - ٣٢ وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم .. ٢٠٥

٤٤ - سورة الدخان

١٣ - ١٤ أنى لهم الذكرى وقد جاءهم رسول أمين . . ٢٢٦

٤٥ - سورة الفاشية

٢٤ وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا . . إنهم إلا يظنون . ٣١
٢٦ قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم إلى يوم القيامة . . ٣٢

٤٦ - سورة الأحقاف

٩ قل ما كنت بدعاً من الرسل . . ٢٩٠
١٠ . . . وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله ... ٣٠٧ و ٢٩٠
٣٥ واصبر كما صبر أولو العزم من الرسل . ١١١

٤٨ - سورة الفتح

٢٧ لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام .. ١٨٠
٢٨ هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله . .
٢٩ محمد رسول الله والذين معه .. تراهم ركعاً سجداً .. ٣٤٩ و ١٢٨
١٢٩

٥٠ - سورة ق

٣٧	إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو القى السمع وهو شهيد ١٧٩
٣٩ - ٤٠	فاصبر على ما يقولون وسمح بحمد ربك قبل طلوع الشمس ... ١٣٣
٤٥	نحن أعلم بما يقولون وما أنت عليهم بجبار .. ٦٢ت

٥٢ - سورة الطور

٣٩	واصبر لحكم ربك فانك بأعيننا ... ١١١
----	-------------------------------------

٥٣ - سورة النجم

٣ - ٤	وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ٣٢٩
١٩ - ٢٠	أفرأيتم اللات والعزى ومناة ... ٣٤٣

٥٧ - سورة الحديد

٢٥	ولقد أرسلنا رسلنا بالبينات ... ليقوم الناس بالقسط . ٣٥
----	--------------------------------------------------------

٥٩ - سورة الحشر

٧	وما آتاكم الرسول فخذوه ... ٣٥٨
---	--------------------------------

٦١ - سورة الصف

٦ - ٧	... ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد ... ٣٢٥ و ٣٠٨
-------	--------------------------------------------------------

رقم الآية	رقم الصفحة
	٦٢ - سورة الجمعة
٢	هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم ٢٥٧-٢٥٨ و٣٢٠
	٤ - سورة التغابن
١٣	وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول ٣٥٨
	٦٥ - سورة الطلاق
١١	رسولا يتلو عليكم آيات الله مبينات ليخرج ... ٣٤٦
	٦٦ - سورة التحريم
٣	فلما نبأها به قالت من أنبأك هذا قال نبأني العليم الخبير ٤٥
	٦٧ - سورة الملك
١٤	ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ٣٦
٢٨	قل أرايتم إن أهلكني الله ومن معي أو رحمنا
	٦٨ - سورة القلم
١ - ٣	... ما أنت بنعمة ربك بمجنون ... ٩٥
٤	وإنك لعلی خلق عظیم ٣٦ و٩٥ و٩٧ و١٠٠ و٢٣٨
	٦٩ - سورة الحاقة
٣٨ - ٤٣	فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون إنه لقول رسول ... ١٥٧ و٢٢٦
٤٤ - ٤٧	ولو تقول علينا بعض الاقاويل لأخذنا منه باليمين ... ٢٥٥ و٢٧٨

٧١ - سورة نوح

- ٢٣ ولا تذرن وداً ولا سواعاً ولا يفيوث ويعوق ونسراً ٣٤٣
 ٢٦ - ٢٧ وقال نوح رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً ١٥٢

٧٢ - سورة الجن

- ٢٠ قل إنما أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا ٧١
 ٢١ - ٢٣ قل إني لا أملك لكم ضرراً ولا رشداً ... ٧١

٧٣ - سورة المزمل

- ١ - ٢ يا أيها المزمل قم الليل إلا قليلاً ١٩٨
 ٥ أنا سنلقي عليك قولاً ثقیلاً ٢٦٧ و ١٩٢
 ١٥ - ١٦ إنا أرسلنا إليك رسولاً ... كما أرسلنا إلى فرعون ... ٢٨٩

٧٤ - سورة المدثر

- ١ - ٥ يا أيها المدثر قم فأُنذِرْ وَرَبِّكَ فَكْبِرْ ١٩٨ و ١٨٩
 ٥٢ بل يَريدُ كلُّ امرئٍ أَنَّهُ يُؤْتَى صَحِيفًا مُنْشَرَةً ٢٠٤

٧٥ - سورة القيامة

- ١٦ - ١٩ لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه . ٢٦٦ و ٢٠٣

٧٦ - سورة الدهر

- ٢٣ إنا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلاً ٢٦٧

<u>رقم الآية</u>	<u>رقم الصفحة</u>
	<u>٨٠ - سورة عبس</u>
١٦ - ١	عبس وتولى أن جاءه بالأعمى وما يدرك لعله يركى ٢٦٩ - ٢٧٠
	<u>٨٧ - سورة الأعلى</u>
١٨ - ١٩	إن هذا لفي الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى ٢٩٥
	<u>٨٨ - سورة الفاشية</u>
٢٤ - ٢١	فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر ١٠٣ و ٦٢
	<u>٩٣ - سورة الضحى</u>
١١ - ١	.. ما ودعك ربك وما قلى .. ٥٨ و ٥٧ و ٥٦
	لم يجدك يتيماً فأوى .. ١٠٦
	<u>٩٦ - سورة العلق</u>
٣ - ١	اقرأ باسم ربك الذي خلق .. ١٩٣ و ١٨٦ و ٦١
١٩	واسجد واقرب ١٣٣
	<u>٩٧ - سورة القدر</u>
١	إنا أنزلناه في ليلة القدر ٢٦٧
	<u>١١١ - سورة المسد</u>
١	تبت يدا أبي لهب وتب ٦٢

٢ - اوصاف النبوة

الصفحة	
١٣٢	أتيت رسول الله وهو يصلي ولجوفه أزيز كأزيز المرجل
٣٠٥	أجل والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن
١٩٥ و ١٩٤ و ١٨٨ و ١٨٤ و ١٨٣	أحياناً يأتي مثل صلصلة الجرس وهو أشده علي
١٩٠	أرني النبي ﷺ حين يوحى إليه
١٣٣	اقرأ عليّ القرآن
١٩٢	الاسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله . . .
٥٦	اشتكى رسول الله ﷺ فلم يقم ليلة أو ليلتين
١٣١	الله أكبر ذو الملكوت والجبروت
١٤١	اللهم اجعل رزق آل محمد في الدنيا قوتا
١٥٣	اللهم اليك أشكو ضعف قوتي
٢٣٩	اللهم حوالينا ولا علينا
٢٣٩	اللهم سلط عليه كلباً من كلابك
٢٣٩	اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل
١٠٢	أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم
١٠٧	أنا وامرأة سفهاء الخدين كهاتين يوم القيامة
١٠٨	أنا وكافل اليتيم في الجنة
٢٨٥ و ١٢٨	أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب
٣٠٦	أنا وهو كنا الى غير هذا منك أحوج يا عمر

الصفحة

- ١٩٦ أنزل الله على رسوله وفخذه على فخذي
 ٢٦٩ أنزلت عبس وتولى في ابن أم مكتوم الاعمى
 ١١٤ انضحوا الخيل عنا ولا تؤتينا من قبلكم
 ١٣٨ إن كنا آل محمد لنمكت شهرأ ما نستوقد نارأ
 ١٢٥ إنا كنا إذا حمي البأس واحمرت الحدق
 ٢٥٧ إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب
 ٢٤٢ إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها
 ٣٦٤ أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال : متى الساعة ؟
 ١٠٩ أن رجلاً جاء الى النبي ﷺ فسأله أن يعطيه
 ١٨٤ إن روح القدس نفث في روعي
 ٣٦٠ إن مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل أتى قومه
 ٢٧٥ انما أنا بشر ولانه يأتيني الخضم فلعل بمضكم أن يكون أبلغ
 ١٥١ و ٣٦ انما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق
 ١٥٨ و ١٥٥ أن هرقل أرسل اليه « الى أبي سفيان » في ركب من قريش ..
 ٢٥٥ و ٩٨ و
 ١١١ إني لست أبكي إنما رحمة
 ١٨٥ و ١٦٥ أول ما بدى به رسول من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم
 ٢١٧ و ١٩٣ و
 ٢٠٢ بينا أنا مع النبي ﷺ في حرث وهو متكئ على عسيب إذ مر اليهود
 ١٨٨ بينا أمشي إذ سمعت صوتاً من السماء
 ٢٤٢ تقتلك الفئة الباغية
 ٣٦٤ ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان

الصفحة

- ثم كتب هرقل الى صاحب له برومية
 جاء العاقب والسيد صاحباً نجران الى رسول الله ﷺ
 جاءنا رسول كفار قريش يجعلون في رسول الله وأبي بكرية .. ٢٤٠-٢٤١
 خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين فما قال لي أف قط ٢٨١
 خرجنا مع النبي ﷺ في غزاة ونحن ستة نفر ١٠٧
 رؤيا الأنبياء وحي ٢٨٤
 فضل صلاة الجميع على صلاة الواحد خمس وعشرون درجة ١٨٠
 فوالله ما رام رسول الله ﷺ ولا خرج أحد .. حتى أزل عليه ١٣٠
 كان النبي ﷺ أجود الناس بالخير ١٩٥
 كان النبي ﷺ أجود الناس صدراً وأصدق الناس لهجة ١٠٨
 كان خلقه القرآن يرضى لرضاه ويسخط لسخطه ١١٦
 كان إذا أوى الى منزله جزأ دخوله ثلاثة أجزاء ١١٧
 كان ﷺ أحسن الناس وأجود الناس وأشجع الناس ١٢١
 كان رسول الله يقوم يصلي حتى تتفجع قدماء ١٢٦
 كان ﷺ يقوم الليل باثنتي عشرة ركعة ثم يوتر ١٣١
 كان فراش النبي ﷺ في بيته مسحاً ١٣٨
 كان رسول الله إذا أزل عليه يسمع عند وجهه دوي ١٩٥
 كان النبي يحرس حتى نزلت هذه الآية « والله يعصمك » ٢٨٣
 كان رسول الله ﷺ يعالج من التنزيل شدة ١٨٩
 كسفت الشمس على عهد رسول الله ﷺ ٢٧٧
 كمثل رجل بنى داراً وجعل فيها مآدبه وبعث داعياً ٣٦١
 كلا والله ما يخزيك الله أبداً انك لتصل الرحم ٢٥٣ و ٩٧

- كل مولود يولد على الفطرة
٣٣
- كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبي
٣٦١
- كنت مع النبي وعليه برد غليظ الحاشية فجذبه أعرابي بردائه
١١٧
- كنا إذا أنينا في سفر على شجرة ظليلة تركناها لرسول الله
٢٨٢
- لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم
١٠٣
- لا تقولي هذا وقولي ما كنت تقولين
٢٧٣
- لكن رسول الله لم يفر
١٢٨
- لما أنزل الله عز وجل « وأنذر عشيرتك الأقربين »
٦١
- لما كذبه قومه . . ناداه ملك الجبال
١٥٣ و ١١٨
- لا نبي بعدي
٣٥٤
- لا نورث ما تركنا فهو صدقة
١٤٣ و ١٤٢
- ما بي ما تقولون ما جئكم .. أطلب أموالكم . . ولا الملك عليكم
١٣٧
- ما ترك رسول الله ﷺ ديناراً ولا درهماً ولا شاة ولا بعيراً
١٤٢
- ما ترك رسول الله ﷺ إلا سلاحه وبغلتته وأرضاً جعلها صدقة
١٤٢
- ما تقولون أني فاعل بكم فقالوا : أخ كريم
١١٩
- ما خير رسول الله ﷺ في أمرين قط إلا أختار أيسرها
١١٧-١١٦
- ما سمعت رسول الله يقول الأحد . . أنه من أهل الجنة
٣٠٧
- إلا لعبد الله من سلام
١٣٨
- ما شمع رسول الله ﷺ ثلاثة أيام تباعاً من الخبز
٢٨١
- ما ظنك يا أبا بكر بأثنين الله ثالثهما
٩٧
- ما كان أحد أحسن خلقاً من رسول الله ﷺ . .
٢٥٣
- ما همت بشيء مما بهم به أهل الجاهلية إلا مرتين

الصفحة

٢٠١	ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا
١١٩	من دخل دار أبي سفيان فهو آمن
١٩٧	وإن كان ليوحى إليه وهو على ناقته فتضرب جرائها
٣٢٧	والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم
١٣٩	ولقد مات وما في بيتي شيء يأكله فو كبد إلا شطر شمير
١١٥	هذا خلق محمد ﷺ نفعه الله عز وجل به
٦٢ و ٤٢	يا أيها الناس إنما أنا رحمة مهداة
٧١	يا معشر قريش اشتروا أنفسكم لا أغني عنكم من الله شيئاً
١٣٠	يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار
٣٤٧	يقول الله تعالى كذني ابن آدم
٣٤٢	يا عدي هل رأيت الحيرة



٣ - فهرس الاعلام

الأزهرى ١٦ ت	٢
أسامة بن زيد ٢٧٥	ابراهيم الخليل ٤٣ و ٤٨ و ٧٨ و ٨٨
اسحاق ٤٣ و ١٥١ و ١٦٩ و ٣١٩	و ١٥١ و ١٨٠ و ١٧٠ و ١٧١
و ٣٣٦	و ٢٩٥ و ٣٣٦ .
أبو اسحاق الاسفرايني ٢٥٠	ابراهيم بن محمد <small>عليه السلام</small> ٢٧٦ و ٢٧٧
ابن اسحاق ٧٧ و ١٦٩ و ٢٠٢	ابراهيم البيجوري ٥٠
و ٢٤٠ و ٢٧٣ و ٢٨٣	ابن الأثير ١٦٣ و ١٦٤ و ١٨١
اسرائيل ٤٨ و ٨٨ و ٢٣٨ و ٢٨٩	و ١٩٧ ت
و ٢٩٠ و ٢٩١ و ٢٩٩ و ٣٠١ و ٣٠٧ و ٣٠٨	اجتنس جولد تسهر ٢١ و ٢١١
و ٣١٧ و ٣١٨ و ٣١٩ و ٣٢٨ و ٣٤٢ و ٣٥١	و ٢٢٢ و ٢٢٣ ت و ٢٢٦
الامباط ١٦٩	ادريس ٤٤
أسير بن عروة ٢٧١	آدم ٤١ و ٤٤ و ٨٢ و ٢٩١ و ٣٣٤
الاسكندر ٣١٠	آدم ٣١٠ و ٣١٨
اسماعيل ٤٣ و ٤٩ و ١٥٠ و ١٥١	ارم ٣٠٢
و ١٦٩ و ٢٩٠ و ٣١٧ و ٣١٨ و ٣١٩	آردو ٣٢٣ و ٣٢٤
و ٣٢٠ و ٣٢١ و ٣٣٤ و ٣٦٦ و ٣٤٦	أرميا ٣١٠
الاسود الغني ٣٥٦	أحد ١٢٦
أشعيا ٣١٠ و ٣١٢	أحمد ٤٨ و ٦١ و ١٢٥ ت و ١٥١ ت
ابن أبي الأصبع المصري ٨٣	و ١٩٦ ت و ١٩٧ ت ٢٧٥ و ٢٧٨
بنو الأصفر ١٥٨	الأحمر ١١٨
أغابوس ٣١٣	الأزهر ١٥ و ١٦ ت
أفريقية ٢٤٤	

اكسفر ٣٣٠

الآلوسی ٤٧ و ٨٤ و ٨٦ و ٩٦

و ١١٧ ت و ١١٥ و ١٥٤ و ١٦٣ ت

و ١٧٠ و ١٧٩ و ١٨٠ و ٣٥٤ و ٢٥٥

البرنس ایوجین سافوی ٣٣٠

الکسیس کاریل ٣٤٨

الیاس ٤٣ و ١٥٠

الیاس فرحات ١٤٧

الیاس قنصل ١٤٨ و ٢٧٩

أبو أمانة ٤٨ ت

أمیل درمنغام ٢١١ و ٢١٦ و ٢١٧

و ٢٢٣ و ٢٢٤ و ٢٢٦

أمیة بن خلف ١٣٧

أمیة بن الصلت ٢١٧

الانجيل ٥١ و ٦٦ و ٨٧ و ٢٤١

٢٩٤ و ٢٩٥ و ٣٠٠ و ٣٠١ و ٣٠٨

و ٣١٠ و ٣٤١ و ٣٥١

الانجيليون ٣١٥

انجيل برنابا ٢٩٧ و ٣٢٥ و ٣٢٩

و ٣٣٠ و ٣٣١ و ٣٣٢ و ٣٣٤ و ٣٣٥

و ٣٤١

انجيل لوقا ٣١١

انجيل يوحنا ٣١١ و ٣١٥ و ٣٢١

و ٣٢٢

ابن الأنباري ١٦٤

أنس بن مالك ١٠٧ و ١١٧ و ١٢٧

و ٢٨١ و ٢٨٢ ت و ٣٦٤

الأنصار ٣٠٢ و ٣٠٧ ت

انطاكية ٣١٣ و ٣٣٣

أهل الكتاب ٢٠ و ٢٤٠ و ٢٤١ و ٣٤٦

الأوس ٢٩٣ و ٣٠٢

أورشليم ٣١١ و ٣١٣ و ٣٣٣

أوريا ٣٤٨

إيلياء ١٥٥

إيليا ٣١١ و ٣١٢

أم أيمن ١١١

أيوب ٤٣ و ١٥٠ و ١٦٩ و ١٧٠

إرينايوس ٣٣٠

(ب)

بابل ٣١٠

بحري ٢١١ و ٢١٤ و ٢١٥ و ٢٥٢

و ٢٨١

البخاري ٣٣ ت و ٣٦ ت و ٥٦ ت

و ٦٢ ت و ٧١ ت و ٩٧ ت و ٩٨ ت

و ١٠٣ ت و ١٣٣ ت و ١٥١ ت

و ١٥٨ و ١٨٥ و ١٨٨

و ١٨٩ و ١٩٠ و ١٩٥ و ١٩٦ ت

البضاوي ٢٩٢ و ١٨٢

بيت المقدس : ٣٣٩

البيهقي ٣٣ ت و ٣٦ ت و ١١٨ ت

و ١٢٥ ت و ١٥١ ت و ١٩٦ ت و ١٩٧

و ٢٣٥ و ٢٤٤ و ٢٥٣ ت و ٣٠٦ ت.

(ت)

الترمذي ١٩ ت و ٦٢ ت و ٧٨ ت

و ١٠٦ ت و ١٠٧ ت و ١٠٨ ت

و ١٠٩ ت و ١١١ ت و ١١٦ ت

و ١١٧ ت و ١٣١ ت و ١٣٢ ت

و ١٣٣ ت و ١٣٨ ت و ١٣٨ ت

و ١٣٩ ت و ١٤١ ت و ١٤٢ و ١٨٣

و ٢٤١ ت و ٢٦٩ و ٢٧٣ و ٢٨٤ ت

تقي الدين السبكي ٢٥٠

التوراة ٤٨ و ٥١ و ٦٥ و ٦٦ و ٦٧

و ١٧٠ و ١٧١ و ٢٢٣ و ٢٤١ و ٢٩٢

و ٢٩٣ و ٢٩٤ و ٢٩٥ و ٣٠٠ و ٣٠١

و ٣٠٥ و ٣٠٦ و ٣١٠ و ٣١٢ و ٣٢٠

و ٣٢١ و ٣٤١ و ٣٥١

توماس كارليل ١٤٠ و ١٤٤ و ١٤٥

تيم ٣٤٣

ابن تيمية : ٢٧ و ٣٧ و ٤١ و ٤٦

و ٤٧ و ٤٨ و ٢٥٥ ت و ٢٥٦ و ٣٣٢

و ٢٠١ و ٢٢٥ و ٢٤١ ت و ٢٤٢

و ٢٥٣ و ٢٧٥ ت و ٢٨١ ت و ٢٨٢ ت

و ٢٨٣ ت و ٢٨٤ و ٢٨٦ و ٣٠٥

و ٣٠٧ و ٣٤٧ ت و ٣٦١ ت

و ٣٦٤ ت.

بخت نصر ٣١٠

بدر ١١٣ و ١٢٥ و ٢٧٤

براكلي طوس ٣٢٣

بروسيا ٣٣٠

البراء بن عازب ١٢٨ و ٢٨٢ ت

برنابا ٣٣٢ و ٣٣٣ و ٣٣٤

ابن بري ٤٦

البرار ١٣٨ و ٢٢٧ ت

بشر بن البراء بن معرور ٢٨٦ و ٣٠٣

بشر بن أبيرق ٢٧٠

بشرى زخاري ميخائيل ١٤١ و ١٤٢

و ٣١٦ و ٣٣١ و ٣٣٣ و ٣٥٣

بصري ١٥٧ و ٢١٤ و ٢١٦

أبو بكر ١٤٢ و ١٤٦ و ٢٢١

و ٢٨٠ و ٢٨١ و ٢٨٢

أبو بكرة ٢٧٧

بلال ٢١٨

بودلي ١٤١

بولس الرسول ٣٢٠ و ٣٢١ و ٣٣٣

(ث)

بنو ثقيف ١١٢ و ١٥٢

ثمود ٦٧ و ٧٤

ثوبان ٢٤٢

الثوري ٢٧٥

جلاسيوس الأول ٣٣١

جندب بن سفيان ٥٦ ت

ابن الجوزي ٤٨ ت

الجوهري ٤٦

أبو جهل ١٣٧

(ح)

الحارث بن هشام ١٨٣ و ١٨٤ و ١٨٨

ابن أبي حاتم ٢٧٧ ت و ٢٨٤ ت

الحاكم ٣٦ ت و ٤٨ ت و ٦٢ ت

و ١٥١ ت و ١٨٤ و ١٨٦ و ٢٧٣

و ٢٨٤ ت

أبو حامد الفزالي ٢٧ و ٨٦

ابن حبان ٤٨ ت و ٢٨٣ ت و ٣٠٦ ت

الحبشة ٥٩ و ٣٠٩ و ٣٢٥

الحديبية ١٥٥ ت

حذيفة بن اليمان ١٣١ و ٢٤٠

الحجاز ٢٤٣ ت و ٢٦٣

ابن حجر ٥٦ ت و ٩٨ و ١٨٤ ت

و ٢٣٥ ت

الحرم ٣٤٤ و ٣٤٥

حزقيال ٣١٠

ابن حزم الاندلسي ٣٣٢

حسان بن ثابت ٢٧٢ ت و ٣٠٨

(ج)

جابر بن عبد الله الانصاري ١٨٨

و ٢٧٧ ت و ٢٨٨

الجارود بن الملاء ٣٠٩ و ٣٢٥

الجاحظ ٤٨

الجاهليين ٢٢٥

جبريل ٦١ و ٧٨ ت و ٨٦ و ١١٨

و ١٦٥ و ١٧٦ و ١٨١ و ١٨٢ و ١٨٣

و ١٨٤ و ١٨٧ ت و ١٩٢ و ٢٠١

و ٢٠٢ و ٢٦٦ و ٢٩٥ و ٣٣٩

جرم ٤٩

ابن جرير الطبري ٧٠ ت و ١٣٦

و ١٦٧ و ١٩٣ و ٢٦٩ و ٢٨٤ ت

الجزيرة العربية ١٠٢ و ١٠٣ و ١٤٦

١٦٩ و ٢١٦ و ٢١٩ و ٢٤٢ و ٣٦٢

الجعارنة ١٩٠

جعفر بن أبي طالب ٣٠٩ و ٣٢٥

ابن خزيمة ٢٧٧ ت

الخضر ٣٥٥

خليل سعادة ٣٣١

خليل مطران ١٤٧

(د)

دانيال ٣١٠

داود ٤٨ و ٧٨ ت و ١٥٠ و ١٦٩

و ١٧٠

داود بن سلمة ٣٠٣

أبو داود ١٠٧ ت و ١١٧ ت و ٢٤٢ ت

و ٢٧٥

دحية الكلبي ٧٨ ت و ١٥٧ و ١٨٤

أبو الدرداء ١١٧

ابن أبي الدنيا ١٨٤

(ذ)

ذات الرقاع ٢٨٣ و ٢٨٤

ذو الكفل ٤٤

أبو ذر ٤٨ ت

ذو الخليفة ٣٤٣

الذهبي « الحافظ » ٤٢ ت و ٦٢ ت

و ٢٥٣

الحسن والحسين ابنا علي رضي الله عنهم

١٢١ و ١٤٢

الحسن البصري ١١٥ و ١٩٢

أبو الحسن علي بن محمد الماوردي

٥٠ ت و ٩٩ و ١٠٠ و ١٠٢

حسن بن مخلوف ٦٥ ت

حسين بن مسعود البغوي ١٣٦ ت

حفصة ١٣٨ و ١٤٢

حمزة بن عبد المطلب ١١٨ و ١١٩

و ١٢٤

حمص ١٥٨

حنين ١٢٦ و ١٢٧ و ١٢٨

بنو حنيفة ١٤٦

الحيرة ٢٤٢

الحواريون ٣١٤ ت

أبو حيان الاندلسي ٨٥ و ٨٦ و ٩٦

و ١٧٩ و ١٨٠

(خ)

الخازن ١٥١

خديجة بنت خويلد ٩٧ و ٩٨ و ١٦٨

و ١٨٦ و ١٨٧ و ٢٠٧ و ٢١٦ و ٢١٧

و ٢١٨ و ٢٥٣

الخزرج ٢٩٣ و ٣٠٢

(و)

الرازي « فخر الدين محمد بن عمرو »

٢٧ و ٢٨ ت و ٨٠ و ٨٧ و ٩٦

و ١٠٠ و ١٠١ و ١٤٤ و ١٥٠ و ١٥٤

و ١٧١ و ١٧٨ و ١٨٠ و ١٨٣ و ١٩٢

و ٢٠٦ ت و ٢٣٥ ت و ٢٣٦ و ٢٣٧

و ٢٣٨ و ٢٥٠ و ٢٥٨ و ٢٦٤

الراغب الاصفهاني ٤٥ و ١٦٣ و ١٦٤

و ١٨٣ و ١٩٧ ت

ابن راهويه ٤٨ ت و ٢٥٣ ت

الربيع بنت معوذ الانصارية ٢٧٤

رحمة الله الهندي ٣١٥ و ٣١٦

الرشيد « هارون » ٨٧

رشيد رضا ٣١١ ت و ٣١٦

رشيد سليم الخوري ١٤٧

رضى ٣٤٣

رفاعة بن زيد ٢٧١

الروح الامين ١٨٢

روح القدس ١٨٢ و ١٨٤ و ٢١٩

و ٣٢١ و ٣٢٢ و ٣٢٦ و ٣٢٧

و ٣٢٨ و ٣٣٣

الروم ٥٩ و ١٤٦ و ١٥٥ و ١٥٧

و ١٥٨ ت و ٣٤٣

رومية ١٥٨ و ٣٢٠

ربنيه ٢١٦

(ز)

الزبور ١٦٩ و ١٧٠

الزجاج ١٦٣ ت

الزرقاني ١٨١ و ١٩٦

الزركشي ١٩٤ ت

زكريا ٤٣ و ١٥٠

الزخشي ٦٥ ت و ٢٩٢

زهير بن أبي مسلمي ١٤٧

الزهرى ١٠٢

زيد بن ثابت ١٩٦ و ١٩٨

زيد بن خالد الجيني ١٣١

زيد بن حارثة ١٠٢

زيد بن سعة ٣٠٥ و ٣٠٦

زينب ١١١

زين العراقي « الحافظ » ٢٥٠

(س)

ساعير ٣١٨ و ٣٢١

السامري ٢٩٩

ابن السائب ١٧٦

ستيوخت ٣٢٠

مسيويه ٤٦

السيوطي ٣٦ ت و ١٠٣ ت و ١٧٧

(ش)

الشام ٧٠ و ١٤٦ و ١٥٥ و ٢١١

و ٢١٤ و ٢١٥ و ٢١٦ و ٢٥٢

و ٢٦٣ و ٣٢٥

شاوول ٣٣٣

شعيب ٤٤ و ٦٧

شهر بن حوشب ١٩٦

شبية بن ربيعة ١٣٧

الشيخان ١١٧ ت و ١١٨ ت و ١٢١ ت

و ١٢٦ ت و ١٢٨ ت و ١٣٨ و ١٣٩

و ٢٧٥ و ٣٤٧ و ٣٦٠ و ٣٦١ و ٣٦٤

أبو الشيخ الاصبهاني ١١٥ و ١٦٧

و ٢٧٣

(ص)

صالح ٤٤ و ٦٧

الصفاء ٦١

صفين ٢٤٢

الصين ٢٢٧ و ٣٤٨

السدي ٣٠٤

سراقة بن مالك ٢٨١ و ٢٨٢

السعد التفتازاني ٥٠ ت و ٢٥٠ و ٢٥٢

ابن سعد ٤٢ ت و ٦٢ ت و ١٥١ ت

أبو السمود ٩٦

سعيد بن أسد بن موسى ٢٧٨ ت

سعيد حوى ٢٠ ت

سعيد بن جبير ١٦٧ و ١٨٩

سعيد بن زيد بن عمر ١٢٤

مكن ١٦٩

سكتس الخامس ٣٣٠

سلافة بنت سعد ٢٧٢ ت و ٢٧٣ ت

سلام بن مشكم ٣٠٣

سلمان الفارسي ٢٣٧

أم سلمة ٢٧٥

سليمان ٤٨ و ١٥٠ و ١٦٩

أبو سفيان ٥٥ و ٩٨ و ١١٩ و ١٣٧

و ١٥٨ و ٢٥٥

أبو سفيان بن الحارث ١٢٨

السها ٢٢٢

سواع ٣٤٣

السيد ٢٤٠

سيفاء ٢١٦ و ٣٢١

(ط)

و ١٣٦ و ١٥٥ و ١٥٨ و ١٨٩ و ١٩٤
 و ٢٠١ و ٢٧٧ ت و ٢٣٩ و ٣٠٣
 عبد الجبار ، القاضي ، ٥٨ و ٢٥٨
 عبد الرحمن بن عوف ١٣٨
 عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب ٢٤٢
 عبد السلام بن ابراهيم اللقاني ٥٠ ت
 عبد العلي محمد الانصاري ١٨٠
 ابن عبد البر ١٥١ ت
 عبدالله التيمي ١٦٣ ت
 عبدالله بن سلام ٢٢١ و ٢٩١ و ٣٠٤ ت
 و ٣٠٥ و ٣٠٦ و ٣٠٧ و ٣٠٩
 عبدالله بن سعيد ١٣٢ ت
 عبدالله بن الشخير ١٣٢
 عبدالله بن عبد المطلب ٢١٥
 عبدالله بن عمرو بن العاص ٣٠٥
 عبدالله بن مسعود ١٣٢ و ١٣٣
 عبدالله بن عمر ٣٠٤ ت
 عبدالله يوركي حلاق ١٤٧
 عبدالله بن أبي سلول ١١٣ و ١١٤
 و ٣٥٩
 عبد المطلب ٥٥ و ٦١ و ٢١٤ و ٣٠٦
 عبد المسيح ٢٤٠
 عبد الوهاب النجار ٣٢٣
 أبو عبيدة بن الجراح ٢٤٠ و ٢٤١

الطائف ١٥٢ و ٢٠٥
 أبو طالب ٥٥ و ١٥٢ و ٢٠٨ و ٢١٤
 و ٢١٥ و ٢٥٢ و ٢٥٣ و ٢٨٠
 الطبراني ٣٣ ت و ١٢٥ ت و ١٦٧
 و ١٩٦ ت و ٣٠٦ ت
 الطبري ٥٦ ت و ١٦٧ و ٢٢٧ ت
 و ٢٥٣ ت و ٢٧٣
 أبو طلحة ١٠٧ و ١٢٦
 طيء ٢٤٣

(ع)

عائشة ٧٨ ت و ٩٧ و ١١٦ و ١١٧
 و ١٣١ و ١٣٨ و ١٣٩ و ١٤٢ و ١٦٥
 و ١٨٣ و ١٨٥ و ١٨٨ و ١٩٣ و ١٩٥
 و ١٩٦ و ٢١٨ ت و ٢٦٩ و ٢٨٣
 عاد ٧٤ و ٣٠٢
 عدي بن زيد ١٦٩
 العاقب ٢٤٠
 أبو العالية ٣٠٣ و ٣٠٤
 عامر بن فهيرة ٢٨٢
 عامر بن سعيد ٣٠٧
 عباس بن عبد المطلب ٧١ و ٢٨٥
 ابن عباس ٦١ و ١٠٨ و ١٢٧ و ١٣١

عبيد بن عمير ١٨٠
عتبة بن ربيعة ١٣٧ و ٢٢٧
عتبة بن أبي لهب ٢٣٩
عدي بن حاتم ٢٤٢ و ٢٤٣ و ٢٤٤
عثمان بن عفان ١٤٦
عثمان بن مظعون ١١١
عجم ١٢٠
المراق ٧٠ و ١٤٦ و ٢٤٣
العرب ١٥ و ٢١ و ٢٥ و ٢٦ و ٤٦
و ٥٩ و ١١٣ و ١٢٠ و ١٥٦
و ٢٠٣ و ٢٨٩ و ٢٩٠ و ٣٠٣
و ٣١٩ و ٣٤٠ و ٣٤٣ و ٣٤٤
و ٣٤٦
عروة بن مسعود الثقفي ٢٠٥
المزني ٢١٥ و ٢٥٢ و ٣٤٣
غزير ٨٠ و ٨١ و ٩١
عطاء بن يسار ١٧٥ و ٣٠٥
عقبة بن أبي معيط ٢٠٢
علوي عباس المالكي ١٨٢
علي بن أبي طالب ١١٦ و ١٢٥
و ١٤٢ و ١٤٦ و ٢٤٢
علي بن أبي بكر الهيثمي ٢٧٨
علي بن محمد الجرجاني ٤١
أبو علي الفارسي ١٧٨ و ١٨٠

(غ)

علي بن قيس الواقدي ٨٧
عمار بن ياسر ٢٤٢
عمر بن الخطاب ١٠٣ و ١٠٩
و ١٢٤ و ١٢٥ و ١٤٢ و ١٤٤ و ١٧٨
و ١٧٩ و ١٩٠ و ١٩١ و ١٩٢ و
١٩٥ و ٢٢١ و ٣٠٦
عمر بن عبدالعزيز ٢٤٤
ابن عمر د عبدالله د ١٨٤ و ٢٥٧
و ٢٧٧
عمرو بن الحارث ١٤٢
عياض د القاضي ١٠٦ و ٢٥٠
عيسى ابن مريم ١٨ و ٤٣ و ٤٨
و ٦٣ و ٦٦ و ٨٠ و ٨١ و ٨٢ و ٨٤
و ٨٥ و ٨٧ و ٨٨ و ١٠٥ و ١٦٨
و ١٧٠ و ٢٣٨ و ٢٤٠ و ٢٩٤ و ٣٠٧
و ٣١٠ و ٣١٢ و ٣١٤ و ٣١٥ و ٣٢٨
و ٣٤٢ و ٣٥٤ و ٣٥٥ و ٣٥٩
بنو عيسو ٣١٨

غارثور ٢٨٠

غار حراء ٦٠ و ٦١ و ١٦٨ و ١٨٦
و ١٩٣ و ١٩٨ و ٢٠٧ و ٢٢٣ و ٢٢٤
غورث بن الحارث ٢٨٣

(ف)

فاران ٣٢١

الفارقليط ٣٢٢ و ٣٢٣ و ٣٢٦

و ٣٢٧ و ٣٢٨ و ٣٢٩

فارس ١٤٢ و ٢٤٢

فاطمة الزهراء ١٤٢

فاطمة بنت الخطاب ١٢٤

فرا مرينو ٣٣١

فرعون ٦٧ و ٢٨٩ و ٢٩٩

فرنسا ٢٢٧

الفرس ٥٩ و ١٤٦ و ٢٤٣ و ٣٤٣

و ٣٦٢

فنجاص ١٦٧

بنو فهر ٦٢

فينيا ٣٣٠

(ق)

قادس ٣١٨

أبو قيس ١١٨ ت

قبرص ٣٣٣

القبط ٣٢٥

قتادة ١٧٥ و ١٩٢ و ٣٠٤

قتادة بن النعمان ٢٧٠ و ٢٧١ و ٣٠٢

ابن قتيبة ١٧٦

القدس ١٥٥ ت

القرآن الكريم في معظم صفحات الكتاب

قريش ٦٨ و ٦٩ و ٧١ و ٧٤ و ١١١

و ١٣٧ و ١٥٢ و ١٥٥ و ١٦٧ و ٢٠٢

و ٢١٥ و ٢٢٧ و ٢٥٣ و ٢٨٠ و ٢٨٣

القسطلاني ١٧٧

قس بن ساعدة الايادي ٢١٧

قطرب ٤٩

قطورا ٣١٩

قيصر ٢٤٢

قورش ٣١٠

(ك)

كارلو نلينو ٣٢٣ و ٣٢٤

ابن كثير ٥٧ ت و ٦٥ ت و ٩٤

و ٩٦ و ١٩٢ و ١٩٧ ت و ٢٠١

و ٢٠٦ ت و ٢٤١ ت و ٣٥٦

كريم ٣٣٠

كسرى ٢٣٩ و ٢٤٢ و ٢٤٣

الكعبه ٦٩ و ١٦٧ و ٢٤٢ و ٣٠٩

و ٣٤٥

الكلبي ١٦٧

كلوديوس قيصر ٣١٣

محمد رشيد رضا ٣٢٩ و ٣٣٢
 محمد بن سلمة الحراني ٢٧٣
 أبو محمد عبدالله بن عبد الحكم ٢٢٤ ت
 محمد عبدالله دراز ١٠٣ و ٢٢١ ت
 محمد عبده ٥٨ و ٦٠ ت
 محمد لقمان الصديقي ٣٥٦ ت
 محمد محمد السحاحي ١٧
 محمد بن منظور الأفريقي ١٦٣
 محمد بن المرتضى اليماني (ابن الوزير)
 ١٠٠

محمود شلتوت ١٧
 محمود بن ابيد ٢٧٨ ت
 مخبريق ٣٠٩
 المدينة المنورة ٢٨٢ ت و ٢٩١
 مدين ٢١٦
 مريم ٨١ و ٨٦ و ٨٧
 ابن مردويه ٢٨٣ ت
 ابن مسعود ١٨٤ و ٢٧٧ ت
 مسلم بن الحجاج ٣٣ و ٦٢ ت و ٧١ ت
 و ٩٨ ت و ١٠٨ ت و ١٣٣ ت و ١٣٨
 و ١٤١ و ١٨٠ و ١٨٣ و ١٩٠ ت
 و ١٩١ و ٢٢٥ و ٢٤١ ت و ٢٤٢ ت
 و ٢٧٣ و ٢٧٥ ت و ٢٧٧ ت و ٢٨١ ت
 و ٢٨٣ ت و ٣٠٧

(ل)

اللات ٢١٥ و ٢٥٢ و ٣٤٣
 لبيد بن سهل ٢٧١
 بنو لؤي ٦١
 لوراراغ ٣٣١
 لونسدال ٣٣١
 لوط ٤٣ و ٧٨ ت
 أبو لهب ٥٦ ت

(م)

محمد رسول الله ﷺ في معظم
 صفحات الكتاب
 الماتريدي ١٧٩
 ابن ماجه ١٣٨ ت و ١٤١ ت
 و ٢٤١ ت
 مارون عبود ١٤٨
 مالك بن أنس ٢٤٤ ت
 مالك بن نبي ٢٠٨
 مالك بن الصيف ١٦٧
 محمد أنور شاه الكشميري ٣٥٤ و ٣٥٦ ت
 محمد بن أحمد السفاريني ٣٨ ت
 محمد بيرم ٣٣٢
 محمد توفيق صدقي ٣٢٩ ت

مسلم بن ابراهيم ٢٨٤ ت
مسيا ٣٣٥

المسيح ابن مريم ١٨ و ٨١ و ٨٣
و ٨٥ و ١٤١ و ٣١١ و ٣١٢ و ٣١٣
و ٣١٤ و ٣١٥ و ٣١٦ و ٣١٧
و ٣١٨ و ٣٢٠ و ٣٢١ و ٣٢٢ و ٣٢٤
و ٣٢٥ و ٣٢٦ و ٣٢٧ و ٣٢٨ و ٣٣٢
و ٣٣٣ و ٣٣٥ و ٣٣٦
مسيلة ٣٥٦

مصر ١٤٦ و ٢٤٢ و ٣١٠ و ٣٢١

معاذ بن جبل ٣٠٢

المغيرة بن شعبة ٢٧٧

ملا علي القاري ١٠٦ ت و ١١٨ ت

مقاتل ١٧٦

المقوقس ٣٢٥

مكة ٤٦ و ٦٩ و ١٢٧ و ١٥٢ و ٢٠٢

و ٢٠٤ و ٢٠٥ و ٢١٤ و ٢١٥ و ٢٢٣

و ٢٦١ و ٢٨٠ و ٣٢١ و ٣٤٤

ابن أم مكتوم ٢٦٩

مناة ٣٤٣

مناف ٣٤٣

ابن المنذر ٧٧ ت و ١١٧ ت و ٢٧٣

منفليس ٣٢٤

منكهوس ٣٣٠

موسى ٤٣ و ٤٨ و ٦٦ و ٦٧ و ١٥٠

و ١٦٧ و ١٧٠ و ١٨١ و ١٨٧ و ٢١٧

و ٢١٨ و ٢٢٩ و ٢٨٩ و ٢٩٤ و ٢٩٥

و ٣٠٠ و ٣٠٦ و ٣٠٨ و ٣١٢ و ٣١٧

و ٣١٨ و ٣١٩ و ٣٢١ و ٣٤٢

أبو موسى الأشعري ٢٨٤ و ٣٦٠

ميسرة ٢١٦

محي الدين عبد الحميد ٢٢٧ ت

مي زيادة ١٤٧

ميراز غلام أحمد القادياني ٣٥٥

(ن)

نافع ٤٥

النجاشي ٣٠٩ و ٣٢٥

النسائي ٦٢ ت و ١٢٥ ت و ١٨٤

و ١٩٠ ت و ١٩٦ ت و ٢٧٨ ت

و ٢٤١ ت و ٣٠٧

نسرأ ٣٤٣

النصارى ٢٠ و ٨٠ و ٨١ و ٨٤

و ١٦٦ و ٢١١ و ٢٤٢ و ٢٩٧ و ٣٠٩

و ٣٢٥ و ٣٢٩ و ٣٣٢ و ٣٣٤

و ٣٤١ و ٣٥٩

نصارى نجران ٢٢١ و ٢٤٠

النصرانية ٢١٧ و ٢٢٣ و ٣٤٣ و ٣٤٩

(و)

الواقدي ٢٨٣
 الوثنية ٣٤٣
 ودأ ٣٤٣
 ورقة بن نوفل ١٦٨ و ١٨٧ و ١٨٨
 و ٢٠٧ و ٢٠٨ و ٢١١ و ٢١٤ و ٢١٧
 و ٢٢٥ و ٢١٨
 وحشي ١١٩
 الوليد بن المغيرة ٢٠٥
 وليم مور ٣٢٤

(ي)

يثرب ٢٨٠ و ٢٨١
 يحيى ٤٣ و ١٥٠ و ٣١٢
 يحيى بن سعيد ٢٤٤
 اليسع ٤٣
 يسوع ٤٨ و ٣١٥
 يعقوب ٤٣ و ١٥١ و ١٦٩
 يعلى ١٩٠
 أبو يعلى ٣٣٣ و ٢٦٩
 يعوق ٣٤٣
 يفتو ٣٤٣
 اليمن ٣٥٦

النضر بن الحارث ٢٠٢

بلو النضير ٣٠٣
 نعيم بن عبدالله ١٢٤
 أبو نعيم ٢٠٦ ت
 نقولا حنا ١٤٧
 فوح ٤٣ و ٦٦ و ٦٧ و ٧٤ و ١٥١
 و ١٥٢ و ١٥٣ و ١٧٠ و ١٧١
 النووي ١٨٢
 نينوى ٣١٠

(هـ)

هاجر ٣١٨ و ٣١٩ و ٣٢٠
 هارون ٤٣ و ٦٧ و ١٦٩
 هبل ٣٤٣
 هرقل ٩٨ و ١٥٥ و ١٥٧ و ١٥٨
 و ٢٥٥
 أبو هريرة ١٣٠ و ١٣١ ت و ١٤٢
 و ١٥١ ت
 ابن هشام ١٢٤ و ١٢٥ ت و ٢١٤ و ٢٥٢
 هشام بن محمد السائب الكلبي ٢٤٤
 هوازن ١٢٧ و ١٢٨ و ٢٨٥
 هود ٤٤
 هويت ٣٣٠
 الهيثمي ١٥١ ت و ١٩٦ ت

اليهودية ١٦٨ و ٣٠٦ و ٣٤٣	اليامة ٣٥٦
يوسف ٤٣ و ٤٨ و ١١٩ و ١٥٠	اليهود ٨٠ و ٨١ و ١٦٦ و ١٦٧
أبو يوسف ١٨٠	و ١٦٨ و ١٦٩ و ١٧٠ و ١٧١ و ١٧٢
يوشع ٣١٦ و ٣١٧ و ٣١٨ و ٣١٩	و ٢٠٢ و ٢٠٥ و ٢٢١ و ٢٢٣ و ٢٨٩
اليونان ٢٩ ت و ٣٢٠ و ٣٢١	و ٢٩١ و ٢٩٢ و ٢٩٣ و ٣٠٢ و ٣٠٣
يونس ٤٣ و ١٥٠ و ١٦٩	و ٣٠٤ ت و ٣٠٧ و ٣٠٩ و ٣١٠
	و ٣١١ و ٣٢٤ و ٣٤٩



٤ - ثبت المراجع

آ - القرآن الكريم وعلوم

- القرآن الكريم كتاب الله تبارك وتعالى .
 جامع البيان عن تأويل آي القرآن - محمد بن جرير الطبري - طبعة
 مصطفى الباني الحلبي الثانية وطبعة دار المعارف - مصر .
 مفاتيح الغيب - المشهور بالتفسير الكبير - الفخر الرازي - ط .
 عبد الرحمن محمد - مصر .
 البحر المحيط - محمد بن حيان الاندلسي - مطبعة السعادة - مصر .
 الجامع لأحكام القرآن - محمد بن أحمد الانصاري القرطبي - ط .
 دار الكتب المصرية .
 الكشف عن غوامض التنزيل - محمود بن عمر الزمخشري - الطبعة
 الثانية - المكتبة التجارية الكبرى - مصر .
 تفسير القرآن العظيم - عماد الدين بن كثير - طبع عيسى الباني
 الحلبي - مصر .
 إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم - أبو السعود الهادي -
 الطبعة الأولى طبع المكتبة الحسينية المصرية .
 لباب التأويل في معاني التنزيل - علاء الدين علي بن محمد « الخازن »
 الطبعة الأولى - بولاق .
 مدارك التنزيل وحقائق التأويل - عبدالله النسفي - المطبعة الاميرية - بولاق .
 معالم التنزيل - للحسين بن مسعود البغوي - مطبعة المنار بمصر سنة ١٣٤٧ هـ

فتح القدير - محمد بن علي بن محمد الشوكاني - ط . مصطفى الباي
الخلي - مصر .

أنوار التنزيل وأسرار التأويل - عبدالله بن عمر اليمضاوي - مكتبة
الجمهورية - مصر .

الفتوحات الالهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية - سليمان بن
عمر العجيلي - طبع عيسى الباي الخلي - مصر .

روح المعاني - محمود الألوسي - الطبعة المنيرية الاولى - مصر .
المفردات في غريب القرآن - الراغب الأصفهاني - طبعة مصطفى الباي
الخلي - مصر .

صفوة البيان لمعاني القرآن - حسنين مخلوف - ط . مصر .
تفسير جزء عم - محمد عبده - مطابع الشعب - مصر .
تفسير القرآن الكريم « المشتهر بتفسير المنار » محمد رشيد رضا -
الطبعة الرابعة مكتبة القاهرة .

محاسن التأويل (تفسير القاسمي) - محمد جمال الدين القاسمي - ط مصر .
التفسير الموضوعي - آمالي الشيخ محمد السباحي - للدراسات العلمية
بكلية أصول الدين بالأزهر .

إعجاز القرآن - أبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني - دار المعارف - مصر .
بديع القرآن - ابن أبي الأصبغ المصري - طبع نهضة مصر .
البرهان في علوم القرآن - محمد بن عبدالله الزركشي - عيسى الباي
الخلي بمصر .

الاتقان في علوم القرآن - جلال الدين السيوطي - الطبعة الثالثة
مطبعة مصطفى الباي الخلي - مصر .

مناهل العرفان - محمد عبد العظيم الزرقاني - الطبعة الثالثة - عيسى
الباي الخلي - مصر .

ب - الحرب النبوي وعالمه

- صحيح الامام البخاري - ط . عيسى البابي الحلبي - مصر .
 صحيح الامام مسلم - ط . عيسى البابي الحلبي . مصر سنة ١٩٥٥ .
 جامع الترمذي - مطبعة الصاوي - مصر .
 المجتبى « سنن النسائي » - المطبعة الميمنية - مصر .
 سنن أبي داود - المطبعة التجارية - مصر .
 سنن المصطفى - محمد بن يزيد بن ماجه القزويني - المطبعة التازية - مصر .
 المستدرک - للحاكم النيسابوري - ط . الهند .
 مسند الامام أحمد - المطبعة الميمنية - مصر .
 أخلاق النبي ﷺ وآدابه - محمد عبدالله بن حيان الأصبهاني - مطابع الهلال - مصر .
 مجمع الزوائد ومنبع الفوائد - علي بن أبي بكر الهيثمي - ط . مصر .
 جامع الأصول من أحاديث الرسول - أبو السعادات مبارك بن محمد ابن الأثير الجزري - مطبعة السنة المحمدية - مصر .
 الأدب المفرد - البخاري - تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي - ط . مصر .
 فضل الله الصمد في توضيح الأدب المفرد - فضل الله الجيلاني - ط . مصر .
 الجامع الصغير - جلال الدين السيوطي - المكتبة التجارية الكبرى - مصر .
 الفتح الكبير في ضم الزيادة الى الجامع الصغير - لجلال السيوطي - ترتيب يوسف النبهاني - دار الكتب العربية الكبرى بمصر .
 التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول - منصور علي ناصيف - عيسى البابي الحلبي - مصر .
 التصريح بما تواتر في نزول المسيح - محمد أنور شاه الكشميري الهندي - تحقيق عبدالفتاح أبو غدة - نشر مكتب المطبوعات الإسلامية - حاب .

- فتح الباري شرح صحيح البخاري أحمد بن حجر العسقلاني -
 المطبعة الخيرية للخشب - مصر .
- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج - النووي - المطبعة الأزهرية .
- فيض القدير شرح الجامع الصغير - محمد عبدالرؤوف المناوي - المكتبة
 التجارية الكبرى - مصر .
- النهاية في غريب الأثر - مبارك بن محمد الجزري بن الأثير - ط .
- عيسى البابي الحلبي - مصر .
- الشفاء للقاضي عياض - ط . مصر .
- شرح الشفاء - علي القاري - المطبعة العثمانية ١٣١٦ هـ .
- الشهائل المحمدية - للترمذي - وشرحها - للبيجوري - المكتبة التجارية .
- الفوائد الجليلة البهية شرح الشهائل المحمدية - محمد بن قاسم بن
 جسون - طبعة أولى - محمد علي صبيح وأولاده - مصر .

ج - العقيدة وعلم الكلام

- أعلام النبوة - أبو الحسن علي بن محمد الماوردي - المطبعة البهية مصر .
- المواقف في علم الكلام - عبدالرحمن الأيمحي - مطبعة العلوم - مصر .
- شرح المواقف - علي بن محمد الجرجاني - مطبعة السعادة - مصر .
- الأربعين في أصول الدين - للفخر الرازي - ط . الهند .
- لوائح الأنوار البهية وسواطم الأسرار الأثرية - محمد السفاريني -
 مطبعة المنار - مصر .
- عصمة الأنبياء - الفخر الرازي - ط . مصر .
- النبوات - تقي الدين أحمد بن تيمية - المطبعة المنيرية - مصر .
- الرد على المنطقين - أحمد بن تيمية - المطبعة القيمة - بمباي بالهند .

- تثبت نبوة سيدنا محمد ﷺ - الامام الهادي يحيى بن الحسين
مخطوط - صورته في دار الكتب المصرية برقم ٢٩٠٨٩/ب علم الكلام .
- اثبات النبوات - لأبي يعقوب السجستاني - مخطوط - صورته في
دار الكتب المصرية برقم ٢٦٩٨٤/ب علم الكلام .
- تثبت دلائل النبوة - القاضي عبد الجبار - نشر دار العربية - بيروت .
- المسامرة شرح المسامرة - الكمال بن أبي شريف - المطبعة الأميرية بولاق .
- شرح العقائد النسفية للفتازاني - مطبة كردستان بمصر سنة ١٣٢٩ هـ .
- حاشية عبد الحكيم السيالكوتي على حاشية الخيالي على شرح العقائد النسفية .
- تحفة المريد على جوهره التوحيد - ابراهيم البيجوري - طبعة ثانية
بالازهر بمصر .
- شرح جوهره التوحيد - عبد السلام بن ابراهيم اللقاني - تحقيق
محي الدين عبد الحميد - ط . مصر .
- اشار الحق على الخلق - ابن الوزير - مطبعة الآداب والمؤيد بالقاهرة .
- اظهار الحق - رحمة الله الهندي - المطبعة الحمودية - مصر .
- رسالة التوحيد - محمد عبده - الطبعة الرابعة عشرة - دار المنار - مصر .
- مذكرات اتوحيد للسنة الرابعة بكلية أصول الدين - محمود أبو دققة -
مطبعة العلوم .
- النبا العظيم - محمد عبدالله دراز - مطبعة السعادة - مصر .
- الوحي الحمدي - محمد رشيد رضا - طبعة خامسة - محمد علي
صبيح وأولاده - مصر .

د - أصول الفقه

- فواتح الرحموت شرح مسلم الثبوت - عبدالعلي الأنصاري - الطبعة الاولى - الاميرية - مصر .
- التلويح على التوضيح - سعد الدين مسعود التفتازاني - طبع محمد علي صبيح وأولاده .
- تسهيل الوصول الى علم الاصول - محمد عبدالرحمن محلاوي - ط مصر .
- أصول الفقه - محمد الخضري - طبعة رابعة المكتبة التجارية الكبرى بمصر .
- أمالى أصول الفقه - لطلاب السنة الرابعة بكلية الشريعة بدمشق - أحمد فهمي أبو سنة .

هـ - السيرة والتراجم

- سيرة ابن هشام - تحقيق محي الدين عبدالحمد - ط مصر .
- الروض الأنف - عبدالرحمن السهيلي - المطبعة الجمالية - مصر .
- شرح المواهب اللدنية - للزرقاني - المطبعة الازهرية - مصر .
- الاصابة في تمييز الصحابة - ابن حجر - المكتبة التجارية الكبرى - مصر .
- قصص الأنبياء - عبدالوهاب نجار - ط القاهرة سنة ١٩٦٦ .

و - علوم اللغة العربية وآدابها

- لسان العرب - محمد بن منظور الأفرقي المصري - الطبعة الأميرية .
- القاموس المحيط - محمد بن يعقوب الفيروز أبادي - الطبعة الأميرية الثالثة .

تاج العروس من جواهر القاموس - محمد بن مرتضى الزبيدي - ط. مصر .

من وحي القرآن - شعر نقولا حنا - ط. سورية .
 المسرحية - دكتور عمر الدسوقي - ط. خامسة دار الفكر العربي مصر .
 تاريخ الشعر العربي الحديث - أحمد قيش - ط دمشق .
 أدبنا وأدبائنا في المهاجر الأمريكية - جورج صيدح - ط ثالثة بيروت .

ز - موضوعات متنوعة

المقد المنظم في أقسام الوحي المعظم - علوي عباس المالكي - ط. مصر .
 سيرة عمر بن عبدالعزيز أبو محمد عبدالله بن عبد الحكيم - ط. القاهرة .
 مقدمة ابن خلدون - مطبعة التقدم بمصر .
 الأصنام - هشام بن محمد بن السائب الكلبي - المطبعة الاميرية .
 لمحات في وسائل التربية الاسلامية وغاياتها - الدكتور محمد أمين المصري - ط. دمشق .
 النبوة والانبياء في ضوء القرآن - أبو الحسن الندوي - ط القاهرة .
 القرآن والنبي - الدكتور عبدالحليم محمود - ط. مصر .
 الظاهرة القرآنية - مالاك بن نبي - ط. مصر .
 القتال في القرآن - محمود شلتوت - ط. مصر .
 العقيدة والشريعة - محمود شلتوت - ط. مصر .
 محمد رسول الله ، هكذا بشرت الاناجيل - بشرى زخارى ميخائيل - ط. مصر .

محمد رسول الهدى والرحمة - مقال من كتاب الابطال -
 توماس كارليل - معرب .

- حقيقة القاديانية - محمد لقمان الصديقي - ط النيرة .
- الانسان ذلك المجهول - الكسيس كاريل - مترجم - ط . الدار
القومية بمصر .
- الامة العربية في معركة تحقيق الذات - محمد المبارك - ط دمشق .
- انجيل برنابا - مطبعة محمد علي صبيح بالقاهرة .
- الكتاب المقدس - نشر جمعيات الكتاب المقدس في الشرق الادنى -
بيروت .
- المقيدة والشريعة في الاسلام - اجناس جولد تسيهر - معرب -
الطبعة الثانية بمصر .



٥ - مسرد الابحاث

الاهداء	٧
التقريظ	٩
شكر	١٢
خطبة الرسالة :	١٣
الحاجة الى هذا الموضوع	١٣
أغراض بحث الموضوع	١٥
أسلوب التفسير الموضوعي عماد نهج هذه الرسالة .	١٥
عرض لأبحاث الرسالة وبيان مزاياها .	١٧

الباب التمهيدي

افتقار الانسانية الى الرسل

الأدلة القرآنية	٢٥
افتقار الانسانية إلى بعثة الرسل :	٢٩
(١) الهداية الى الله	٢٩
(٢) الهداية إلى أمر الآخرة	٣١
(٣) تلبية الفطرة الانسانية بالدين الحق	٣٢
(٤) الهداية الى المعاملات الصالحة	٣٤
(٥) الهداية الى الأخلاق القويمة	٣٥
(٦) بيان العقوبات الزاجرة	٣٦

(٧) الحاجة الى الداعية القدوة	٣٨
(٨) تحقيق عدل الله وحكمته ورحمته .	٣٩
وجوب الايمان بالرسول	٤١
النبي والرسول وبيان الفرق بينها .	٤٥
تشريف محمد ﷺ بالنبوة والرسالة .	٥١

الباب الاول

تعريف القرآن بمحمد ﷺ

الفصل الاول

نشأته وبعثه في القرآن

نشأته الطاهرة .	٥٥
إبطال زعم أحد السفهاء : أن النبي كان مشاركاً في ضلال الجاهلية	٥٨
بعثته ﷺ .	٦١

الفصل الثاني

أوصاف محمد ﷺ في القرآن

رسول أمي مبشر به .	٦٥
بشرية الرسل جميعا .	٦٦
بشرية نبينا محمد ﷺ .	٦٨

افتراضات تعلل بها المشركون لعدم ايمانهم :	٧٢
أولا - تطلب التلقي عن الله مباشرة ، وبيان استحالة ذلك بما قرره العلم الحديث في حدود طاقة الانسان.	٧٢
ثانيا - طلبهم أن ينزل الله ملكا يبلغ الناس .	٧٤
ثالثا - تطلب ازال ملائكة على محمد لتشهد بصدقه .	٧٦
رابعا - طلبهم ارسال ملك على هيئة بشر شاهد للرسول.	٧٧
وجه الحكمة في بشرية الرسل .	٨٠
بشرية عيسى عليه السلام بالأدلة العقلية والقرآنية -	٨٠
أناجيلهم تثبت بشرية عيسى .	٨٧

الفصل الثالث

أخصر من محمد ﷺ ودولتها على نبوته

سمو أخلاقه يثبت نبوته :	٩٣
آ - تدليل القرآن بأخلاقه على نبوته .	٩٤
ب - استدلال العلماء بأخلاقه على نبوته .	٩٩
نماذج حية من أخلاقه عليه الصلاة والسلام :	١٠٥
١ (رعايته الايتام والارامل والفقراء .	١٠٦
٢ (صبره ﷺ .	١١٠
٣ (لين جانبه ﷺ .	١١٣
٤ (رأفته ورحمته ﷺ .	١١٩
٥ (شجاعته ﷺ .	١٢٤
٦ (خشوعه وتعبده ﷺ .	١٢٨
٧ (رفعه عن الاغراض الشخصية ﷺ .	١٣٤

آ - رضاه بالعيش الخشن في الشدة والرخاء .	١٣٨
ب - لم يترك ميراثاً لأهله الاعزاء .	١٤١
ثبات أخلاقه وسريانه الى أهله وخاصته يثبت رسائلته .	١٤٣
عقلاء النصارى الأدباء يهتدون بأخلاقه .	١٤٧
محمد خير رسل الله كلهم .	١٤٩
نموذج باهر من استدلال العقل السوي على نبوته .	١٥٥

الباب الثاني

اثبات القرآن لنبوة سبرنا محمد ﷺ

الفصل الاول

ظاهرة الوحي

الوحي في اللغة	١٦٣
الوحي في الشرع .	١٦٤
منهج القرآن في إثبات الوحي :	١٦٦
أولا - منهجه مع أهل الكتاب .	١٦٦
الوحي طابع الأنبياء جميعاً .	١٦٨
ثانياً - منهجه مع المشركين والملاحدة وأضرابهم .	١٧٢
إمكان الوحي عقلاً ، العلم الحديث يدل على وجود مغيبات غير محسوسة .	١٧٣
اثبات القرآن إمكان الوحي .	١٧٥
بيان القرآن أصناف الوحي .	١٧٧

الوحي ليلة المعراج	١٨١
اتصال جبريل بالرسول الكريم	١٨٢
الوحي كما حدث لرسولنا محمد ﷺ	١٨٥
مشهد رسول الله ﷺ وهو يوحى اليه	١٨٩
معاناة الرسول شدة أثناء تنزل الوحي	١٩٢
خصائص الوحي :	١٩٨
١ (إنه حدث مفاجئ .	١٩٨
٢ (إنه حدث الزامي .	١٩٩
٣ (الوحي مستقل عن ذات النبي وإرادته .	٢٠٠
٤ (حصول الوحي وفق الاصطفاء الالهي .	٢٠٣
٥ (قوة يقين النبي بالوحي .	٢٠٧
٦ (معارف الوحي فوق مطامح الذات الانسانية .	٢٠٨

الفصل الثاني

دفع شبهات للمشركين والمفسرفين حول الوحي

أولاً - زعمهم أن الرسول تلقى دعوته من بعض الناس :	٢١٤
١ (من بحيري الراهب .	٢١٤
٢ (من بعض رجال الدين في بلاد الشام .	٢١٦
٣ (من ورقة بن نوفل .	٢١٧
٤ (من فتى أعجمي رومي .	٢١٨
عماد هذه المناقشة - عندي - مسألتان .	٢٢١
ثانياً - توهمهم أن القرآن من إنتاجه الذاتي .	٢٢٢
١ (رد مزاعم جولد تسهر ودرمنغام .	٢٢٤

تمتع الرسول بصحة نفسية وعصبية وافرة مدى العمر .	٢٢٤
الجنون والعقريّة لا يجتمعان .	٢٢٥
٢) رد مزاعم المشركين .	٢٢٦
مشاكلة دعوى المستشرقين في الوحي النفسي دعوى المشركين .	٢٢٧

الباب الثالث

معالم نبوة محمد ﷺ في القرآن

الفصل الاول

دلائل نبوة محمد ﷺ في القرآن

بين دلائل النبوة ومعجزاتها .	٢٣٥
أقسام دلائل النبوة :	٢٣٦
الدلائل الحسية .	٢٣٧
الدلائل العقلية .	٢٣٩
ثبوت معجزاته ﷺ نقلاً .	٢٤٥

الفصل الثاني

معالم نبوة في شخص محمد ﷺ

عصمته ﷺ :	٢٤٩
أولاً - عصمته عن المعاصي .	٢٤٩
ثانياً - عصمته في تبليغ الوحي .	٢٥٤
أمية محمد ﷺ .	٢٥٧

الرسول متلق مأمور .	٢٦٦
الرسول يراً من علم الغيب إلا بالوحي .	٢٧٤
سجدة الرسول دليل على نبوته .	٢٧٦
استدلال شاعر نصراني بموقف الرسول من الكسوف على نبوته .	٢٧٩
حماية إلهية خاصة للرسول الأمين :	٢٨٠
١) حمايته في مكة وأثناء الهجرة .	٢٨٠
٢) حمايته من الشدائد المهلكة في الغزوات .	٢٨٢
٣) حمايته من مؤامرات الغدر .	٢٨٦

الفصل الثالث

مجيء محمد ﷺ على السفن الإلهية في بعثة الرسل

أصول رسالته ﷺ كرسالات سابقه .	٢٨٩
نبوة محمد ﷺ مصدقة للأنبياء السابقين .	٢٩١

الفصل الرابع

تبشير الكتب السماوية ببعثة سيدنا محمد

أولاً - بشارة الكتب السماوية بمحمد ﷺ في القرآن .	٢٩٩
ثانياً - بشارة الكتب المعتمدة لدى أهل الكتاب :	٣٠٩
١) شواهد حق تعين على فهم بشارات الكتاب المقدس .	٣٠٠
٢) بشارت الكتاب المقدس ببعثة محمد ﷺ .	٣١٦
بشارة عيسى بظهور الفارقليط « البشارة الرابعة » .	٣٢١
المراد بالفارقليط نبي - تحليل البشارة .	٣٢٤

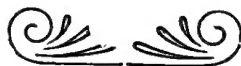
ثالثاً - بشارات كتابية لا يعتبرها النصارى .	٣٢٩
نسخة انجيل برنابا .	٣٣٠
شخصية كاتب الانجيل .	٣٣٢
بشارات هذا الانجيل .	٣٣٤

الخاتمة

يحمل دلائل نبوة محمد ﷺ .	٣٣٩
افتقار البشرية الى رسالة محمد ﷺ .	٣٤٣
الحاجة اليه ﷺ في زماننا .	٣٤٧
واجب البشرية نحو محمد ﷺ :	٣٥٠
(١) الايمان بمحمد ﷺ .	٣٥١
محمد ﷺ خاتم النبيين ،	٣٥٣
كشف زيف مزاعم القادياني .	٣٥٥
(٢) طاعته ﷺ .	٣٥٧
(٣) محبته ﷺ .	٣٦

فهارس الكتاب

(١) الآيات القرآنية .	٣٦٩
(٢) الأحاديث النبوية .	٢٨٦
(٣) الاعلام .	٣٩١
(٤) ثبت المراجع .	٤٠٥
(٥) فهرس الموضوعات .	٤١٣



أهم أخطاء الطباعة

يأسف المصحح لما وقع من أخطاء في الطباعة ؛ ويرجو القارئ
أن يبادر إلى تصحيح نسخته أولاً .

الصفحة	السطر	خطأ	صواب
١٥	٢١	معناها	معانيها
٢٨		« اجعل السطر الثالث كله سطرًا سابعاً »	
٣٢	٩	لو	لولا
٣٥	٣	القوية	القوية
٣٧	١١	عدمه	عدم
٣٩	١٨	الدئة	الدائمة
٤١	١٥	« طمس »	الأنطاف
٤٣	٥	الكافرين	للكافرين
٥٧	٢	فأغنى	فأغنى
٦٠	١٦	المعنى	المعنى
٦١	١٩	الكتاب	الباب
٦٢	٤	مبيناً	مبيناً مهمته
٦٧	٨	بشراً	بشر
٦٩	١٢	يوحى	ما يوحى
١١١	٢١	ق : ٣٩	الطور : ٤٨
١٨٢	٢٣	١٦٤	١٠٢
٣٠٥	٢١	والمكاراة	والمكاره
٣٣١	١٨	التعلقات	التعليقات
٣٤٧	٢	صحيحهما	صحيحهما
٣٤٨	١٢	الناس	الانسان
٣٦٣	٢٣	فحق	فحق
٣٧٤	١٧	سبيل	سبيلي

هذا الكتاب

- بحث فريد جديد بأسلوب مشرق جذاب ، استخلص من الآيات القرآنية دلائل عقلية باهرة على نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، تورث المتأمل يقيناً صادقاً وإيماناً راسخاً برسائله . وقد خاض المؤلف فيه غمار موضوعات جليلة أهمها :
- سمو أخلاقه على مستوى الناس حتى بلغ الغاية القصوى من الكمال .
- ظاهرة الوحي ، واستنبط لأول مرة خصائص الوحي لتجليّ للعقول أن الوحي أمر إلزاميٌ خارج عن ذات الرسول يتنزل عليه من حكيم حميد .
- عصمته صلى الله عليه وآله وسلم عن المعاصي والفساسف ، وأنه عاش أمياً لم يتلق من عالم شيئاً ، فلما بلغ الأربعين من عمره جاء بعلم إلهي ومعارف ربانية لا طاقة لأحد بها ، وخصه الله بحماية إلهية دائمة حفظته من الهلاك المحقق . . .
- بشارات التوراة والإنجيل ببعثته ﷺ وإلزامها أهل الكتاب بالإيمان برسائله .
- إن منهج القرآن أمثل منهج علمي في العقائد ، وعليه عوّل في نهاية المطاف أفاضل العلماء وأجلّ الفلاسفة :

« لَقَدْ تَأَمَّلْتُ الطَّرْقَ الْكَلَامِيَّةَ وَالْمَنَاهِجَ الْفَلَسَفِيَّةَ
فَمَارِئْتَهَا تَشْفِي عَيْلًا ، وَلَا نُرْوِي غَلِيلاً ، وَرَأَيْتُ
أَقْرَبَ الطَّرْقِ طَرِيقَةَ الْقُرْآنِ .. »
« الإلزام الرّازي »

الناسر